

الجزء الأول

الجلد الخامسون

مَجْلِسٌ

مَجْمُوعُ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِإِمْرَاقِ

« مجللة المجمع العلمي العربي سابقًا »



محرم سنة ١٣٩٥ هـ

كانون الثاني سنة ١٩٧٥ م

مُجَلَّةُ
مِنْظَرُ الْبَعْدِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْمِشْقَى

مُجَلَّةُ الْجَمَعِ الْعَلَامِيِّ الْمَكْرُبِيِّ سَابِقًا

ص. ب ٣٢٧

أُشِّتِتَتْ سَنَةُ ١٣٣٩ هـ، المُوافِقةُ لِسَنَةِ ١٩٢١ م

تُصْدَرُ أَرْبَعَةُ أَحْزَاءٍ فِي السَّنَةِ

فِي جَمِيعِ الْبَلَادِ الْعَرَبِيَّةِ ١٠٠٠ قُرْشٍ سُورِيٍّ
وَفِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ ١٢٠٠ قُرْشٍ سُورِيٍّ
قِيمَةُ الاشتراكِ السنوي
أَوْ مَا يَعْادِلُهُ جِنِيهٌ وَعَشْرَةُ شَلَّانٍ
أَوْ مَا يَعْادِلُهُ ثَلَاثَةُ دُولَارٍ

وَإِذَا طَلِبَ إِرْسَالُ الْمُجَلَّةِ بِالْبَرِيدِ الْجَوِيِّ تُضَافُ أَجْرُهُ إِلَى قِيمَةِ الاشتراكِ

(تُدْفَعُ قِيمَةُ الاشتراكِ عِنْدَ طَلْبِهِ)

الْبَحْثُوْنَ وَالْمَصْطَلَحَاتُ الَّتِي يَنْشِرُهَا الْكِتَابُ فِي هَذِهِ الْمُجَلَّةِ تَعْبُرُ عَنْ
آرَائِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ .

صفحة خالدة

الأستاذ شفيق جبرى

في الجزء الثالث من يتيمة الدهر صفة في التجديد كتبها أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المقيم ، قال أبو الحسين : « ومن ذا حظر على المتأخر مصادرة المقدم ، ولم يأخذ بقول من قال : ما ترك الأول الآخر شيئاً ، وندع قول الآخر : كم ترك الأول للآخر ، وهل الدنيا إلا أزمان ، ولكل زمان منها رجال ، وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام ونتائج المقول ، ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود وما لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ويروي في كل ذلك رأيه وما تقول لفقاهم زماننا إذا نزات بهم من فوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ، أو علمت أن لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة ... » إلى أن قال : « ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب أدب غزير ، ولضلت أفهم ثاقبة ، ولكللت ألسنة لسنة ، ولما وشى أحد خطابه ، ولا سلك شعباً من شباب البلاغة ، ولمجحت الأسماع كل مردود مكرر ، وللفوضت القلوب كل مرجع مضطغ ». .

صفحة خالدة في أدبنا تدل على امتداد فكر صاحبها ، وعلى إيمانه الشديد بانتقال الحياة من طور إلى طور على تراخي الأحقاد ، فهو عدو الجمود ، وهو نصير التجديد ، ولا ريب في أن الجمود إنما هو عنوان الموت ، وأن التجديد إنما هو دليل الحياة ، وليس بي حاجة إلى إيضاح شيء مما جاء ذكره في قول

ابن فارس ، فقد قال كل شيء ، وأرضح كل شيء ، فلم يترك مجالاً لقائل ، كما أنه لم يترك مجالاً لا يوضح ، وحرام علي تخزنة هذه الصفحة واختصار أفكارها ، بلاغتها قائمة بتناسقها .

قد يخطر على البال أن ابن فارس قد أهمل شيئاً لم يشر إليه ، ما هو هذا الشيء ، قد يخطر على البال أن ابن فارس لما أشار إلى التجديد في الأدب لم يشر إلى المحافظة على روح اللغة في هذا التجديد ، ولكن ابن فارس أعقل من أن يفوته هذا الأمر ، وإذا كان لم يتبته عليه فلأنه يعتقد على مانرى أن هذه المحافظة إنما هي من بدائع الأمور ، فلو لا المحافظة على روح اللغة في التجديد لما كان لهذا التجديد معنى واضاع الأدب واللغة ، فليس معنى التجديد أن يخلق كل عصر من العصور لغة خاصة وأدبًا خاصاً ، وأن يخرج بهذه اللغة وبهذا الأدب عن روحها وجواهرها ، ولو كان الأمر كذلك لتعاقبت العصور دون أن يفهم كل عصر لغة العصر الذي تقدمه والأدب الذي جاء قبله .

إذا رجعنا إلى لغتنا وإلى أدبنا في قديم عصورهما وجدنا أن اللغة لم تثبت على طور من الأطوار ، وإن الأدب لم يحافظ على شكل من الأشكال ، فاللغة من بدء الإسلام ظهرت أطوارها التي دخلت فيها ، وهذا موضوع مديد لا يمكن حصره في مقال مثل هذا المقال ، فالإسلام قد حول ألفاظاً عن معنى إلى معنى ، ثم حدثت علوم فاضطروا إلى وضع ألفاظ لها كما وضعوا ألفاظاً للنحو والفلسفة وغيرها ، وما يقال في اللغة يقال في الأدب ، فالشعر لما انتقل من مضارب البدو في جاهليته إلى قصور الخلفاء في بغداد وغيرها اضطر أصحابه في الحضر إلى أن يأتوا بصور تخالف صور البدو ، وهذا أمر نشهده في شعراتنا لا يحتاج إلى برهان عليه .

لكن الشعر لما انتقل من أفق إلى أفق حافظ على روح اللغة وعلى

جوهرها ، فلم يأت أصحابه بصور غامضةٍ ولا أتوا بلغةٍ تنفر عنها أذواقنا ، وإذا كان المجال لا يتسع للتسطير في هذا السبيل فلا أقلّ من الاستشهاد بشاعر طبع شعره بروح عصره فكان فيه تجديد من جهة وكان فيه محافظة على روح اللغة وجوهرها من جهة ثانية ، ماذا فعل البحترى في شعره ، ليس موضوعي الإثبات على خصائص لغة البحترى في إدخال شعره في طورٍ جديد مختلف عن الأطوار التي كان الشعر فيها على أيام الجاهلية وبعدها ، إنما أرى أنه لا بدّ من الإشارة إلى شيء من يسير من هذه الخصائص ، فقد رجعت إلى دفاتري التي دوّنت فيها بعض روح اللغة التي كان يستعملها البحترى فوجدت أنه رزق قدرة غريبة على التأليف بين الألفاظ من ذلك مثلاً قوله : شباب الدنيا ... بشاشة النعم ... بسجدة الخلافة ، ومثل هذه القدرة نجدها في الصفات التي يطلقها على الموصفات ، مثل قوله : القصور البيض ... البوادي السود ... فقد ينفع في الموصفات روحًا تدخل الحياة عليها ، وربما مررتنا ببعض شعره بصفةٍ يخيل إلينا أنها من توليد العصر الذي نعيش فيه مثل قوله : همةٌ مجونة .

والخلاصة أن البحترى لما أدخل شعره في طورٍ جديد حافظ على روح اللغة في هذا الطور ، ولم يخرج عن محسن ذوقها ، فقد مرَّ عليه أكثر من ألف سنة ونحن لا نزال نرى أن لغته كائنةٌ من لغة هذا العصر ، فلا تنفر عن صفاته التي أطلقها على الموصفات ، ولا تستغرب تأليفه بين الألفاظ ، فهو لم يأت بشيءٍ لم يفهمه عصره ولا فهمته العصور التي جاءت بعده ، فقد نغرَّ في أيامنا بعض شعرٍ لا نفهمه نحن ، ولا تفهمه العصور في الآتي وهذا هو موت اللغة بأجمعها .

إنا لا نستطيع أن نقف في سبيل قانون من قوانين الحياة بلغ من القوة كلَّ مبلغ ، إنا لا نستطيع أن ننكر أن الحياة تتجدد من زمن

إلى زمنٍ ، وإن هذا التجديد يستوجب لغةً خاصةً وصيغةً خاصةً ، ولكن الذي ننكره أن تكون هذه اللغة غريبة عن أهلها وأن تكون هذه الصيغة غريبة عن أدبنا ، ومعنى الغرابة في هذا القول ، أن تكون اللغة وصيغة الأدب فاسدين لا نفهمها نحن ولا يفهمها من يأتي بعدهنا .

أذكر عبارة اطلعت عليها في كتاب وقع عليه نظري عرضاً في مكتبة في مدينة « وليمبورغ » في أميركا ، فقد قال أحد أعضاء الكونغرس : إنما نضع القوانين لمعاقبة الجرميين الذين يسرقون ويقتلون ، فلماذا لا نضع القوانين لمعاقبة الذين يفسدون اللغة !

مثل هذا القول صدر في بلاد تشييع في أكثرها المعامل والآلات والدخان وغير ذلك من الحضارة المادية ، فما قولنا في بلادٍ مثل بلادنا لم تتحفظ من ماضيها إلاَّ بلغتها وأدبها ، أفيجوز أن يقضى على هذه اللغة وهذا الأدب !.

« شفيق جبرى »

نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات

للدكتور أ.ل. كليرفيل

نقله إلى العربية الأستاذة مرشد خاطر وأحمد
حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣٦ -

الدكتور حسني سبع

9754 Papyracé , ée

بردي ٩٧٥٤

وأرجح شبيه بالبرق أو بالورق ، شأن ما جاء في تفسير اللفظة في
معجم ستديغان^(١) وكما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي^(٢)
للتباين هذه اللفظة بما يناسب إلى البرد .

9755 Paquets de poudre

بقط (السقوف)

والصحيح ظروف أو مظروفات (المسحوق) ، والأخيرة أقرها
جمع اللغة العربية في القاهرة وعرفها : صفة المادة الصلبة عندما
توجد على شكل دقائق صغيرة . ولا أرى لللفظة بقط أن تدل على
المعنى المطلوب^(٣) .

(١) لفظة (Papyrusaceous) في معجم ستديغان الطبي (Stedman's Medical Dictionary)

(papierartig)

(٢)

(٣) في تاج المروس : والبقط جمجمة المتاع وحزمه ، يقال بقط الرجل
متاعه إذا جمجمة وحزمه ليتحلل ، إلى أن قال الأعرابي : البقط التفرقة
كما يأتي ، يصلح أن يكون ضداً .
في لسان العرب : وظرف الشيء وعاؤه والجملة ظروف .

- ٧ -

9756 par cuillérée à café

٩٧٥٦ بلْمُقَاتِ قَهْوَة

وأرجح بلْعَقَة مِلْمَقَة قَهْوَة أو شاي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) أو بلْعَقَة مِلْعَقَة صغيرة أو بِلْمَئِها ، ولأن لْعَقَة قَهْوَة وكذلك لْعَقَات قَهْوَة الواردة في المفظة التالية لا تدلان على المعنى المطلوب بدون إضافة كلمة مِلْعَقَة (٢) .

9757 par cuillérée à dessert , à entremets ٩٧٥٧ بلْمُقَاتِ حَلْوَى

٩٧٥٨ ٩٧٥٨ بلْعَقَة حِسَاء
والأفضل بلْعَقَة مِلْمَقَة متوسطة في المفظة الأولى وبلْعَقَة مِلْعَقَة حِسَاء (بالفتح) أو مِلْعَقة كبيرة (انظر الهاشم في المفظة السابقة) .

9759 Parablaste

٩٧٥٩ خَلِيَّةٌ مُغَذِّيَّة

والصحيح الورِيقَة المُتوسِطة (mesoblast) وبالأخص الجزء من هذه الورِيقَة والذي يتكون منه البناء الوعائِي ، كما جاء في معجم وبستر (٣) ويرادفها الورِيقَة الوعائِيَّة (feuillet vasculaire) كما جاء في معجم لاروس (٤) .

9760 Parancenthèse , ponction

٩٧٦٠ بَزْل

(١) (teaspoonful)

(٢) في لسان العرب : لْعَق الشيء بلْعَقَه لْعَقًا لَحَسَه واللْعَقة بالفتح المرة الواحدة ، إلى أن قال واللهمة بالضم اسم ماتأخذة المِلْعَقة .

(٣) لفظة (parblast) في معجم Webster 's Third New Inter - (national Dictionary)

(٤) لفظة (praablaste) في معجم (Larousse du 20 ième siècle)

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة

- ١ - البَزْلُ (في البَطْنِ وَالصَّدْرِ) .
- ٢ - البَطْ (^(١) لِلخِزانَةِ الْمُقْدَمَةِ لِلْعَيْنِ) .

٩٧٦١ حَوْلَ المَرْكَزِ ، جَانِبَ المَرْكَزِ ٩٧٦١ Paracentral , le

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة جنوب المركز

٩٧٦٢ نَظِيرَةُ الْعُصَيْنَاتِ الْكَوْلُونِيةُ ٩٧٦٢ Paracolibacilles

وأرجح نظيرات المصيّة القولونية . وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة عصيّة نظير القولوني - باسيل الباراقولون وجاء في الشرح : جرثومة من مجموعة الباسيلات السلبية لصيغة (جرام) التي منها باسيل التيفود وباسيل القولون .

٩٧٦٣ وَقْرٌ ، ضُفَّ السَّمْعِ ٩٧٦٣ Paracousie

التخيّل السمعي (illusion auditive) أو الْهُلَّاسُ السمعي
(hallucination auditive)

كما جاء في معجم ستديمان ^(٢)

٩٧٦٤ نَظِيرُ الْوُرَائِكِ ، وُرَاكٌ كَاذِبٌ

وأفضل نظير الألم الخُرُقِيِّ ، والألم الخُرُقِيِّ الكاذب ، وقد سبقت الملاحظة على هذه اللفظة ^(٣)

(١) في لسان العرب : بَطْ الجُرْحَ وَغَيْرَه يُسْطُه بَطًا وَبَجْهًا إِذَا شَقَه .

(٢) لفظة (paracusis) في معجم ستديمان الطبي (Stedmann's Medi- cal Dictionary)

(٣) الصفحة ٩٦ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

9765 Paradidyme , corps innominé de Giraldès

٩٧٦٥ خصية جانبيّة ، جسم جيرالدز غير المسمى

وأفضل جنِيب البَرَبُخ^(١) ، جسم جيرالدز الاسمي

9766 Paraffine

٩٧٦٦ شمع معدني ، بارافين

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة بارافين

9767 Paraganglions

٩٧٦٧ نظائر المُقدَّد

أو أشباهها . هذا وقد أقر بجمع اللغة العربية في القاهرة في مصطلحات

علم الجراحة (في دوراته الثالثة والرابعة والخامسة بعد المشرين)

أقر ترجمة لفظة (paraganglioma) بورم جنِيب العُقدة العصبية ،

ما يحمل ترجمة (parganglion) بجيِب العُقدة والصحيح

ما صنعته الماجنة^(٢)

(2) glande carotidienne ou intercarotidienne, corpus -
cule ou ganglion carotidien

(٢) - غُدَّة سُبَايَّة أو بَيْن السُبَايَّة جسيم أو عقدة سباتية

وأرجح غُدَّة سُبَايَّة ، الجُسْمُ السُبَايِّي ، أو المُقْدَّة السُبَايَّة

(١) لفظة (Webster's Third New International Dictionary) في معجم وبستر (paradidymis)

(٢) لفظة (paraganglia) في معجم ستديان الطبي (Stedman's Medical Dictionary) وقد فسرت المفظة بأنها تدل على الأجسام الكرومافينية (chromaffin bodies) بعض الأجسام البيضية أو المستبردة مع محفظة من النسيج الضام والتي تكون فئات مستقلة من النسيج الكرومافيوني (أو الولوع بالكرום) ضمن أعضاء أو أجزاء مختلفة من البدن ، لها خواص خارج الكظر تفسه .

(3) glande coccygienne , glande de Luschka

(٣) **عَدْدَةُ عَصْمِيَّةٍ ، عَدْدَةُ لُوشْكَا**

عَدْدَةُ عَصْمِيَّةٍ ، عَفْدَةٌ أو عَدْدَةُ لُوشْكَا ، كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجِمَةِ

الإنكليزية مِنَ الْمَعْجمِ الأَصْلِيِّ (١)

(5) paraganglion aortique ou abdominal, organe de

- Zuckerkandl

(٥) **نظير العُقْدَةِ الْوَتَنِيَّةِ أَوِ الْبَطَنِيَّةِ ، عَضْوُ زُوكِرْ كَنْدَلِ**

وأرجح **نظير العُقْدَةِ الْوَتَنِيَّةِ أَوِ الْأَبْهَرِيَّةِ أَوِ الْأَوْرُطِيَّةِ (٢)**

الْبَطَنِيَّةِ ، وَعَضْوُ تُسوِّكِرْ كَنْدَلِ (كَمَا يُلفَظُ بِالْأَمْرَنِيَّةِ)

(6) paraganglion cardiaque **نظير القلبية**

وَالْعُقْدَةِ الْقَلَبِيَّةِ ، كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجِمَةِ الإِنْكَلِيزِيَّةِ مِنَ الْمَعْجمِ الأَصْلِيِّ (٣)

9768 Paraglobuline, paraglopine, susbtance fibrinoplastique

٩٧٦٨ **نظير الكُرَبِينِ ، شَبِيهِ الْكُرَبَوْنِ مَادَةُ مُهِيَّكِلَةِ الْلَّيفِينِ**

وأرجح **نظير الكُرَبِينِ أو باراغلوبولينِ ، جِيلَةُ الْلَّيْسِيفِ أو**

جِيلَةُ الْلَّيفِينِ كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجِمَةِ الإِنْكَلِيزِيَّةِ مِنَ الْمَعْجمِ الأَصْلِيِّ (٤)

وَلَا أَرِى مُهِيَّكِلَةً تَدْلِيْلًا عَلَى الْمَعْنَى الْمَطْلُوبِ (٥)

(١) (Luschka's gland or ganglion)

(٢) الصفحة ٤٨٥ من هذا المجلد .

(٣) (cardiac gland)

(٤) (paraglobulin fibrplastin fibrinoplastin)

(٥) في لسان العرب: جيلة الشيء طبيعته وأصله وما يبني عليه، ثم كل القوم تنازعوا
والمهيكل الضخم من كل شيء .

9770 parakératose psoriasiforme (Brock)

٩٧٧٠ نظير التَّقْرِن الصَّدَّافِي الشَّكْل (بروك)

وأفضل نظير التَّقْرِن الصَّدَّافِي

9771 Praraldéhyde

٩٧٧١ نظير الفُولِيد

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة بارالدَّهيد

9772 Paralexie

٩٧٧٢ إسْتِبْدَال التَّمْجِيَّة

وأفضل القراءة المُبْدَلة أو المُشَوَّهَة ، لأن ما تعنيه اللفظة أن صاحبها يقرأ الكلمات والجمل المكتوبة قراءة سيئة باستبدالها بكلمات أو جمل لا معنى لها^(١)

9774 paralysie agitante , maladie de Parkinson , parkinsonisme

٩٧٧٤ شَلَلٌ راجٌ أو هازٌ ، شَلَلٌ إِرْتَجَاجِي أو إِهْرَازِي داء بركنسن بركنسونية سبقت الملاحظة على هذه اللفظة^(٢) وأرجح في اللفظتين الأخيرتين داء بركنسن وبركنسونية بكسر الكاف واستبدال الواو بالضمة .

9775 paralysie alterne ou dimidiée , syndrome de Millard

Gübler , hémiplégie alterne croisée

٩٧٧٥ شَلَلٌ مُتَغَيِّرٌ أو مُفْلِجٌ ، تنازُل ميلار غبَلَر ، فالرج مُتَغَيِّر ، مُتَصَالِب .

سبقت الملاحظة^(٣) وتترجم شَلَلٌ مُتَفَاصِلٌ ، وأرى أن تكون

(١) لفظة (paralexia) في معجم ستديوان الطبي (Stedman's Medical Dictionary)

(٢) الصفحة ١١٥ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ١١٦ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

ترجمة (dimidiée) بالشلل المشطوري أو الشطري (١) عوضاً عن الشيفي ، كما ذكرت (وقد ترجمت الماجنة المفيدة بالشلل المفلج (٢)) كما أن بجمع اللغة العربية في القاهرة أقر ترجمة (crossed paralysis) (crossed paralysie) بشلل مصالب ، وجاء في الشرح : وفيه يحدث شلل في جانب واحد من الوجه ، وفي الجهة الأخرى من الجسم .

9786 Paralysie générale associée au tabes

٩٧٨٦ شلل عام مشاركة للسهم
وأفضل شلل عام مع التباس (٣) .

٩٧٨٨ شلل بفقدان الموضع -
paralysie ischémique con-
ناجم عن شد رباط إسمرخ
sécutive à l'application
de la bande d'Esmarch
وأفضل شلل بنقص التزويد بشد وثاق رباط إسمرخ (٤)

(١) إن ماتعنيه لفظة (dimidiée) هي النصفي (أي النسبة إلى النصف) كما جاء في معجم لاروس الكبير ، وكان يصح أن تترجم بالشلل النصفي لو لا أنه قد أحاطع على إطلاق هذه اللفظة على (paraplégie) وكما أقرها بجمع اللغة العربية في القاهرة أيضاً . لذا فضلت الشلل المشطوري أو الشطري عليها .

(٢) في لسان العرب : الفَدَّاجُ تَبَاعِدُ ما بَيْنَ السَّاقَيْنَ ، وَفَاجِعُ الأَسْنَانِ تَبَاعِدُ
بَيْنَهَا إِلَى أَنْ قَالَ : وَرَجُلٌ مُفْلِجٌ اثْنَايَا مُتَفَرِّقُهَا وَهُوَ خَلَفُ الْمُتَرَاسِ
الأسنان ، وفي لسان العرب : الشطر نصف الشيء .

(٣) الصفحة ٩٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) سبقت الملاحظة على لفظة (ischémie) في الصفحة ٤٩٦ من المجلد
الثالث والأربعين من هذه المجلة .

- ٩٧٩٠ شلل عصبي ضخامي موهيم - paralysie musculaire pseudo-hypertrophique (Duchenne de Boulogne)
والصحيح شلل عضلي (ولعله خطأ مطبعي) ضخامي كاذب ^(١).
- ٩٧٩٧ شلل نفسي paralysie psychique
والشلل الم hysterianي كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي ^(٢).
- ٩٧٩٩ شلل باق أو ثابري paralysie résiduelle (sans base organique, par habitude)
(بدون أساس عضوي) (بدون أساس عضوي)
وأفضل شلل متبق أو مختلف
بالاعتراض ^(٣).
- ٩٨٠٣ شلل تشنجي أسريري paralysie spasmodique familiale (Strümpell)
(ستروبيل) شلل تشنجي أسريري (Strümpell)
أسريري (ستروبيل) كما يلفظ بالألمانية .
- ٩٨٠٤ شلل شوكي ، paralysie spinale aigüe de l'adulte ،
حاد في الكهل paralysie antérieure aigüe de l'adulte
شلل أمامي حاد في الكهل
وأفضل شلل الكهل الشوكي الحاد ، الشلل الأمامي الحاد للكهل .
- ٩٨٠٨ شلل الحفاف paralysie du voile du palais
وكذلك الإفليك ^(٤)

(١) الكلمة ذات الرقم ٤٦٩ في الصفحة ٧٣٤ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (psychic , hysterical paralysis)

(٣) في لسان العرب : والإفليكان لغتان تكتفان الآثمة ، الحفاف : الاسم الذي في أسفل الحنك إلى الآثمة .

- ٩٨٠٩ التهاب ماحوّل الثدي ،
9809 Paramastite phlegmon فلغمون ماحوّل الثدي
périmammaire وأفضل إلتهاب جنib الثدي ، فلغمون جنib الثدي .
- ٩٨١١ التهاب حوّل الرّحم ،
9811 Paramétrite , phlegmon juxta - utérin فلغمون جانب الرّحم .
وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة ، إلتهاب جنib الرّحم ،
وجاء في الشرح : وهو التهاب النسيج الضام (الخلالي) على
جانبي الرّحم .
- ٩٨١٤ شبّه إرتجاج عضلي
9814 Paramyoclonie وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة رجف العضلات ترجمة
لـ (paramyoclonus) في ترجمة (paramyoclonus)
إذ جاء في الشرح : إقباضات رجفية تحدث في
عضلات الجسم عدا الوجه .
وأرى ما ذهبت إليه اللجننة صحيحاً ، تاركـا الإرتجـاف
والرجـف ترجمـة للفـظـة (myoclonus) .
- ٩٨١٧ نظير الإنسـلـال
9817 Parapédese والصحـبـح الإنـفـرـاغـ بـقـنـاهـ غـيرـ طـبـيـعـيـةـ (١ـ)
ضيق القـلـفـةـ الخـلـفـيـ
- ٩٨١٩ ضيق القـلـفـةـ الخـلـفـيـ
9819 Paraphimosis وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة الجلاع (٢ـ) ، وجاء في

(١ـ) لفـظـةـ (parapedesis) في معـجمـ سـتـديـانـ الطـيـ .

(٢ـ) في المـصـصـ : جـلـعـ القـلـفـةـ إـنـ تصـيـرـ خـلـفـ الـحـوـقـ ، فـإـذـاـ كـانـ الـفـلامـ
كـذـلـكـ فـوـ إـجـلـعـ :

الشرح : وهو أن تقلب القلفة خلف الحوق فتختنق الحشنة .

9830 Parasité , ée

وُمُسْتَطْفِلٌ

وأرجح مُتَطَوْفِلٌ أو مُلَوَّثٌ بالطفيلي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(١) .

9836 Parasiticides

مُهْلِكَات الطُّفَيْلِيَّات

وأرجح مُبَيِّدَات الطُّفَيْلِيَّات على غرار مُبَيِّدَات الْحَشَّارَات (insecticides) كما جاء في الكلمة (٧٣٤٠) .

9837 Parasitisme permanent

تَطْفُل لَظِئِي ، مُلِيظٌ

وأفضل تَطْفُل دَائِمٌ أو مُسْتَمِرٌ .

6839 Parasitose

داء طَفَيْلِي

وأرجح تَلُوث طَفَيْلِي تاركاً داء طَفَيْلِي ترجمة لـ (maladie parasitaire)

9841 Parasympathique , système

نظير الودي ،

parasympathique

جِهاز نظير الودي

والجملة الجمجمية العَجْزِيَّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٢) .

9842 Parathormone , parathyrine

حَادِثَة مُلْحَقات الدَّرْقَى

والصحيح هِرْمُونَ جَنِينَات الغدة الدرقية ، كما أقرها بجمع اللغة العربية في القاهرة ، وباراتيرين .

(infested) (١)

(craniosacral system) (٢)

- 9844 عوارض ^{قصور} جارات الدُّرْق ٩٨٤٤
والصحيح عوارض قصور جنِّيَات الغدة الدرقية أو عوارض
الحِيرَمَان من هرمون جنِّيَات الدرقية .
- 9845 جارة الدُّرْق ٩٨٤٥
وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة ^{الغدة} جنِّيَة الدرقية .
- 9846 ذو علاقة بجارة الدُّرْق ٩٨٤٦
وأرجح جنِّيَ الغدة الدرقية أو جنِّي الدرقية .
- 9848 نظيرة التيفية (حُمُّى) ٩٨٤٨
وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة ^{حُمُّى} الباراتيفوئيد وجاء
في الشرح : ^{حُمُّى} تشبه الحُمُّى التيفودية . وأرجح
نظيرة التيفية تعرِيباً .
- ٩٨٥٧ تشوُّش الحس ٩٨٥٧
وأرجح شواش الحس ، وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة
إنحراف الحس - باراثيزيا ، وجاء في التعريف : وهو
إحساس تلقائي شاذ مثل الحرقة والتسلل والوخز .
- 9864 كلام ^{مبهم} ، متعدد ٩٨٦٤
وأرجح كلام غامض ، متعدد تاركاً لفظة ^{مبهم}
ترجمة لي (vague) .
- ٩٨٦٥ إنقلاب التَّكْلِيم
وأرجح كلام مقلوب ^(١) .

(١) وما تعنيه اللَّفْظَةُ هُوَ أَنْ يَتَلَفَّظُ الْمَصَابُ بِهَذَا الْخَالِلُ الْكَلَامِيُّ، الْكَلَمَاتُ

مَقْلُوبَةَ الْمَقَاطِعِ (معجم سديمان في لفظة speech) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة

www.alukah.net

نظرة في معجم المصطلحات الطبية

٩٨٦٧ خلال الشّم ، هلّس الشّم Parosmie , hallucination

de l'odorat

وأرجح ضلال الشّم ، وهلاس الشّم .

٩٨٦٨ التَّكْفَة (استطالات) Parotide (prolongement massétérien de la -)

وأفضل التَّكْفَة (استطالات الماضفة)

وأفضل التَّكْفَة (استطالات الماضفة في) ولعله خطأ مطبعي .

٩٨٦٩ مَبِيسْ جانبي Parovaire

والصحيح مَبِيسْ بَدَئِي ، لأن ما تعنيه الكلمة هو عضو صغير حُبيبي وأصفر كائن في ساق الرباط العريض ، أكثر ما يصادف في الجنين والطفل ولا يصادف في الكهل ، وهو يمثل الجزء السفلي لجسم وولف (Wolff) (٢) .

٩٨٧٢ خاصّة ، خُصُوصِيَّة Particularité

وَمِيزَةً أَيْضًا .

٩٨٨١ مُوَلَّدَةِ ضدِ قسمية Partigène , antigène

أو جزئية partiel

موَلَدَ المُضاد (كما أقره بجمع اللغة العربية في القاهرة)

الجزئي وقد سبق للجنة أن ترجمت الكلمة (antigène)

بعكوفتها الضد .

(١) لفظة (parovarium) في معجم لاروس الكبير الموسوعي -

(Grand Larousse Encyclopédique)

(٢) الصفحة ٧٢ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة

www.alukah.net

٩٨٨٣ مُرور (passage animal d'un virus)
عبور ، مرور ، إنتقال (لاسيما في الجملة الأخيرة)

٩٨٨٤ مرور قطيله غزيري (passage d'un tempon de gaze par le cholédoque)
في القناة الجامعة
وأرجح عبور قطيله غزيري في القناة الجامعة .

٩٨٨٧ إجتاز الأطروحة أو دافع (Passer ou soutenir la thèse)
عن الأطروحة
وأرجح نجاح في الأطروحة أو قبّلتُ أطروحته أو دافع عنها .

٩٨٩٣ قرص ، قريضة (Pastille)
وأرجح مصيص محلّي أو مصيص .
وسبق للجنة أن ترجمت لفظة (gâteau) بقرص حنوي
(اللفظة ٦٢٠٠) وكذلك (disque) بقرص (اللفظة ٤٣٢٧) .

٩٨٩٤ قرص أو حبة للتغريب (pastille ou comprimé pour implantation (pellet))
وأرجح قريص أو مضغوطه الغرس . وسبق للجنة
أن استعملت لفظة حبة ترجمة لـ (pilule)
(اللفظة ١٠٣٢٠) .

٩٨٩٧ معجون ، جموش أو جميس (pâte dépilatoire)
وكذلك معجون الشورة (١) .

(١) في لسان العرب : والنثورة من الحجَّر الذي يحرق ويُسوّى منه
الكيلس ويحلق به شعر العانة ، إلى أن قال : وقد إتثار الرَّجْلُ وتتوَّر
تطاشي بالثورة ،

9898 pâte à l'eau	مَعْجُونٌ ^١ بالماء وأرجح مَعْجُونٌ مائيٌّ .
9900 pâte gélatineuse , colle de pâte	مَعْجُونٌ هَلَامِينيٌّ ^٢ ، غراء (معجون)
	وأفضل مَعْجُونٌ هلاميٌّ ومَعْجُونٌ شبيه المُجْمَد أو غَرْوانيٌّ ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي ، وكما سبقت الملاحظة عليه (٢) .
9901 pâte grasse	مَعْجُونٌ دَسِيمٌ ^٣ أو مَعْجُونٌ دُهْنِيٌّ أيضاً .
9902 pâte de réglisse	مَعْجُونٌ السُّوس ^٤ وأفضل مَعْجُونٌ عِرق السُّوس إذ سبق لالجنة أن ترجمت لفظة سُوس ترجمة لـ carié (اللفظة ٢١٦٥) التي سبقت الملاحظة عليها (٣) .
9904 Paternel et maternel , elle des parents	أبُوي و (أو) أميٌّ ^٥ ، أبوان وأفضل أبوي أو والدي كما جاء في الترجمتين الانكليزية والألمانية من المعجم الأصلي ^(٤) لأن المقصود من اللفظة نسبة إلى الآبوبن كليهما أو أحدهما .

• (gelatinous jelly - like or colloidal paste) (١)

الصفحة ٨٤٦ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

الصفحة ٧٩ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(parental) في الانكليزية و (elterlich) في الألمانية . (٢)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة

www.alukah.net

9905 Pâtes alimentaires	٩٩٠٥ مَعَاجِينٌ غِذَايَةٌ
	وأرجح مُعَاجِنَاتٍ غِذَايَةٌ إِطْرِيَّةٌ (١) وَمَعَكْرُونَةٌ وَشَعْمَيْرِيَّةٌ ، كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجِمَةِ الْأَنْكَلِيَّةِ مِنَ الْمَعْجمِ الْأَصْلِيِّ (٢) .
9910 Pathognomonie	٩٩١٠ وَسْمٌ مَرَضٌ
9911 Pathognomonique	٩٩١١ وَاسِمٌ مَرَضٌ
	وَأَقْرَبَ بَحْثُ الْأَنْجُونِيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ تَرْجِمَةَ الْفَظْوَةِ الثَّانِيَّةِ بِعُتْمَيْزٍ مَرَضٌ وَتَكُونُ الْأُولَى تَمَيْزٌ مَرَضٌ .
9915 Pathologie clinique	٩٩١٥ مَبَحَثٌ السَّرِيرِيَّاتِ
	وَأَفْضَلُ عِلْمٌ الْأَمْرَاضِ السَّرِيرِيِّ .
9916 pathologie comparée	٩٩١٦ عِلْمُ الْأَمْرَاضِ الْمُقَابِلَةِ
	وَأَفْضَلُ عِلْمُ الْأَمْرَاضِ الْمُقَارَنِ .
9917 pathologie expérimentale	٩٩١٧ عِلْمُ الْأَمْرَاضِ التَّجْرِيَّةِ
	وَأَفْضَلُ عِلْمُ الْأَمْرَاضِ الإِخْتَارِيِّ .
9926 Pâtisserie	٩٢٢٦ مَعَاجِنَاتٌ ، فُرْنِيَّاتٌ
	وَأَرَى أَنْ يَكْتُفِي بِعَاجِنَاتٍ أَوْ حَلَوَيَاتٍ ، وَأَنْ تَرْكِ فُرْنِيَّاتٍ تَرْجِمَةً لِلفَظْوَةِ (petits fours) الشَّائِعَةِ .

(١) الإِطْرِيَّةِ شَاعَ اسْتَعْهَالُهَا وَإِنْ كَانَتْ لَا تَدْلِي بِدَفْعَةٍ عَلَى الْمَعْنَى الْمَطْلُوبِ ، فَقَدْ
جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : وَالْإِطْرِيَّةِ بِكَسْرِ الْمُهْمَزَةِ مُثْلَ الْهِبَرِيَّةِ ، ضَرَبَ
مِنَ الطَّعَامِ ، وَيُقَالُ لَهُ بِالْفَارَسِيَّةِ لَا خَشَّهَ قَالَ شَرْ : شَيْءٌ يَعْمَلُ مُثْلَ
الْدَّسْتَائِسِيَّةِ الْمُتَلَبَّفَةِ .

(٢) (italian dishes , macaroni , moodles vermicelli)

٩٩٢٨ كُفُوفٌ لإستعمال ٩٩٢٨ pates galvanoscopiques

المنظار الغلفاني

وما يعني بهذه الكلمة المُحَفَّر العصبي الذي أجرى العالم غلوفي (Galvani) تجربته فيه ، وأدى إلى اكتشاف نقل التيار الكهربائي بالعصب الوركي لاضياف دماغ وقلص عضلات رجلها ، بعد مضي مدة قصيرة على ذبحها ، إذ لم يمس العصب بقضيب معدني أو نحوه .

كما أن (galvonoscopique) هي نسبة إلى (galvanoscope) وهو مرادف له (galvanomètre) أي المقياس الغلفاني^(١) لا المنظار الغلفاني .

فالصحيح في ترجمة الكلمة هي الأرجل الكاشفة للتيار الغلفاني أو المُحَفَّر العصبي لكشف التيار الكهربائي ، أو ضياف دماغ التيار الكهربائي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٢) .

٩٩٢٩ كِلَأ ، عَلَفٌ ٩٩٢٩ Pâture

وأرجح عَلَفٌ تاركاً لفظة كِلَأ ترجمة له (foin)^(٣) .

٩٩٣٣ كِفَافٌ أو صَوانٌ ٩٩٣٣ pavillon de l'oreille ,

auricule الأذن ، أذْنَى

(للبحث صلة)

Quillet dic - (في معجم كيه) (galvanoseope) (١)

(tionario encyclopédique

(rheoscopic nerve - muscle preparation (٢)
rhsoscopic frog)

(٣) الصفحة ٦٢٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

بِنْ بَنْ سَيْنَا وَابْن رَشْد

الدكتور جميل صليبا

١ - مقدمة عامة

بين يدي كتاب «تهافت الفلسفة» للغزالى ، وكتاب «تهافت التهافت» لابن رشد ، وكتب أخرى تذكر هذين الفيلسوفين كنت أقرؤها لأنى كنت أريد أن أعد حاضرة في فلسفة الغزالى ألقىها على طلاب الجامعة . ولكن ناحية انتقادية جديدة كشفت عنها في كتب ابن رشد صرقتني عن التحدث عن الغزالى . وهذه الناحية هي تحديد موقف ابن رشد إزاء فلسفة ابن سينا .

نحن نعلم أن ابن رشد كان يتم الغزالى بالقصور في عالمه (تهافت التهافت ٦٧) وبالتمويه في أقوابه الجدلية ، وأنه كان ينتقده لاعتقاده في تقد الفلسفه اليونانية على ما جاء في كتب ابن سينا دون غيره ، وينتقده كذلك في مسائل أخرى كثيرة لا أريد الآن أن أتحدث عنها .

وليس الغريب في هذا النقد أن يتضمن ردود ابن رشد على اعتراضات الغزالى ، ولكن الغريب فيه أن يشتمل في الوقت نفسه على تفنيد دقيق لبعض آراء ابن سينا . فالغزالى لم ينظر إلاً في كتب ابن سينا فللحقة القصور في الحكمة من هذه الجهة (تهافت التهافت ٦٧) ، لقد تجرّد للرد على ابن سينا ، فتوهم أنه رد على جميع الفلسفه ، ونقل في كتاب «تهافت الفلسفة» مذهب ابن سينا على غير وجهه ، فوقع فيها وقع فيه من التحيط ، فما بالك إذا كان أصحاب ابن سينا قد تأوّلوا عليه كثيراً من الآراء التي لم يصرح بها قط ؟ لقد كان ابن رشد يشعر بابتعاد ابن سينا والفارابي عن طريقة المشائين ،

ويرى أنه لو لا ابتعاد هذين الفيلسوفين عن المعلم الأول لما استطاع الغزالى أن يرد عليها ، وفي كتب ابن رشد ، ولا سيما في كتاب «تهافت التهافت» وكتاب «ما بعد الطبيعة» وكتاب «تفسير ما بعد الطبيعة» مواضع كثيرة يرد فيها ذكر ابن سينا في سياق الكلام على الغزالى أو في تفسير كلام أرسطو مثل ذلك أن ابن رشد ينتقد رأي ابن سينا في الرؤيا والوحى بقوله : «لا أعلم أحداً قال به من القدماء إلا» ابن سينا (تهافت التهافت ١٢٢) ، أو قوله : وهذا «شيء تفرد به ابن سينا وآراء القدماء في ذلك غير هذا الرأي» (تهافت التهافت ١١٩) . ومثال ذلك أيضاً أنه ينتقد رأي ابن سينا في النفس بقوله : «لا أعلم أن أحداً من الحكماء قال إن النفس حادثة حدوذاً حقيقةً ، ثم قال إنها باقية إلا ما حكاه ابن سينا» (تهافت التهافت ٣٣) ، ومثال ذلك أخيراً أنه ينتقد نظرية الفيض بقوله : «وأما ما حكاه ابن سينا ، من صدور هذه المبادئ بعضها عن بعض فهو شيء لا يعرفه القوم ، وإنما الذي عندهم أن لها من المبدأ الأول مقامات معلومة لا يتم لها وجود إلا بذلك المقام منه» (تهافت التهافت ٤٩) أو ينتقادها بقوله : إن في هذه النظرية تناقضاً «خفى على أبي نصر وابن سينا لأنها أول من قال هذه الخرافات ، فقلدهما الناس ونسبوا هذا القول إلى الفلاسفة» (تهافت التهافت ٦٥) . وفي قول ابن رشد أن الفلاسفة من أهل الإسلام كأبي نصر وابن سينا عسر عليهم فهم صدور الكثرة عن المبدأ الأول (تهافت التهافت ٤٨) ، وقوله : إن ابن سينا لم يدرك أن اسم الموجود يدل على ذات الشيء لا على عرض في الشيء ، وفي أقوال أخرى غير هذين القولين دليل على أن الميزان الذي كان ابن رشد يزن به أقوال ابن سينا هو الميزان الأرسطي ، فلا غرو إذا لام ابن سينا على خلافه لأرسطو بقوله : «هذا شأن هذا الرجل في كثير مما يأتني به من عند نفسه» (كتاب ما بعد الطبيعة ، ص ٦) .

واست أريد الآن أن أذكر جميع المسائل التي أتى بها ابن سينا من عند نفسه ، أو أذعن فيها لآراء المتكلمين ، أو خالف فيها مع الفارابي آراء أرسطو ، ولكنني أريد أن أقول في ابن سينا ما قاله ابن سعین ، وهو أن أكثر كتبه مؤلفة ومستنبطه من كتب أفلاطون ، فلا غرو إذا تضمنت مسائل مخالفة لآراء أرسطو ، ولا عجب أن يتصدى ابن رشد لنقدتها ، وهو الفيلسوف المفتون بأرسطو والمغضوم له .

ويبدو لي مع ذلك أن ابن رشد كان ناقداً منصفاً ، فكان موقفه إزاء الغزالى وابن سينا أشبه شيء ب موقف أرسطو إزاء الذين كانوا لا يرون مثل رأيه ، والدليل على ذلك قوله :

« وأمّا قوله : (يعنى الغزالى) إن قصده هاهنا ليس هو معرفة الحق ، وإنما قصده إبطال أقوايلهم (يعنى الفلسفه) وإظهار دعائهم الباطلة ، فقد لا يليق به ، بل بالذين في غاية الشر ، وكيف لا يكون ذلك كذلك ، ومعظم ما استفاد هذا الرجل من الباهة ، وفاق الناس فيما وضع من الكتب إنما استفاده من كتب الفلسفه ومن تعاليمهم ، (وهبهم) أخطاؤا في شيء ، فليس من الواجب أن ينكر فضلهم في النظر وما راضوا به عقولنا ، ولو لم يكن لهم إلا صناعة المنطق لكان واجباً عليه وعلى جميع من عرف مقدار هذه الصناعة شكرهم عليها . وهو معترض بهذا المعنى وداعاً إليه ، وقد وضع فيها التأليف » ويقول : « إنه لا سبيل إلى أن يعلم أحد الحق إلا من هذه الصناعة . وقد بلغ الغلو فيها إلى أن استخرجها من كتاب الله تعالى ، فأفيجوز لمن استفاد من كتبهم وتعاليمهم مقدار ما استفاد هو منها حتى فاق أهل زمانه ، وعظم في ملة الإسلام صيته وذكره أن يقول فيهم هذا القول ، وأن يصرح بذلك على الإطلاق ، وذم علومهم ؟ وإن وصفنا أنهم يختلطون في أشياء من العلوم الإلهية (يعنى ابن سينا) فإننا

إنما نحتاج على خطئهم من القوانين التي علمنا إياها في علومهم المنطقية ، ونقطع أنهم لا يلزموننا (على) التوقف على خطأ إن كان في آرائهم ، فإن قصدتهم ، إنما هو معرفة الحق ، ولو لم يكن لهم إلا هذا القصد لكان ذلك كافياً في مدحهم ، مع أنه لم يقل أحد من الناس في العلوم الإلهية قوله يعتقد به ، وليس يعصم أحد من الخطأ إلا من عصمه الله تعالى بأمر إلهي خارج عن طبيعة الإنسان ، وهم الأنبياء ، فلا أدرى ما حمل هذا الرجل على مثل هذه الأقاويل ، أسأل الله العصمة والمغفرة من الزلل في القول والعمل » (تهافت التهافت ٨٨) .

ففي هذا النص كما ترون إشارة إلى ما يريد ابن رشد أن يتقيد به من العدل والإنصاف في الحكم والاعتلال في النقد ، والاعتراف بفضل الفلاسفة السابقين وإن أخطأوا في بعض آرائهم .

ولسنا نريد الآن أن نبحث في اعترافات الغزالى على الفلاسفة ولا في ردود ابن رشد على هذه الاعترافات ، ولكننا نريد أن نقصر كلامنا على النظر في ثلاثة مسائل كانت موضع خلاف عميق بين ابن رشد وابن سينا ، وهي:

١ - مسألة المبدأ الأول هل يتم إثباته في علم الطبيعة أم في علم ما بعد الطبيعة .

٢ - مسألة اسم الواحد هل يدل على الجوهر أم على عرض في الجوهر؟

٣ - مسألة اسم الموجود هل يدل على الذات أم على صفة زائدة على الذات .

أما المسائل الخلافية الأخرى فسنعود إلى الكلام عليها في مقالاتنا القادمة .

٢ - المسألة الأولى موضع إثبات المبدأ الأول

موضوع علم ما بعد الطبيعة عند ابن رشد هو : « النظر في الموجود

بما هو موجود ، وفي جميع أنواعه إلى أن ينتهي إلى موضوعات الصنائع الجزئية ، وفي الواحق الذاتية له ، وترقية جميع ذلك إلى جميع أسبابه الأول» (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ص ٣) . وموضوعه عند ابن سينا هو «البحث عن الموجود المطلق» ، وينتهي في التفصيل إلى حيث تبتدىء منه سائر العلوم ، فيكون في هذا العلم بيان مبادئ سائر العلوم الجزئية » (ابن سينا ، النجاة ، ص ٣٢٢) ، فموضوع هذا العلم لا يختلف عند ابن رشد عما هو عليه عند ابن سينا إلا في أمر واحد ، وهو أن ابن رشد يقول إن علم ما بعد الطبيعة المسمى بالفلسفة الأولى يسلم بوجود المبدأ الأول عن العلم الطبيعي ، على حين أن ابن سينا يقول إن البحث في وجود المبادئ المفارقة ليس من موضوعات العلم الطبيعي ، وإنما هو من الموضوعات الخاصة بعلم ما بعد الطبيعة ، قال : «إن كل واحد من علوم الطبيعتين وعلوم الرياضيات فإما يفحص عن حال بعض الموجودات ، وكذلك سائر العلوم الجزئية ، وليس شيء منها النظر في أحوال الموجود المطلق ولو احتجه وبادئه» ، (النجاة ، ص ٣٢٢) ، ومعنى ذلك أن إثبات المبدأ الأول عند ابن سينا من موضوعات علم ما بعد الطبيعة ، وأن العلم الطبيعي إذا بحث في إثبات المحرك الأول أو المبدأ الأول كان بحثه فيه فضلاً وزيادة .

وفي الحق أن موقف ابن رشد إزاء هذه القضية أقرب إلى رأي أرسطو من موقف ابن سينا ، لأن المعلم الأول قد أثبت وجود المبدأ الأول في المقالة الثامنة من العلم الطبيعي ، ولم يعد هذا الإثبات فضلاً في هذا العلم ، ولما عاد إلى ذكر المحرك الأول في علم ما بعد الطبيعة أضاف إليه ذكر العلة الصورية ، والعلة الفائية ، وأخرج براهينه الواردة في الطبيعتين مخرجاً أعم ، ولو لا ذلك لما احتاج إلى إعادة ذكره .

لقد كان ابن رشد مفسّراً بارعاً ، ففهم رأي أرسطو فيما دقيقاً ، وغير عنه تعبيراً واضحاً . أمّا ابن سينا فلم يكن مفسراً ولا مقلداً ، بل كان يأخذ برأي نفسه ويبتعد عن أرسطو في مسائل كثيرة ، حتى لقد قال (ابن سبعين) فيه : إنه كان كثير التخيّط ، مخالفاً للحكم .

ولعلنا إذا قلنا مع ابن سينا إن إثبات المبدأ الأول من موضوعات علم ما بعد الطبيعة ، وإن ذكره في العلم الطبيعي فضل وزيادة ، نستطيع أن نجلب موضوعات هذين العالمين مستقلة بعضها عن بعض على وجه أتم وأوفى . فالعلم الطبيعي علم وضعي يبحث في ظواهر الطبيعة لا في المباديء المفارقة . وهذا أقرب إلى الصواب من قول بعضهم إن إثبات المبدأ الأول من موضوعات العلم الطبيعي .

٣ - المسألة الثانية

اسم الواحد هل يدل على الجوهر أم على عرض في الجوهر

الواحد هو الموجود من جهة ما هو متميّز عن غيره ، وغير منقسم ، وهو كما قال أرسطو ينحصر في أربعة أنواع : (تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد ١٢٤١/١)

الأول : هو المتصل بالطبع .

والثاني : هو الكل والكلام ، وهو الشخص الواحد من أشخاص الموجودات الطبيعية .

والثالث : هو البسيط في جنس جنس من أجناس المقولات العشر .

والرابع : هو الواحد بالصورة ، وهو المعنى الكلامي .

وقد بين ابن سينا أن الواحد يقال لما هو غير منقسم ، وهو على أنواع : فإن كان لا ينقسم في الجنس كان واحداً في الجنس ، وإن كان لا ينقسم

في النوع كان واحداً بالنوع ، وإن كان لا ينقسم بالعرض العام كأن واحداً بالعرض ، وإن كان لا ينقسم بالمناسبة كان واحداً في المناسبة ، كقولنا : إن نسبة الملك إلى المدينة والعقل إلى النفس واحدة ، وإن كان لا ينقسم في الموضوع كان واحداً في الموضوع ، وإن كان لا ينقسم بالحدّ كأن واحداً بالكلمة . (ابن سينا ، النجاة ٣٦٤ - ٣٦٥)

والواحد عند ابن سينا قد يكون فيه بوجه من الوجوه كثرة بالفعل أو بالقوة ، فإن كان فيه كثرة بالفعل كان واحداً بالتركيب والمجتمع ، وإن كان فيه كثرة بالقوة كان واحداً بالاتصال ، وإن لم يكن فيه كثرة لا بالفعل ولا بالقوة كان واحداً بالعدد على الإطلاق ، وأقل العدد عنده اثنان ، والاتحاد في الكيفية مشابهة ، وفي الكمية مساواة ، وفي الجنس مجازة ، وفي النوع مشاكلة ، وفي وضع الأجزاء موازاة ، وفي الأطراف مطابقة.

أما ابن رشد فإنه يبين أن الواحد يطلق على الأسماء المشككة ، وهي الأسماء الم موضوعة لأمر عام مشترك بين الأفراد لا على السواء ، بل على التفاوت . ومن أنواع الواحد عنده الواحد بالعدد ، ويطلق على المتصل كقولنا خط واحد وسطح واحد وجسم واحد ، وأحق الأشياء باسم الواحد المتصل التام الذي لا يكون فيه زيادة ولا نقص كخط المستدير . والمتصل قد يكون متصلة بالوهم مثل الخط والسطح ، وقد يكون متصلة بالوجود مثل الأجسام المتشابهة الأجزاء . وكما يطلق الواحد على المتصل التام ، فكذلك يطلق على الأشياء المرتبطة والمتماشة بالطبيعة كالميد الواحدة والرجل الواحدة ، أو على الأشياء المرتبطة بالصناعة كالكرسي الواحد والخزانة الواحدة .

قال ابن رشد : « فهذه هي أشهر المعاني التي يقال عليها الواحد بالعدد ، وهو بالجملة إنما يدل به الجمهور على هذه الأشياء من حيث هي منحازة عن غيرها ، ومنفردة بذاتها ، إذ ليس بتصور في بادئ الرأي من

معنى الواحد غير هذه ، ولذلك قيل في حد الوحدة العددية إنها التي بها يقال في شيء شيء إنه واحد . فمن هذه الأشياء ما هي منحازة بأماكنها التي تحوّلها ، وهو أشهر الانحيازات ، ومنها ما هي منحازة ب نهايتها فقط ، وهي المتسعة ، ومنها ما انحيازها في الوهم فقط ، وبهذه الجهة تلحق العدد المتصل ، وإذا كان هذا هكذا فالواحد بالعدد في هذه الأشياء إنما يدل منها على أمور هي خارجة عن ذاتها ، وبالمجملة على أعراض لاحقة لها ، ومن هذه الجهة يكون داخلاً من بين المقولات العشر في جنس الكل ، ويكون الواحد عرضاً ، إذ كان العدد إنما هو جماعة الأحاداد التي بهذه الصفة ، (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ١٠)

وليس في هذه الأقوال التي قدمناها شيء يدل على اختلاف حقيقي بين ابن رشد وابن سينا ، فإن هذين الفيلسوفين يتفقان في الأشياء التي يطلق عليها اسم الواحد ، إن كلاً منها يطلق هذا الاسم على كل ما هو متميّز عن غيره ، وغير منقسم ، يطلقه على مبدأ العدد وعلى المتصل الذي لا ينقسم كما يطلقه على الجواهر المفارقة ، والواحد عندهما مرادف للموجود ، لأن كل ما هو موجود فهو واحد ، وكل ما هو واحد فهو موجود ، (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ٣١٢-٣١١/١) وبالآخرى كل ما يصح عليه قولنا إنه موجود يصح أن يقال له واحد ، « حتى إن الكثرة مع بعدها عن طابع الواحد قد يقال لها كثرة واحدة ». (ابن سينا ، النجاة ٣٢٣)

ولكن معنى الواحد الذي يختلفان فيه أعنيه التي يتفقان فيها ، فإن سينا يرى أن طبيعة الواحد طبيعة عرضية لأنه لا يدل على الجوهر بل على عرض في الجوهر ، على حين أن ابن رشد يرى أن اسم الواحد يدل على ذات الشيء وماهيته ، لأنه مرادف لاسم الموجود ، فإن كان الواحد عرضاً في الجوهر كما يقول ابن سينا كان لازماً للذات لامقاوماً

لها ، وإن كان مرادفًا لذات الشيء و Maheriyah ، كما يقول ابن رشد ، كان مقوماً للذات وغير خارج عنها .

قال ابن سينا : « إن الوحدة من لوازם الماهيات لا من مقوماتها ، لكن طبيعة الواحد من الأعراض الازمة للأشياء ، وليس الواحد مقوماً ماهية شيء من الأشياء ، بل تكون الماهية شيئاً ، إما إنساناً ، وإما فرساً أو عقلاً أو نفساً ، ثم يكون ذلك موصوفاً بأنه واحد موجود ... فالواحدية ليست ذات شيء منها ، ولا هي مقومة لذاته بل صفة لازمة لذاته » (ابن سينا ، النجاة ، ٣٤٠) . وقال أيضاً : « فلو كانت طبيعة الواحدة طبيعة الجوهر لكان لا يوصف بها إلا الجوهر ، وليس يجب أن كانت طبيعتها طبيعة العرض أن لا توصف بها الجواهر ، لأن الجواهر توصف بالأعراض ، وأما الأعراض فلا تحمل عليها الجواهر حتى يشتق لها منها الاسم » (ابن سينا ، النجاة ، ٣٤١) ومعنى ذلك أن طبيعة الواحد عند ابن سينا طبيعة عرضية ، وكذلك طبيعة العدد الذي يتبع الواحدة ، ويتركب منها ، فالوحدة غير ذاتية للجواهer ، بل لازمة لها ، وهي معاقبة للكثرة في المادة ، ومقولة على الأعراض .

وهذا الذي ذهب إليه ابن سينا مخالف في نظر ابن رشد لآراء أرسطو ، لأن الواحد عند ابن رشد يدل من الشيء الموصوف به على طبيعته ، لا على أمر زائد عليه . قال ابن رشد : « مما يدل على أن الواحد ليس يقال على شيء زائد على الموصوف به أن جوهر كل واحد من الأشياء هو واحد بالذات لا لأمر زائد عليه ، وذلك أنه لو كان الشيء واحداً بأمر زائد على ذاته كما يذهب بذلك ابن سينا لم يكن شيء من الأشياء واحداً بذاته وجوهره بل بشيء زائد على جوهره ، وذلك الشيء الذي صار به واحداً ، إن قيل فيه إنما صار واحداً يعني زائد

على ذاته ، فقد سئل أيضاً في ذلك الشيء الذي به صار واحداً فإذا صار واحداً ، فإن كان ذلك الأمر يعني زائد عليه ، عاد السؤال فيه ، ومرة أخرى إلى غير نهاية » (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ٣١٤/٣٥١) والسبب في اعتقاد ابن سينا أن الواحد صفة لازمة للماهية لا صفة مقومة لها أنه « أشكل عليه الفرق بين اسم الواحد الذي هو مبدأ العدد . . . وبين اسم الواحد المرادف لاسم الموجود » (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ، ١٢٦٧/٣) ولذلك قال ابن رشد إن ابن سينا غلط في هذا غالباً كثيراً فظن أن الواحد والموجود يدلان على صفات زائدة على ذات الشيء ، قال : « والعجب من هذا الرجل كيف غلط هذا الغلط وهو يسمع المتكلمين من الأشعرية الذين مزج علمه الإلهي بكلامهم يقولون إن من الصفات ما هي صفات معنوية ، ومنها ما هي صفات نفسية ، ويقولون إن الواحد والموجود هما راجعون إلى الذات الموصوفة بها » لا إلى صفات دالة على أمر زائد على الذات (ابن رشد تفسير ما بعد الطبيعة ٣١٣/٣) ، وقال أيضاً : « لقد احتجَ هذا الرجل لمذهبِه بأن قال إنه لو كان الواحد والموجود يدلان على معنى واحد لكن قولنا الموجود واحد بمنزلة قولنا الموجود موجود ، والواحد واحد ، وهذا إنما كان يلزم لو قيل أن قولنا في الشيء الواحد إنما هو موجود وواحد يدلان على معنى واحد من جهة واحدة ونحو واحد » (ابن رشد ، المصدر نفسه ٣١٣) . ولكن الموجود والواحد إنما يدلان من الذات الواحدة على أنحاء مختلفة ، لا على صفات مختلفة زائدة عليها » (ابن رشد المصدر نفسه ٣١٣) . فابن سينا لم يفرق بين الصفات الدالة على الذات والصفات الزائدة على الذات . وسبب غلطه كما يقول ابن رشد ، « أنه وجد اسم الواحد من الأسماء المشتقة ، وهذه الأسماء تدل على عرض وجوهه . . وأنه ظن أن اسم الواحد يدل على معنى في الشيء عادم للانقسام ، وأن ذلك المعنى

غير المعنى الذي هو طبيعة .. وأنه ظن أن هذا الواحد المقول على جميع المقولات هو الواحد الذي هو مبدأ العدد ، والعدد عرض فاعتقد أن اسم الواحد يدل من الموجودات على عرض » (ابن رشد ، المصدر نفسه ٣١٤).

وجملة القول أن غلط ابن سينا يرجع في نظر ابن رشد إلى أمرين :

١ - أحدهما أنه اعتقد أن الواحد الذي هو مبدأ العدد هو الواحد المرادف لاسم الموجود ، فإن كان الأول عرضاً وجب أن يكون الثاني عرضاً مثله ، لأنه مرادف له .

٢ - والآخر أنه التبس عليه اسم الموجود الذي يدل على الجنس ، والذي يدل على الصادق ، فإن الذي يدل على الصادق عرض ، والذي يدل على الجنس يدل على كل مقوله من المقولات العشر دلالة تاسب المهوية . إن الواحد يقال على أنحاء مختلفة ، وحدّه كما قال أرسطو أنه مبدأ العدد لا أنه عدد ، وهو في غير هيولي ، وقولنا كل ما هو موجود واحد يعكس مثل قولنا كل ما هو واحد موجود ، فالواحد مرادف للموجود ، وهو يقابل الكثرة كما يقابل العدم الملاكمة .

ثم إن تصور الواحد بديهي ، ومعناه سليٍ ، وهو نفي الانقسام عنه ، فإن كان صفة دل على الواحد بالعدد ، أو على الفرد من جهة ما هو جزء من كل ، أي من كثيرين بالعدد ، أو على الأحد الذي لا نظير له في ذاته ، أو على الكثير من جهة ما هو ذو وحدة متساكنة فيكون واحداً بالتركيب . وإن كان إسماً دل على أول الأعداد ، أو على مبدأ الوجود أو الفكر ، والواحد بهذا المعنى الأخير هو المطلق الحقيقى . قال الفارابي : « يقال لكل موجود واحد من جهة ما هو موجود بالوجود الذي يخصه ، وهذا المعنى من معانى الواحد يساوى الموجود الأول ، فالأول أيضاً بهذا الوجه واحد ، وأحق من كل واحد سواء باسم الواحد ومعناه » (المدينة) ٣

الفاضلة ، ٣٠) ، وقال ابن رشد : « إن اسم الواحد والموجود يدلان على ذات واحدة ، وإنما يختلفان بالجهة » (تفسير ما بعد الطبيعة ١٢٨١/٣) . والواحد عند ابن سينا لا يصدر عنه إلا واحد لأنه بسيط ، قال في كتاب النجاة : « إن الواحد من حيث هو واحد وإنما يوجد عنه واحد » (النجاة ، ٤٥٣) وقال في كتاب الإشارات : « الأول ليس فيه حياثات لوحدانيته ، فيلزم كما علمت أن لا يكون مبدأ إلا واحد بسيط » ، وهو العقل الأول . ومعنى ذلك أن الأول واحد من جميع الوجوه ، فإذا صدر عنه موجود غيره وجب أن يكون هذا الموجود واحداً . مثال ذلك أن واجب الوجود في مذهب ابن سينا لا يدع إلا العقل الأول ، لأنه واحد ، وأنه لا يصدر عن الواحد إلا واحد ، وهذا شبيه بقول (أفلاطين) في التساعيات إن الواحد ، وهو الأقynom الأول ، لا يصدر عنه إلا أقynom ثان وهو العقل ، فالواحد غير معين ، أما الأقynom الثاني فهو عقل موجود ومعقول معاً . فابن سينا يدعي هذا المبدأ ركناً من أركان الفيض على حين أن ابن رشد يدعيه سبباً من أسباب الوهم ، لأنه ليس هنالك في نظره صدور ولا لزوم ولا فعل حتى تقول إن الفعل الواحد يلزم أن يكون عن فاعل واحد .

وها هنا سؤال لا بدّ من الإجابة عنه ، وهو قوله : إذا كان الواحد لا يصدر عنه إلا واحد فمن أين جاءت الكثرة ؟ إن قوله : إن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ينافي قوله إن الذي صدر عن الواحد الأول شيء فيه كثرة ، وإذا قلنا إن الكثرة التي في العقل الأول ترجع إلى كونه يعقل ذاته ويعقل الأول قال ابن رشد إن ذلك يوجب أن تكون ذات العقل الأول مركبة من طبيعتين ، فأي هاتين الطبيعتين هي الصادرة عن المبدأ الأول ، وأيها هي الغير الصادرة ، إنما لا نستطيع أن نتخلص من هذا الإشكال إلا إذا قلنا إن الكثرة التي في العقل الأول كل واحد منها أول ، وهذا يسوقنا إلى القول بـ تعدد المبادئ .

ولكن الفلسفه القدماء يجيبون عن سؤالنا : من أين جاءت الكثرة بواحد من الأجوبيه التالية ، أحدها قول بعضهم إن الكثرة جاءت من الهيولي ، والثانى قول بعض إنها جاءت من الآلات ، والثالث قول من قال إنها جاءت من قبل الوساطه والذى جرى عليه ابن رشد في تعليل حدوث الكثرة إرجاعها إلى الأسباب الثلاثة أي إلى المتوسطات والآلات والاستعدادات ، وهذه كلها تستند إلى الواحد وترجع إليه .

وصفوه القول إن الواحد عند ابن رشد يدل على الجوهر ثارة وعلى العرض أخرى ، أما عند ابن سينا فهو لا يدل إلا على عرض في الجوهر ، وما كان عرضاً كان زائداً على الذات لامقاوماً لها . وسيوضح لنا ذلك عند الكلام على اسم الموجود في الفقرة التالية .

٤ - المسألة الثالثة

هل يدل اسم الموجود على الذات أم على صفة زائدة على الذات ؟

الموجود هو الثابت في الذهن أو في الخارج ، وهو من المعاني الأولية أو البدائية التي يصعب تعريفها . قال ابن سينا : « إن الموجود لا يمكن أن يشرح بغير الاسم لأن مبدأ أول لكل شرح . فلا شرح له » ، بل صورته تقوم في النفس بلا توسط شيء » (النجاة ٣٢٥) . وقال ابن رشد : « إن اسم الموجود واسم الهوية يدل كل واحد منها على مقوله الجوهر ، وعلى سائر أعراض الجوهر التي هي المقولات التسع » (تفسير ما بعد الطبيعة ٧٤٧/٢) ، وقال أيضاً : « ولكن هذا الاسم إنما يدل أولاً وباطلاق وتقديم على مقوله الجوهر » (المصدر نفسه ٧٤٧/٢) .

ونحن نلاحظ أولاً أن الموجود يقال عند ابن رشد على أنحاء مختلفة (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ٥ - ٦) .

- ١ - فهو يطلق على كل مقوله من المقولات العشر .
- ٢ - وهو من أنواع الأسماء التي تقال بترتيب وتناسب لا التي تقال باشتراك مخصوص ، ولا بتواطؤ .
- ٣ - وهو يقال على الصادق ، وهو الذي في الذهن على ما هو عليه خارج الذهن .
- ٤ - وهو يقال على ما له ماهية وذات خارج النفس سواء تصورت تلك الذات أو لم تتصور .
- ٥ - وقد يدل بلفظ الموجود على النسبة التي تربط المحمول بالموضوع في الذهن ، وعلى الألفاظ الدالة على هذه النسبة سواء كان ذلك الارتباط ارتباط إيجاب أو سلب ، صادقاً كان أو كاذباً ، بالذات أو بالعرض .
وها هنا مسألتان كانتا سبب اختلاف شديد بين ابن سينا وابن رشد ، الأولى مسألة انقسام الموجودات إلى ممكن وواجب ، والثانية مسألة الماهية والوجود .

١ - الواجب والممكن :

يقول ابن سينا : « إن الواجب الوجود هو الموجود الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال ، وإن الممكن الوجود هو الذي متى فرض غير موجود أو موجوداً لم يعرض منه محال . والواجب الوجود هو الضروري الوجود ، والممكن الوجود هو الذي لا ضرورة فيه بوجهه ، أي لا في وجوده ولا في عدمه » (النجاة ٣٦٦) . ثم يقول : « إن الواجب الوجود قد يكون واجباً بذاته ، وقد لا يكون بذاته . أما الذي هو واجب الوجود بذاته فهو الذي لذاته لا شيء آخر ... وأما الواجب الوجود لا بذاته ، فهو الذي لو وضع شيء مما ليس هو صار واجب الوجود » (النجاة ٣٦٦) ، مثال ذلك : « إن الأربع واجبة الوجود لا بذاتها ولكن

عند فرض اثنين واثنتين ، والاحتراق واجب الوجود لا بذاته ولكن عند فرض التقاء القوة الفاعلة بالطبع والقوة المنفعلة بالطبع ، أعني المحرقة والمحترقة » ، ثم يضيف إلى ما تقدم قوله : « ولا يجوز أن يكون شيء واحد واجب الوجود بذاته وبغيره معاً » (النجاة ٣٦٧) بل كل ما هو واجب الوجود بغيره فإنه يمكن الوجود بذاته ، وهذا ينعكس فيكون كل ما هو يمكن الوجود بذاته ، فإنه إن حصل وجوده كان واجب الوجود بغيره . فهناك إذن ثلاثة أنماط من الوجود .

الأول : هو الممكن بذاته ويشمل على جميع الأشياء التي يتساوى فيها العدم والوجود .

والثاني : هو الممكن بذاته الواجب بغيره ، وهو يشمل جميع موجودات هذا العالم .

والثالث : هو الواجب الوجود بذاته ، وهو المبدأ الأول أي الله .

ولكن ابن رشد يبين أن اقسام الموجودات إلى ممكن وواجب رأى انفرد به ابن سينا فربما أتى به من عند نفسه ، أو ربما أخذته عن الفارابي وإخوان الصفا ، أو عن المتكلمين ، وخصوصاً عن أبي المعالي الذي قال : « إن العالم بأسره جائز . قال ابن رشد : « ونحن نجد ابن سينا يذعن لهذه المقدمة بوجهه ، وذلك أنه يرى أن كل موجود ما سوى الفاعل ، فهو إذا اعتبر بذاته ممكن وجائز » (ابن رشد ، كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ٤٠) ، وقال أيضاً : « إن المتكلمين يرون ... أن الموجود ينقسم إلى ممكن وضروري ، وأن الممكن يجب أن يكون له فاعل ، وإن العالم بأسره لما كان مكناً وجب أن يكون الفاعل له واجب الوجود . هذا هو اعتقاد المعتزلة قبل الأشعرية ، وهو قول جيد ، ليس فيه كذب إلاّ ما وضعوا من أن العالم بأسره ممكن .. فأراد ابن سينا أن يعمم هذه

القضية ويجعل المفهوم من الممكن ماله علة ، وإذا سوّم في هذه التسمية لم تنتهِ به القسمة إلى ما أراد لأن قسمة الموجود أولاً إلى ما ماله علة وإلى « مالا علة له » ليست قسمة معروفة بنفسها (كتاب تهافت التهافت ٧٢) .

لقد زعم ابن سينا أن الواجب الوجود بغيره ممكناً بذاته ، وأن الممكن يحتاج إلى واجب ينقله من حالة الوجود بالقوة إلى حالة الوجود بالفعل ، فقال ابن رشد : إن الواجب ليس فيه إمكاناً أصلاً ، ولا يوجد شيء ذو طبيعة واحدة ، ويقال في تلك الطبيعة إنها ممكنة من وجه ، وواجبة من وجه . قال ابن رشد : وليس يصح أن يقال : « هنا شيء ممكناً من ذاته ، أزلي وضروري من غيره ، كما يقول ابن سينا إن الواجب منه ما هو واجب بذاته وواجب بغيره إلا في حركة السماء فقط ، وإنما أن يوجد شيء هو في جوهره ممكناً وهو من قبل غيره ضروري الوجود فلا يمكن ذلك ، لأن الشيء الواحد لا يمكن أن يكون من قبل جوهره ممكناً الوجود ، ويقبل من غيره الوجود ضروري إلا لو أمكن فيه أن يتقلب طبعه ، وإنما الحركة فيمكن فيها أن تكون واجبة من غيرها ممكناً بذاتها . والسبب في ذلك أن الوجود لها من غيرها وهو المحرك ، فإن وجدت سرماندية فواجباً أن يكون ذلك من قبل محرك (سرماندي) لا يتحرك بالذات ولا بالعرض ، فالبقاء للحركة من قبل غيرها وإنما للجوهر فمن قبل ذاته ، ولذلك لم يمكن أن يوجد جوهر ممكناً من ذاته ضروري من غيره ، وأمكن ذلك في الحركة» (تقسيم ما بعد الطبيعة ٣/١٦٣٢) .

ومعنى ذلك أن ابن رشد يحيّز اقسام الموجودات إلى ممكناً وواجب في الحركة ، ويعنيه في الجواهر لأن الجواهر عنده أزليّة ، والبقاء لها من قبل ذاتها ، لا من قبل غيرها ، والممكن الوجود لا يمكن أن يصبح

واجب الوجود إلا إذا اتقلبت فيه طبيعة الإمكان إلى طبيعة الضرورة ، والإمكان السردي هو الوجود الضروري ، أمّا عند ابن سينا فإن الجوادر ممكنة بذاتها وواجبة بغيرها . والجزئيات أعراض ممكنة بالقياس إلى الكليات ، وقولنا إنها أعراض ممكنة بذاتها وواجبة بغيرها لا يجعل العالم داخلاً في حظيرة الإمكان بل يجعله مع إمكانه مصطفغاً بصبغة الوجوب .

٢ - الماهية والوجود :

تطلق الماهية على الأمر المتعقل مثل المتعقل من الإنسان ، وهو الحيوان الناطق ، مع قطع النظر عن الوجود الخارجي . فإذا سألنا ما المثلث مثلاً سألنا عن معناه المتصور في الذهن ، فالامر المتصور في الذهن من حيث هو مقول في جواب ما هو يسمى ماهية ، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة ، ومن حيث مطابقته لشيء الموجود في الخارج يسمى صادقاً . قال ابن رشد : « والصادق من إيجاب أو سلب هو الذي يكون من خارج النفس على ما هو عليه في النفس ، والكاذب ضد ذلك » (تفسير ما بعد الطبيعة ٤٥٥/١) ، ومسألة المطابقة بين الأشياء المتضورة في الذهن والأشياء الموجودة في الخارج من أعوص المسائل التي شغل بها الفلاسفة خلال حقب طويلة من الزمان ، حتى إن ابن سينا الذي عني بهذه المسألة عنابة بالغة لم يقتصر على التمييز بين وجود الماهية في الذهن ووجودها أو عدم وجودها في الخارج ، بل قرر أن للمعقولات ثلاثة أنماط من الوجود ، وهي :

١ - وجودها في العقل الإنساني مجردة من الواقع الحسي .

٢ - وجودها في الأعيان وجوداً طبيعياً غير مفارق .

٣ - وجودها في العقل الفعال .

ولكن تصور الماهية عند ابن سينا لا يستلزم وجودها الخارجي ، لأن

الوجود في نظره ليس مقوماً للماهية ، وإنما هو صفة عرضية لازمة لها ، وهو في ذلك يقول : « ليس من شأن المعنى المتصور أن يكون له في الوجود مثال بوجه ، مثل كثير من معاني الأشكال الموجودة في كتب الهندسة ، وإن كان وجودها في حيز الإمكان ، ومثل كثير من مفهومات ألفاظ لا يمكن وجود معانها ، مثل مفهوم لفظ الحلاء ، ومفهوم الغير المتناهي في المقادير ، فإن مفهومات هذه الألفاظ تتصور مع استحالة وجودها ، ولو لم تتصور لم يكن سلب الوجود عنها . فإن ما لا يتصور معناه من الحال أن يسلب عنه وجود ويحكم عليه بحكم سواء كان إثباتاً أو نفياً » (ابن سينا ، منطق المشرقيين ، ٣١ - ٣٢) ، ويقول أيضاً : إن الوجود صفة رئيسية للأشياء ذات الماهيات المختلفة محمول عليها ، خارج عن تقويم ماهياتها » (المصدر نفسه ، ٢٢) ، ولا يمكن أن يكون الوجود صفة مقومة للماهية ، لأن الموجود مساوٍ للواحد والواحد كما ذكرنا آنفاً من لوازم الماهيات لا من مقوماتها .

وقد بين ابن سينا في كتاب الإشارات أن ماهية الشيء قد تكون علةً لإحدى صفاتـه ، ولكنـها لا تكون علةً لـوجودـه . إن العلة متقدمة على المعلول في الـوجود فـكيف يمكن أن تكون المـاهـيـة عـلـة الـوـجـود وـهـي لا تزال في حـظـيرـة الإـمـكـان . فـهـنـاك إـذـن فـرقـ حـقـيقـيـ بين مـاهـيـة الشـيـء وـجـودـه ، يـدلـ على ذلك قولـ ابنـ سـيناـ فيـ تـصـنـيفـ العـلـومـ : إنـ العـلـمـ الطـيـعـيـ يـبـحـثـ فيـ أـمـورـ حدـودـهاـ وـجـودـهاـ مـتـعـلـقـ بـالـمـادـةـ وـالـحـرـكـةـ ، وـإـنـ العـلـمـ الرـيـاضـيـ يـبـحـثـ فيـ أـمـورـ وـجـودـهاـ مـتـعـلـقـ بـالـمـادـةـ وـالـحـرـكـةـ ، وـحـدـودـهاـ غـيرـ مـتـعـلـقـ بـهـاـ ، وـإـنـ العـلـمـ الإـلـهـيـ يـبـحـثـ فيـ أـمـورـ لـاـ وـجـودـهاـ وـلـاـ حـدـودـهاـ مـتـعـلـقـ بـالـمـادـةـ وـالـحـرـكـةـ . فـفـرقـ كـمـاـ تـرـىـ بـيـنـ حـدـودـ الـأـشـيـاءـ وـجـودـهاـ فيـ الـخـارـجـ ، وـالـحـدـ عـنـانـ الذـاتـ ، أوـ هوـ القـولـ المـفـصلـ الدـالـ عـلـيـ مـاهـيـةـ الشـيـءـ كـحـدـ الـمـلـلـ الـمـسـاوـيـ الـأـضـلاـعـ ، فـإـنـهـ يـوـيدـ فيـ النـفـسـ صـورـةـ مـعـقـولةـ

مطابقة ل Maher المثلث ، ولكن لا يستلزم بالضرورة وجود المثلث بالفعل في العالم الخارجي . ولم يكن ابن سينا أول من أخذ بهذا الرأي فقد سبقه إلى ذلك من فلاسفة الإسلام أبو نصر الفارابي في كتاب فصوص الحكم ، حيث يبين أن الوجود لا يدخل في تقويم الماهيات الممكنة ، وإذا انقسمت الموجودات إلى ممكن وواجب أمكننا أن نقول إن الماهية والوجود هما في الموجود الواجب بذاته شيء واحد ، أما في الموجودات الممكنة بذاتها والواجبة بغيرها فالوجود غير مقوم للماهية .

ذلك هو رأي ابن سينا في علاقة الماهية بالوجود ، وهو مختلف عن رأي ابن رشد تمام الاختلاف ، لأن ابن رشد يرى أن قولنا في الشيء إنه موجود لا يدل على معنى زائد على جوهره ، وكذلك وجوب وجود الشيء وإمكان وجوده فإنه لا يدلان على معنى زائد على الماهية . وهو يلوم ابن سينا على قوله إن الوجود عرض لاحق للماهية ، وإن كل ما كان وجوده زائداً على ماهيته فله علة ، وكل ما له علة أوجبت وجوده فهو ممكن بذاته وواجب بغيره .

وفي الحق أن لفظ الموجود يدل عند ابن رشد على معنيين :
 « (أحدهما) ما يدل على الصادق مثل قولنا هل الشيء موجود أم ليس موجود ، وهل هذا يوجد كذا أو لا يوجد كذا .
 « (الثاني) ما يتنزل من الموجودات منزلة الجنس ، مثل قسمة الموجودات إلى المقولات العشر ، وإلى الجوهر والعرض .

« فإذا فهم من الموجود ما يفهم من الصادق لم يكن خارج النفس كثرة ، وإذا فهم منه ما يفهم من الذات والشيء كان اسم الموجود مقولاً على واجب الوجود ، وعلى ما سواه بتقديم وتأخير مثل اسم الحرارة المقول على النار وعلى الأشياء الحارة » (ابن رشد ، تهافت التهافت ٧٨) . فإذا قلنا إن الماهية متقدمة على الوجود ، وإن الوجود يرد على الشيء أو يضاف إليه

من خارج لم يفهم من قولنا هذا أن لفظ الوجود المستعمل هنا هو الوجود الذي يدل على ذات الأشياء بل فهم منه أنه الوجود الذي يدل على الصادق. مثال ذلك أن المثلث له ماهية وهي كونه شكلاً تحيط به ثلاثة أضلاع ، وليس الوجود جزءاً من هذه الماهية مقوماً لها . ولذلك يجوز أن يدرك العقل ماهية المثلث ، وليس يدركي هل له وجود في الأعيان أم لا ؟ فإن كان المعنى الذي في الأذهان مطابقاً لشيء الذي في الأعيان كان صادقاً ، وإن لم يكن كذلك كان كاذباً . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول إن تصور الماهية متقدم على الوجود في الخارج .

ولكن اسم الموجود لا يدل على الصادق فحسب ، بل يدل على شيء آخر ، وهو ذات الشيء . إنما لا نطلب معرفة ماهية الشيء حتى نعلم أنه موجود ، فالماهية الموجودة في الذهن والمتقدمة على الوجود ليست في الحقيقة ماهية ، وإنما هي شرح معنى اسم من الأسماء . فإذا علم أن ذلك المعنى موجود خارج النفس علم أنه ماهية ، وقد جاء في كتاب المقولات لأرسطو أن كليات الأشياء المعقولة إنما صارت موجودة بأشخاصها ، وأشخاصها معقولة بكلياتها ، وجاء في كتاب النفس أن القوة التي بها ندرك أن الشيء مشار إليه وموجود غير القوة التي ندرك بها ماهية الشيء المشار إليه . ولذلك قيل إنَّ الأشخاص موجودة في الأعيان ، والكليات متقدمة في الأذهان ولا معنى لقول ابن سينا إن الوجود زائد على الماهية ، لأنَّه لو كان زائداً عليها لكان كالواحد عرضاً مشتركاً ، وهذا في نظر ابن رشد غير صواب .

فأنت ترى أن بين رأي ابن رشد ورأي ابن سينا اختلافاً كبيراً ، لأن ابن سينا يزعم أن الوجود زائد على الماهية ، وأن ماهية الشيء متقدمة على وجوده على حين أن ابن رشد يقول إن الماهية لا تقدم على الوجود إلا إذا فهم من اسم الموجود أنه يدل على الصادق ، ولكن إذا فهم من

اسم الموجود أنه يدل على ذات الشيء كان الوجود مقوتاً للماهية لا لازماً لها . إنك لا تدرك ماهية الشيء إدراكاً حقيقة حتى تعلم أنه موجود ، وهذا أقرب إلى رأي الوجوديين المعاصرين الذين يرون أن ماهية الشيء عين وجوده .

٥ - خاتمة

ونزيد الآن أن نختم هذا المقال باشارة سريعة إلى ما يريده ابن سينا بقوله : إن اسم الواحد عرض في الجوهر ، وإن الوجود لازم للماهية لا مقوّم لها . إن ابن سينا آرسطي العقل ، أفلاطوني القلب ، إنه يبني هيكلآ أفلاطونياً بحجارة ثنائية ، والدليل على ذلك أن للمعقولات عنده وجوداً في العقل الفعال فوق العقل الإنساني ، والفرق بين معقولات ابن سينا ومثل أفلاطون أن الأولى مجتمعة في العقل الفعال ، والثانية قائمة بذاتها في عالم الآلة . ومع أن ابن سينا يبطل المثل الأفلاطونية كما يبطلها آرسطو ، فإنه لم يستطع أن يفسر لنا حصول المعرفة في العقل الإنساني إلا بطريقين : أحدهما طريق الإحساس ، والآخر طريق التأمل ، ذلك لأن المعرفة لا تحصل بتأثير قوى النفس وحدها ، بل تحصل باشراف المعقولات على النفس الإنسانية من العقل الفعال . وقد قلت في موضع آخر إن العقل الفعال يجمع الصور العقلية التي تفيض عليه من الجواهر العلوية ثم يرسلها إلى عالم الكون والفساد ليكسو بها المادة ، هكذا تفيض الصور الحسية على المادة لتنتقلها من حالة الوجود بالقوة إلى حالة الوجود بالفعل ، وهكذا أيضاً تفيض الصور العقلية على النفس الإنسانية لتولد فيها المعرفة المطابقة لحقائق الأشياء . فالمعرفة إذن هي الاتصال بعالم المعقولات ، والإشراق هو اتحاد إدراك العقل بجواهر الوجود ، ولو اقتصرت النفس على القوى الحيوانية من حس وخيال ووهم لما استطاعت أن تنتقل من إدراك الجزئيات

إلى إدراك الكليات ، والفرق بين ابن سينا وأفلاطون أن الأول يجعل المقولات قائمة في العقل الفعال ، على حين أن الثاني يجعلها قائمة بذاتها خارج كل عقل .

وظاهر أن ابن سينا لم يقدم هذه المقدمات ولم يأخذ بنظرية الفيصل الأفلاطونية إلا ليجعل فلسفته موافقة للدين . فالله في هذه الفلسفة هو الواجب الوجود الذي يوصف بأنه واحد ، وتم ، وخير ، وكامل ، ومبدع ، وهو واجب الوجود بذاته لا يشوب وجوده شيء من الإمكان والإضافة ، فوجوده عين ماهيته ، ووحدانيته عين ذاته . أما ما خلا الله من الموجودات الممكنة بذاتها ، والواجية بغيرها فالوجود فيها عرض مضاد على الماهية ، والوحدة فيها من لوازם الماهيات لا من مقوماتها . لا تصبح الماهيات موجودة بالفعل في العالم الخارجي إلا بفعل مبدأ مفارق تفيض عنه الصور على المادة لتلبسها ثوباً من الجمال والخير . نعم ، إن الماهيات المعقولة موجودة في العقل الإنساني على سبيل الانفعال كما هي موجودة في العقل الفعال على سبيل الفعل ، ولكن وجودها في العالم الخارجي بالفعل يحتاج إلى علة فاعلة تنقلها من حالة اللاتعين إلى حالة التعين ، وهذه العلة الفاعلة هي الصانع أو الله الذي يعطي جميع الماهيات ، ذلك المعنى الذي تصير به موجودة ، فيين الوجود في العالم الخارجي وبين الوجود في العقل الإنساني مطابقة تامة ، كما أن بين الكليات الثابتة ، والجزئيات المتغيرة موازاة حقيقة . والسبب في هذه المطابقة أن الأصل الذي تصدر عنه الصور في كلا الحالين واحد . وفي هذه الصور التي تفيض على العالم صبغة إلهية تحمل الأشياء واجبة وضرورية ، نعم إن العالم في نظر ابن سينا داخل في مقوله الممكن وعلاقته ببعده كعلاقة الممكن بالضروري ، ولكن هذا الإمكان الذي اتشع به العالم ليس حادثاً في زمان معين . ولو أخذ ابن سينا بمذهب وحدة الوجود الذي يوحده الله والعالم لما احتاج إلى التمييز بين الماهية الوجود ، ولا بين الإمكان والوجود ،

ولكنه زعم أن هناك عالماً مفارقًا تقىض عنه الصور على العالم المحسوس وتقل الأشياء من حالة الوجود الممكن إلى حالة الوجود الضروري . وفي هذا القول كما لا يخفى أثر من أفلاطون واضح لم يبق منه في فلسفة ابن رشد شيء . لقد ترددت الفلسفة العربية بين أفلاطون وأرسطو مدة طويلة من الزمان ، فلما انتشرت تأليف ابن رشد عادت إلى أحضان أرسطو واستقرت فيها . لقد قال ابن سبعين إن خلاف ابن سينا لأرسطو لما يشكرون عليه ، ولكن ابن رشد الذي كان بالجملة مقلداً لم يشكرون ابن سينا على ما خالف به أرسطو ، بل لامه على ذلك لوماً شديداً . وإذا كان نقه لابن سينا أخف من نقه للغزالى ، فرد ذلك إلى أن الغزالى كان عدو الفلاسفة اللدود ، وقتال العدو للعدو لا يشبه عتاب الصديق للصديق . إن نسبة ابن رشد إلى سلفه ابن سينا كنسبة أرسطو إلى أفلاطون ، أو كنسبة القديس توما الأكوينى الذى كان أرسطوياً إلى القديس انسlem الذى اتبع طريقة القديس أوغسطينوس وكان في جدله أفلاطونياً .

لقد قال أرسطو في المقالة الأولى من كتاب ما بعد الطبيعة إن الإنسان لا يصل إلى الحقيقة دفعة واحدة ، وإنه ينبغي له أن يعترف بفضل العلماء السابقين وإن كانت آراؤهم مخالفة لرأيه ، وإذا كان أرسطو قد رد على كل من جاء قبله حتى على أستاذه أفلاطون ، فرد ذلك إلى رغبته في إظهار الحق . ولو لا ذلك لما اعتذر عن مخالفة أستاذه بقوله : أفلاطون صديقي ، والحق صديقي ، ولكن الحق أولى بالمحبة . لقد رد ابن رشد على الغزالى وابن سينا كما رد أرسطو على أفلاطون ، ولكن لوم يكن ابن سينا لم يكن الغزالى ، ولو لم يكن الغزالى لم يكن ابن رشد .

جميل صليبا

أبو الفداء : الملك العلامه

الدكتور محمد كامل عياد

يعتبر أبو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي ، صاحب حماة من ألمع الشخصيات في تاريخ العرب والإسلام ، فهو من أسرة الأمراء الأيوبيين الذين حكموا مصر ولبلاد الشام أكثر من ثمانين عاماً وامتازوا بالشجاعة والإقدام ، وأبنلوا بلاءً حسناً في محاربة الصليبيين وطردتهم من هذه الأقطار ..

ولد أبو الفداء في جمادى الأولى من سنة (٦٧٢) هجرية المواقف تشنين الثاني سنة (١٢٧٣) ميلادية بعاصمة دمشق التي كان أهلها قد جفلوا إليها من غارة التتار . وبعد انتصار الجيوش الإسلامية على التتار خارج حمص في سنة (٦٨٠) ^(١) عاد الملك المنصور محمد ، صاحب حماة إلى بلده ومعه أهله وأخوه الملك الأفضل والد أبي الفداء . ولما انقل الحكم إلى الملك المظفر محمود في سنة (٦٨٣) ظل عمه الملك الأفضل يساعده في إدارة الحكومة وقيادة عساكر حماة . وقد رافق أبو الفداء في السنة التالية وهو في الثانية عشرة من عمره أباه ، وابن عمه الملك المظفر عند محاربة القرنج وفتح حصن (المرقب) الشهير ^(٢) . وفي سنة (٦٨٨) ساهم أبو الفداء في الهجوم على طرابلس وتحريرها من الصليبيين ^(٣) . وفي سنة (٦٩٠) أصبح أبو الفداء (أمير عشرة) فعهد إليه بنقل إحدى العجلات

(١) راجع كتاب الختصر في أخبار البشر طبعة استانبول سنة ١٢٨٦ ، المجلد ٤ ، صفحة ١٥

(٢) الختصر ، المجلد ٤ ، صفحة ٢٣

(٣) المصدر نفسه ، صفحة ٢٤

حمل المنجنيق العظيم المسمى المنصوري من حصن الأكراد إلى دمشق ثم إلى عكا . وكان ذلك في أواخر فصل الشتاء . ويبين لنا أبو الفداء في تاريخه (١) ما لاقاه الجنود في الطريق من مصاعب بسبب الأمطار والثلوج ، ثم يصف لنا بدقة مراحل الحصار والقتال في ظروف قاسية زادها سدّة هبوب الرياح العاتية ، وارتفاع أمواج البحر ، وعنف مقاومة الفرنج . وبعد أن نزّه أبو الفداء بشجاعة عسكر حماة وأشار إلى أن الفرنج الصليبيين كانوا استولوا على عكّا وأخذوها من السلطان صلاح الدين الأيّوبي ظهر يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة سنة (٥٨٧) فاستعادها الآن في سنة (٦٩٠) السلطان الأشرف صلاح الدين بن قلاوون كذلك يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة .

بعد وفاة والده احتلَّ أبو الفداء مكانه في دولة حماة كمساعد لابن عمه الملك المظفر محمود الذي رفع رتبته في الجيش ، فظل يشترك في الحملات العسكرية والمحروب ضد التتر والأرمن في الأنضول .

ولما مات الملك المظفر محمود فجأة في سنة (٦٩٨) خرجت مملكة حماة مؤقتاً من أيدي الأسرة الأيّوبية — القوية إذ أنه لم يكن للملك المظفر ولد يستطيع وراثته ، كما لم يتمكن سائر أفراد الأسرة وفي مقدمتهم أبو الفداء وأخوه أسد الدين عمر وبدر الدين حسن من الاتفاق على مرشح ملك حماة (٢) فانتهز السلطان الناصر محمد بن قلاوون هذه الفرصة لإرضاء أحد رفقاء من الماليك هو (قراسنقر) فأرسله نائباً عنه في حماة ثم تعاقب على هذه النيابة عدد من الماليك حتى سنة (٧١٠) .

وقد عرف أبو الفداء في هذه الفترة كيف يتودد إلى السلطان المملوكي

(١) المختصر ، المجلد ٤ الصفحة ٢٥ - ٢٦ .

(٢) راجع المختصر ، مجلد ٤ صفحة ٤٣ .

محمد بن قلاوون ويخدمه ويقدم إليه المدابا ، واستطاع أن ينال ثقته حتى وعده بملك حماة . وساعد على إنجاز الوعد توسط (منها بن عيسى) أمير عرب الفضل الذي كان له نفوذ كبير في المملكة ، والذي حصل في سنة ٧١٠ على مرسوم من السلطان بتعيين أبي الفداء نائباً في حماة ^(١) . وبعد أن تسلم أبو الفداء مقايد الأمور لقب بالملك الصالح ، وأخذ يسعى إلى تقوية صلاته بالسلطان الناصر ، حتى عهد إليه في سنة ٧١٢ بالملك عوضاً عن النيابة ، ولقبه بالملك المؤيد ^(٢) . وظل أبو الفداء يتربّد على القاهرة من حين إلى آخر ، ويزور السلطان محمد بن قلاوون وينخرج معه إلى الصيد ويرافقه إلى الحج . وكان السلطان يعرف أقدار الرجال ، وينحب أهل العلم ، وقد تأكد من إخلاص أبي الفداء له ، وأعجب بسيرته وبمارآه من آدابه وفضائله ، فكان يكرمه ويحترمه ويعظمه . ولذلك رفع في سنة ٧٢٠ رتبته فألبس شعار السلطة ^(٣) وفوض إليه بأن يفعل في حماة ما يشاء من إقطاع وولاية دون مراجعة القاهرة ، وإنما عليه أن يجرد العسكر من مدینته حماة عند تجنيد الجيوش من مصر والشام ، كما رسم بأن يخطب له على منابع حماة وأعمالها ، وأن يخاطب « بالمقام العالي ، المولوي ، السلطاني ، الملكي ، المؤيدي على ما كان عليه الأمر مع عمه الملك المنصور » ^(٤) .

إن نجاح أبي الفداء في استعادة ملك أسرته واحتفاظه بـسكنة سامية في العهد المملوكي الذي كثرت فيه التقلبات والاضطرابات الداخلية دليل قاطع على ما كان يتحلى به من مهارة وحنكة ومرؤنة سياسية أشار إليها مؤرخو عصره ...

(١) المختصر ٦٣-٦٤ / ٤

(٢) المصدر نفسه ٤/٩٠

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، « طبعة القاهرة ١٣٥٨ » ١٤/٩٥ - ٩٦

كذلك برهن أبو الفداء على كفاءة فاتقة في إدارة مملكة حماة . فكان كثير العناية بصالح الناس و حاجاتهم ، عادلاً في أحکامه ، شديد الاهتمام بعمران البلاد و ازدهارها . وقد شيد الكثير من المباني الجميلة سواء القصور أو الجوامع أو المدارس أو المهامات التي ما زال بعضها قائماً ..

ثم إن أبي الفداء كان ، مثل الكثيرين من الأمراء الأيوبيين ، ينظم الشعر الجيد ، ويحب أهل العلم والأدب ، فيقربهم ويشجعهم ويجيزهم بسخاء على مدائحهم له ، بل كان قد خصص رواتب دائمة لبعض الشعراء . ويقول ابن حجر العسقلاني : « لا أعرف في أحد من الملوك من المدائح ما لا ين بناة والشّاب محمود وغيرهما ، في أبي الفداء إلا سيف الدولة »^(١) .

وقد أجاد أبو الحasan بن تغري بردي في تعداد صفات أبي الفداء ومزاياه الجمة إذ قال : « كان ملكاً عالماً ، عادلاً ، سخياً ، جواداً ، ممدحاً ، عاقلاً ، ديناً خيراً ، ذا رأي وتدبير و معرفة وسياسة ، مع الحلم والرياسة ، صاحب معروف وصدقات ، ذكياً ، فاضلاً ، ذا همة عالية ونفس زكية ، محباً لأهل العلم والخير ، كثير الإكرام لهم ، يعطي العطيات الجزيلة ويجيز على المدائح بالجوائز السنوية »^(٢) .

أما الشيخ جمال الدين الأسنوي فقد خص أبي الفداء بترجمة عظيمة في كتابه (طبقات الشافعية) وركز اهتمامه على الناحية العلمية وقال إنه « كان جاماً لاشتات العلوم ، أعيوبه من أعيوب الدنيا ، ماهراً في الفقه والتفسير والأصولين والنحو وعلم الميقات والفلسفة والمنطق والطب والعروض والتاريخ ، وغير ذلك من العلوم »^(٣) .

(١) الدرر الكاملة ، المجلد ١ في ترجمة الملك المؤيد إسماعيل بن علي .

(٢) المنهل الصافي ، المجلد ٩ في ترجمة أبي الفداء .

(٣) نقاً عن أبي الحasan في المصدر نفسه .

(٤) م

ثم يروي الأسنوي كيف أن أبو الفداء ، عند قدومه إلى مصر في إحدى المرات ، استدعاه إلى مجلسه بصحبة الطيبين الشهيرين ركن الدين ابن القوبع والصلاح ابن البرهان فجرى البحث في عدة من العلوم شارك فيها أبو الفداء مشاركة عالم محقق ، ثم اننقل الحديث اتفاقاً إلى علم النبات والخانش ، فكان كلامه ذكر نبات تكلم على صفاتة ، والأرض التي ينبع منها ، والمنفعة التي فيه ، واستطرد في ذلك استطراداً عجياً . وهذا الفن هو الذي كان يتبعه الطيبيان ابن القوبع وابن البرهان بالاختصاص به ، بينما أكثر الأطباء يجهلونه ، فلما خرجا تعجبوا إلى الغاية ، وقال الشيخ ركن الدين : « ما أعلم ملكاً من ملوك المسلمين وصل إلى هذا العلم »^(١).

ويتبين من الأخبار أن أبو الفداء كان يمارس الطب عملياً في بعض الأحيان . فقد مرض مرة ولده الملك الأفضل ، وكان يرافقه في رحلة إلى مصر ، فأرسل السلطان رئيس أطبائه الذي صار يأتي إليه بكراة وعشية فيجده حاضراً ليباحثه في سير المرض ، ويقدر الدواء ويتزوجه بيده في دست من الفضة . وقد اضطرب رئيس الأطباء إلى أن يعترف بهارته في الطب ويقول له : « يا سيدي ، والله ما نحتاج إلى ، وما أجيء إلا امتثالاً لأمر السلطان »^(٢) .

وفي الحقيقة فإن أبو الفداء إنما اشتهر في التاريخ ، قبل كل شيء ، بأنه هو نفسه كان من كبار العلماء العرب . ويتفق المؤرخون الذين بحثوا في سيرته على أنه قد شارك في علوم وفنون كثيرة من فقه وفلسفة وطب وغير ذلك ، وأن أجود ما كان يعرفه ويتقنها علم الهيئة .

(١) المصدر نفسه ١٣

(٢) ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ١٧/١

وما يدعو إلى الإعجاب حقاً أن نشأة أبي الفداء العسكرية واستراكه في الحروب العديدة ثم مشاغله الإدارية والسياسية ، ورحلاته المتعاقبة إلى مصر للاتصال بالحكام المالكين لم تمنعه جيناً من الاستمرار في طلب العلم ، واقتاء الكتب القيمة ومطالعتها ، وحضور مجالس العلماء والمشاركة في مناقشاتهم . والأعجب هو أنه فوق كل ذلك ، وجد الوقت الكافي ، وبذل الجهد الضروري ليقوم بتأليف جملة من الكتب النفيسة التي احتلت مكانة سامية ، وقالت شهادة واسعة في الأوساط العلمية ، والتي مازالت تسترعى الاهتمام وتستحق الدراسة .

لقد انكبَ أبو الفداء على البحث العلمي . ولا يذكر المؤرخون أنه كانت تعقد في قصره مجالس الشرب واللهو ، بل يتفق الجميع على أنه كان متديناً ، وأنه قد انصرف إلى مسامرة الشعراء ، ومحاورة العلماء الذين كان يدعوهم إلى حماة التي أصبحت في عهده مركزاً لحركة ثقافية شاملة . وظل أبو الفداء يتبع الدراسة واقتباس المعرفة وتأليف الكتب طوال عمره ، إلى أن توفي في الثالث والعشرين من المحرم سنة ٧٣٢ هجرية - ١٣٣١ ميلادية .

من الأساتذة الذين تلقى أبو الفداء العلم منهم نعرف الشيخ أثير الدين عبد الرحمن الأبهري الذي كان بارعاً في الطب والهيئة ، ويتقن الحساب والمساحة والاصطراكاب . وقد أخذ عنه أبو الفداء العلوم الرياضية وأسكنه في حماة وقدمه وأجرى عليه رزقاً^(١) .

ويذكر أبو الفداء لنفسه أستاذآ آخر هو قاضي القضاة في حماة الشيخ جمال الدين محمد بن واصل الذي كان يتردد إليه كثيراً ، ويعرض عليه ما يحمله من أشكال (أقليدس) ، ويستفيد منه معارف أخرى^(٢) .

(١) راجع ترجمة حياته في (الدرر الكامنة) ٤/٣٣٩

(٢) المختصر في أخبار البشر ٤٠ - ٤٩/٤

يروي المؤرخون وأصحاب التراجم جملة من الأشعار ، وعلى الأخص الموسحات التي نظمها أبو الفداء ، والتي لم تجمع حتى الآن . وهو قد ألف عدداً من الكتب نذكر منها :

١ - نظم كتاب (الحاوي الصغير) في الفقه الثافعي ، تأليف نجم الدين عبد الغفار القزويني .

٢ - كتاب (الموازين) . يقول (رينو) و (دوسلان) في مقدمتها لطبعة كتاب (تقويم البلدان) باريس ١٨٤٠ : إن كتاب (الموازين) ربما كان عبارة عن المنظومة في الفلك المحفوظة مخطوطة منها في مكتبة (بودليان) باكسفورد .

٣ - شرح (نظم الكافية) في النحو لابن الحاجب .

٤ - (التبر المسووك في توارييخ الملوك) ؛ ذكر فهرس دار الكتب المصرية أنه يتضمن توارييخ المماليك سلاطين مصر والشام .

٥ - (الكناش) ؛ وقد ذهب رينو ودوسلان في مقدمة تقويم البلدان إلى أن (الكناش) كتاب في الطب من عدة مجلدات ، ولكن الأستاذ الدكتور حسن الساعاني في دراسته عن «منهج أبي الفداء في البحث» التي ألقاها في مهرجان أبي الفداء بدمشق ذكر أنه اطلع على مخطوطة من الكناش بدار الكتب المصرية ، كتب على صفحتها الأولى أن «الكناش» مرتب على سبعة كتب ، وأن المخطوطة المذكورة تؤلف الكتاب الأول الذي يبحث في «النحو والتصريف» ، وجاء على هامش الصفحة الأولى أن الكتب الأخرى تبحث في الفقه ، والطب ، والتاريخ ، والأخلاق ، والسياسة والزهد ، والأشياء ، وفي فنون مختلفة .

على أنه لم ينقل إلينا من مؤلفات أبي الفداء ولم ينشر سوى الكتاين المشهورين :

٦ - تقويم البلدان .

٧ - اختصر في أخبار البشر .

أما كتاب (تقويم البلدان) الذي انتهى أبو الفداء من تأليفه في سنة ٧٢١هـ فإنه ليس - خلافاً لما ادعاه أحد المستشرقين - عبارة عن مجموعة هزلية من المعلومات نقلت عن المصادر القديمة^(١) ، بل إنه موسوعة مبتكرة امتازت بالدقة والشمول والوضوح . وقد اشتهر كتاب « تقويم البلدان » منذ صدوره ونال ثقة جميع الباحثين في العصور التالية . فقام العلامة (شيس الدين الذهبي) معاصر أبي الفداء باختصاره والتعليق عليه ، واقتبس عنه (القلقشندى) بعد مدة عصر أجزاء كثيرة في كتابه المشهور (صبح الأعشى) ، ثم قام في أواخر القرن السادس عشر الميلادي (محمد بن علي سباهي زادة) بترجمة مقاطع منه إلى اللغة التركية ، بعد أن رتبه على حروف المعجم ، وأخرجها تحت اسم (أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك)^(٢) .

كما في الشرق ، كذلك لاقى كتاب (تقويم البلدان) اهتماماً كبيراً في بلاد الغرب ، ونال شهرة واسعة لدى المستشرقين . وقد نشرت أجزاء منه منذ منتصف القرن السابع عشر وترجمت إلى اللغة اللاتينية . ثم عني المستشرقان الفرنسيان رينو ودو سلان بتحقيق المتن العربي ونشره والتصدر له بقدمة خاصة عن سيرة أبي الفداء وعن كتابه في سنة ١٨٤٠ ، كما قاما بترجمة القسم الأول منه في سنة ١٨٤٨ وقت ترجمة القسم الثاني من قبل (غيار) في سنة ١٨٨٣ .

(١) هكذا قال المستشرق الهولندي (كرامرس Kramers) راجع كتاب (تراث الإسلام Legacy of Islam) طبعة اكسفورد ١٩٣١م صفحة ٩١

(٢) راجع حاجي خليفة ، كشف الظنون ٣٩٣/٢ ، طبعة فلورغل .

يقول (رينو) و (دوسلان) : إن كتاب تقويم البلدان يمثل مؤلّفاً خخماً في مجاله ، وإن العصور الوسطى الأوروبيّة لم تعرف كتاباً يمكن مقارنته به . ويعلق المستشرق الروسي (كراتشكوفسكي) على ذلك قائلاً : « لا يزال هذا الحكم صحيحاً في جوهره حتى أيامنا هذه »^(١) . ويرى المستشرق الطلياني (آماري) أن كتاب (تقويم البلدان) قد حاز الإعجاب لأسلوبه المنزَن ونقدِه القويم . أما الأستاذ (جورج سارتون) صاحب الكتاب المشهور (مدخل إلى تاريخ العلم) فيصرح بأن أبا الفداء كان أعظم جغرافي في عصره^(٢) .

وفي الحقيقة فإن أبا الفداء قدم لنا في كتاب (تقويم البلدان) خلاصة المعرف الجغرافية التي توصل إليها علماء العرب قبله . وقد برهن على مقدرة عالية في جمع المواد من مظاهرها وتجيئها ، وأجاد في ترتيبها وعرضها ، وهو يبين لنا في مقدمة الكتاب طريقة العلمية في البحث ، وهدفه من التأليف إذ يقول : « إني لما طالعت الكتب المؤلفة في البلاد ، ونواحي الأرض والجبال والبحار وغيرها ، لم أجده فيها كتاباً موفياً بغرضي . فمن الكتب التي وقفت عليها في هذا الفن كتاب (ابن حوقل) ، وهو كتاب مطول ذكر صفات البلاد مستوفياً ، غير أنه لم يضبط الأسماء ، وكذلك لم يذكر الأطوال والعروض ، فصار غالب ما ذكره محبوّل الاسم والبقعة؛ ومع جهل ذلك لا تحصل فائدة تامة » . ثم أشار من جهة ثانية إلى أن الكتب المؤلفة في الأطوال والعروض تهم تحقيق الأسماء وبيان صفات

(١) كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، طبعة ليننغراد ١٩٥٧

صفحة ٣٨٩

G. Sarton : Introduction to The History Science . (٢)

Vol. 111 p. 793 - 799 .

المدن ، بينما الكتب التي تعنى بتصحيح الأسماء وضبطها لا ت تعرض إلى الأطوال والعرض ، وأضاف قائلاً : « ومع الجهل بالأطوال والعرض يجهل سهّلت ذلك البلد فلا يعرف الشرقي منها ولا الغربي ، ولا الجنوبي ولا الشمالي .. ولما وقنا على ذلك وتأملناه جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في الكتب المذكورة ، من غير أن ندعى الإحاطة بجميع البلاد أو بغالبها ، فإن ذلك أمر لا مطمح فيه » .

وقد رجع أبو الفداء إلى مصادر عديدة ليستقي منها مواد كتابه ، فاستعان بمؤلفات أشهر الجغرافيين العرب ، مثل (كتاب المسالك والممالك) (ابن حوقل) وكتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للشريف (الإدريسي) وكتاب المسالك والممالك (ابن خرداذبه) وكتاب (الأقاليم) للاصطخري و (جغرافية الأقاليم السبعة) لابن سعيد المغربي ، وقد اعتمد ، لتحديد خطوط الطول والعرض ، على كتاب (رسم الربع المعمور) المنسوب إلى (بطليموس) وعلى كتاب (القانون المساودي) للبيروني وكتاب (التذكرة) للعلامة نصير الدين الطوسي ، وعلى الكتاب المعروف باسم (العزيزي) للحسن بن الهلبي الذي لم يصل إلينا ، كما أنه استفاد عند ضبط الأسماء من كتاب (الأنساب) للسمعاني ، وكتاب (الباب) لابن الأثير وكتاب (المشترك وضعماً وال مختلف صقعاً) لياقوت الحموي ، (ولكنه لم يذكر كتابه المشهور « معجم البلدان » الذي ربما لم يكن اطلع عليه) .

على أن أبي الفداء لم يكن يكتفي بالاقتباس والنقل عن هؤلاء المؤلفين ، بل كان دوماً ينسب إلى كل واحد منهم ما أخذه عنه ، ثم يفحص أقوالهم ويقارنها وينتقداها .

تعجل عقرية أبي الفداء العالمية في أنه قد استطاع تنسيق المعلومات

الكثيرة ، الموعة التي جمعها من هذه المصادر ، وعرف كيف يختصرها ويختار منها ما هو مناسب وضروري بعد تحيصه ، كما أنه أحسن ترتيبها وعرضها بطريقة مبتكرة ، في شكل جداول لم يستخدمها جغرافي آخر قبله . كذلك اتبع تصنيفًا جديداً للأقاليم إذ فرق بين الأقاليم الحقيقة وهي الأقاليم السبعة المعروفة ، الطبيعية أو المناخية ، وبين الأقاليم العرفية التي يقصد بها كل ناحية أو سلسلة تشتمل على عدة كثيرة من الأماكن والبلاد ، مثل الشام والعراق وغيرها » . وقد عدَّ ٢٨ إقليماً عرفيًا ينقسم بعضها بدوره إلى أقاليم عرفية صغرى ، وقام بدراستها دراسة منهجية ، فذكر في كل إقليم أولاً حدوده وموقعه ، وبعض ظواهره الطبيعية ، ومراكزه البشرية ، ثم انتقل إلى الجداول التي تشتمل على أهم مدن الإقليم وقراءه . ويمتد كل جدول على صفحتين : في الصفحة الأولى بيان خطوط الطول والعرض ، وتحديد الموقع ، وضبط الأسماء لغويًا ؛ وفي الصفحة الثانية ذكر الأوصاف والأخبار العامة بصورة مكثفة ، مع التركيز على الظواهر الطبيعية ، وبعض النشاطات البشرية والاقتصادية والآثار التاريخية . وقد أشار أبو الفداء عند كل موقع إلى المصادر التي نقل عنها معلوماته ، وهو لا يقتصر هنا على مؤلفات الجغرافيين السابقين ، بل يستشهد أيضاً بأقوال الرحالة والتجار المعاصرين الذين اجتمع بهم ، أو بشهاداته الذاتية . وخلافاً لغيره من المؤلفين فإن أبو الفداء يركز البحث على المعلومات الجغرافية ، ولا يستطرد إلى المسائل الأدبية والتاريخية والأسطورية .

وبالنظر إلى مستوى علم الجغرافيا في عصر أبي الفداء ونقص آلات الرصد والقياس فليس غريباً إذا هو وقع في بعض الأخطاء أو نقلها عن غيره . ولا حاجة إلى الوقوف عند هذه الأخطاء لأن أهمية أبحاث أبي الفداء إنما تفاص بالنسبة إلى عصره وبالنسبة إلى الطريقة التي اتبعها في البحث .

ومن هذه الوجهة فإن كتابه (تقويم البلدان) قد تضمن خلاصة المعارف الجغرافية في ذلك العصر ، وهو يمتاز على غيره بروح النقد وصحة المعلومات ودقتها وحسن الترتيب ...

أما الكتاب الثاني الذي انتقل إلينا ، ونال أيضاً شهرة واسعة فهو كتاب (اختصر في أخبار البشر) . يقول أبو الفداء في مقدمة الكتاب إنه قد اختاره واختصره على الأخص من كتاب (الكامل في التاريخ) لعز الدين بن الأثير الجزري . ومن المعروف أن ابن الأثير إنما اختصر بدوره كتابه هذا من (تاريخ الأنبياء والملوك) لأبي جعفر الطبرى ، مع إضافة فصول عن أيام العرب ، ومعلومات عن المغرب ، ثم سجل الأحداث التي وقعت بعد سنة ٣٠٢ هجرية ، التي كان الطبرى وقف عندها لينتهي إلى سنة ٦٣٨ هجرية .

وقد اعتبر كتاب (الكامل) خير ما أُلف من كتب الحواليات في التاريخ الإسلامي ، لما امتاز به من مادة غزيرة ، وتبويب حسن ، وأسلوب شيق ، ولغة دقيقة ، واضحة . على الرغم من ذلك فإن ابن الأثير قد غفل عن بعض الحوادث الهامة ، ووقع في كثير من الأخطاء ، عدا أنه كان يهمل في الغالب ذكر مصادره ، وينعرف أحياناً ويتحزب . وقد لاحظ أبو الفداء هذه الشوائب ، وعرف أن كتاب (الكامل) ليس كاملاً من جميع الوجوه ، وكان من الطبيعي أن لا يقتصر عالم محقق ، واسع الاطلاع مثله على النقل والاقتباس ، بل لا بدّ له من أن يسعى إلى التأكيد من صحة الأخبار ، وإلى ضبط التواريخ ، والأسماء بالرجوع إلى المصادر الموثوقة . وهذه الغاية استعان أبو الفداء بجموعة من المؤلفات القيمة التي قلما نجد لبعضها ذكرآ عند غيره من المؤرخين . فعلاوة على كتب معروفة مثل (تجذب الأمم) لابن مسكونيه ، و (وفيات الأعيان) لابن خلkan،

و (تاريخ اليمن) للفقيه عمارة اليمني ، و (المغرب في أخبار أهل المغرب) لابن سعيد المغربي ، و كتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أیوب) للقاضي جمال الدين بن واصل ، اعتمد أبو الفداء بصورة خاصة على (كتاب البيان عن تاريخ سني الزمان على سبيل الحجة والبرهان) لأبي عيسى بن المنجم ، ثم على (تاريخ سني ملوك الأرض) لمحنة الأصفهاني^(١) .

وهنا لا بد من التساؤل : من هو أبو عيسى بن المنجم ؟ لقد ورد ذكره في كتاب (الفهرست) لابن النديم^(٢) ، الذي يروي أخبار آل المنجم جميعاً ، ويقول إن جد الأسرة (يحيى بن أبي منصور) هو فارسي ، استغل بالنجوم ، وأسلم على يد الخليفة المأمون . وقد نبغ عدد من أولاده وأحفاده ، فاشتهر بعضهم بالأدب ورواية الشعر والتأليف في مختلف الفنون ومنادمة الخلفاء . ثم يقول ابن النديم : « ومن أفضل آل المنجم أبو عيسى أحمد بن علي بن يحيى ، له من الكتب (كتاب تاريخ سني العالم) » دون أن يذكر شيئاً عن تاريخ مولد المؤلف أو موته أو عن محتوى الكتاب . ولكنه في ترجمة أخيه أبي عبد الله هارون يخبرنا أن هذا توفي في سنة ٢٨٨ هـ . ومن ذلك نستطيع أن نستنتج أنه عاش في أواخر القرن الثالث الهجري ، ويمكنا أن نتفق مع المستشرق (روزنتال F. Rosenthal) الذي يقول في كتابه (علم التاريخ عند المسلمين)^(٣) : إن أبو عيسى بن المنجم ألف كتاب (تاريخ سني العالم) قبل الطبرى بعده عقود ، ثم يضيف قائلاً : إن هذا التاريخ ربما كان بحثاً مرتباً حسب السنين على النمط اليهودي - المسيحي يبدأ

(١) راجع المختصر في أخبار البشر ٣/١

(٢) ابن النديم ، الفهرست : طبعة القاهرة ١٣٤٨ هـ ، صفحة ٢٠٧

(٣) روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور أحمد صالح العلي ، طبعة بغداد ١٩٦٣ ، صفحة ١٠٣

منذ الخلقة وهبوط آدم والطوفان ، ويروي قصص الأنبياء وأخبار الفرس واليونان والروم ، وإنه ربما لم يتطرق إلى تاريخ الإسلام فقط . ومن المؤسف أن الكتاب لم يكتب له الانتشار ولم يصل إلينا .

ومهما كان الأمر فإن أبو الفداء في القسم الأول من (المختصر في أخبار البشر) الخاص بالأمم القديمة ، يعتمد كل الاعتماد على كتاب أبي عيسى المنجم الذي يبدو أنه قد استقى معلوماته من مصادر سريانية ويزنطية . فهو ، عند تحديد تاريخ (هيلين) و (موسى) مثلاً يستند إلى كتاب (الرد على جوليان) الذي ألفه (كيريليس Cyrilis) رئيس أساقفة الاسكندرية في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي . وهو يقول : « المتقول عن أصحاب السير من اليونان : أن (أميرس) أي [هوميروس] الشاعر اليوناني كان موجوداً في سنة ٥٦٨ لوفاة موسى ^{١)} . ونلاحظ أن هذا التحديد الزمني ينطبق على التقديرات الحديثة .

وعلى وجه الإجمال فإن الأخبار التي اقتبسها أبو الفداء عن أبي عيسى ابن المنجم فيما يتعلق باليونانيين والرومان تمتاز بالدقة ، وتقرب كثيراً من الصحة ، خلافاً لما يرويه أكثر المؤرخين العرب من قصص خيالية وأساطير . وقد أقدم أبو الفداء مرة واحدة على معارضته رواية أبي عيسى ، ولكن من المصادفات الغريبة أنه كان هو المخطيء في هذه الحالة . فقد ذكر أبو عيسى أن (طاليس) الملطي ، وهو أول فللسفة اليونان ، كان في زمن (بخت نصر) . وهذا صحيح ، إذ حكم (بخت نصر) بين سنة ٦٠٥ و ٥٦٢ قبل الميلاد وعاش (طاليس) بين ٦٤٠ و ٥٤٦ قبل الميلاد . ولكن أبو الفداء رجع إلى كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني الذي ذكر

(١) المختصر في أخبار البشر ١/٨٨

أن الفيلسوف اليوناني (فيثاغوراس) [وهو متأخر عن طاليس] كان في زمن (سليمان) وأنه أخذ الحكمة من « منبع النبوة » (١). وهنا أخذ أبو الفداء يحسب التواريχ القدیمة فتبين له أن (بخت نصر) قد عاش بعد سليمان بأكثر من ٤٠٠ سنة واستنتج من ذلك أن قول (أبي عیسی) بأن الفلسفة اليونانية ظهرت في عهد (بخت نصر) غير مطابق لما ذكره الشہرستانی الذي اعتمد عليه دون مبرر إلا أن يكون قد استهواه قول (الشہرستانی) بأن (فيثاغوراس) أخذ الحكمة من « معدن النبوة » ...

أما حمزة الأصفهاني الذي كان ، على الرغم من نزعته الشعوبية ، مشهوداً له بالفضل والمعرفة الواسعة ، والنظرية الفاحصة ، والآراء الجريئة ، فقد تأثر أبو الفداء بطريقته الانتقادية في ضبط التواريχ وتحقيقها . وهو في كتابه (تاريخ سني الملوك) يذكر ملوك الفرس والروم وغيرهم فضلاً عن أنساب حمير ، وسائر دول العرب من غسان وثمود وكندة ، وكان اهتمامه منصرفًا إلى تحقيق سني الولادة والوفاة ومدة الحكم . وفي كتابه قائمة بأسماء الكتب الفارسية الكثيرة التي استقى منها معلوماته . وقد لاحظ أبو الفداء أن الأخبار المأخوذة عن المؤرخين قبل الإسلام مضطربة جداً ، لأنهم كانوا يئرون خون من ابتداء ملك كل من تملك منهم فكثرت بدايات تواريχهم ، وكان هذا ، كما قال حمزة الأصفهاني : « سبباً في فساد تواريχهم فساداً لا مطبع في إصلاحه ، مع ما انضم إلى ذلك من بعد العهد ، وتغير اللغات ، وقدم الكتب المؤلفة في هذا الفن ، فصار تحقيق التواريχ القدیمة متعدراً أو في غاية التعرّر . » (٢)

وقد تأثر أبو الفداء أيضاً بآبحاث (أبي الريحان البيروني) الذي يعتبر من أكبر العلماء والمفكرين المسلمين . إلا أنه قد اقتصر على كتاب واحد

(١) المصدر السابق ٨٨/١

(٢) المصدر السابق ٤/١

من مؤلفاته هو (القانون المسعودي) في الهيئة والنجوم الذي استفاد منه عند تأليف كتاب (تقويم البلدان) ونقل رأي (البيروني) في مساحة الأقاليم السبعة ، ومقارنته بين أبحاث الهند واليونانيين ، وتصريحه القائل : « الروم والهند أصدق سائر الأمم عناء بهذه الصناعة ، (يقصد علم الهيئة ووصف المعمورة) ولكن الهند لا يبلغون غاية اليونانيين فيعترفون لهم بالتقدم ، ويشبه نيل إلى آرائهم ونؤثرها »^(١) . وقد اقتبس أبو الفداء عن كتاب (القانون المسعودي) بعض المعلومات التاريخية المتعلقة بقراصنة الرومان .^(٢) وكان من المتظر أن يستفيد أبو الفداء من كتابين آخرين للبيروني لها صلة بالتاريخ هما كتاب (تحقيق ما للهند من مقوله) وكتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) ولكن الكتاب الأول لا يأتي ذكره أبداً عند أبي الفداء ، بينما يشير إلى الكتاب الثاني مرة واحدة ، وذلك عند شرح اسم (اليهود) فينقل عن الشهيرستاني قوله بأن هذا الاسم مشتق من هاد الرجل أي رجع وتاب ، وأنه إنما لزمهم لقول موسى : « إننا هدنا إليك » أي رجعنا وتضرعنا ثم يضيف أبو الفداء هنا ما قاله (البيروني) من أن ذلك ليس بشيء ، وأن اسم اليهود إنما أطلق عليهم نسبة إلى (يهودا) أحد الأبطاط ، فإن الملك استقر في ذريته وأبدل الذال المعجمة دالاً مهملة كما يوجد في كلام العرب .^(٣)

وقد استند أبو الفداء أيضاً إلى التوراة التي اعتبرها من أهم المصادر لمعرفة التوارييخ القديمة . إلا أنه لاحظ الاختلافات الكبيرة بين نسخ التوراة الثلاث المتداولة وهي السامرية والعبرانية واليونانية ، فقال : إن الأولى والثانية « مفسودتان » وإن المحققين من المؤرخين قد اختاروا التوراة اليونانية التي ليس فيها ما يقتضي الإنكار من جهة الماضي من عموم الزمان . ثم

(١) أبو الفداء ، تقويم البلدان صفحة ١١

(٢) المختصر في أخبار البشر ٦٤/١ - ٦٥

(٣) المصدر نفسه ٩١/١

أشار أبو الفداء إلى الأسطورة التي نسبت حول نقل هذه التوراة من العبرانية في عهد الملك بطليموس الثاني (فيلادلفوس) وصرح بأنه قد اعتمد عليها دون غيرها في تحديد بعض التواريخت.^(١) أما في سهل قراءة الأسماء، فيقول إنه أحضر نسخة عبرانية لسفرى القضاة والملوك ، ثم أحضر شخصاً مارفاً باللغتين العربية والعبرانية فاستعان به عند خبط الأسماء التي كانت فيها أحرف ليست من حروف العربي ، وفيها إمارات ومدّات لا يمكن أن تعلم إلا مشافهة .^(٢)

إلى جانب المصادر الرئيسية العامة كان أبو الفداء يرجع في موضوعات معينة إلى الكتب الاختصاصية ، فنراه مثلاً عند استعراض أسماء الفراعنة يعتمد على كتاب خاص بملوك مصر في قديم الزمان مؤلف اسمه (ابن حنون الطبرى) لأن يعرف عنه شيئاً . على أنه لما نقل عن التوراة أن فرعون الذي غزا بني إسرائيل في أيام (رجبام بن سليمان) هو (شيشاقي) [أي شتق الأول مؤسس الأسرة الليبية] علق على ذلك قائلاً : « وهو الأصح » أي أصح من اسم (بولة) الذي ذكره (ابن حنون) .^(٣)

وفي الفصل الخاص بأمة اليونان نقل أبو الفداء ترجم حياة فلاسفة اليونان الكبار سocrates وأفلاطون وأرسطو عن الشهريستاني ، إلا أنه استعان أيضاً بكتاب (تاريخ الحكماء) لابن القفعي في سهل معرفة أسماء الفلسفه اليونانيين المتأخرين ، وعلى الأخص الذين عاشوا منهم في الاسكندرية ، واستغلو بالعلوم الرياضية والطب^(٤) والذين لم يتعرض إليهم الشهريستاني .

كذلك في قسم التواريخت الإسلامية كان أبو الفداء يرجع في كثير من

(١) المختصر ٦/١

(٢) المختصر ٣٢/١

(٣) المختصر ٦١/١

(٤) المختصر ٩٠/١

الموضوعات إلى مؤلفات الاختصاصين لتلافي التقص أو تصحيح الأخطاء . فنراه مثلاً عند الكلام على غارة التتر ، التي يصفها بأنها كانت أعظم م浩مة نكب بها المسلمين ، يعتمد على كتاب (تاريخ ظهور التتر) تأليف (محمد بن أحمد النسوى) الذي كان كاتب الإنشاء لدى جلال الدين بن محمد خوارزم شاه ، وكان رافقه في حروبه ضد التتر ، وأصبح أخبار الناس بأحوال الخوارزميين وجيرانهم ، فنقل عنه أبو الفداء وصف بلاد الصين وأخبار نشأة جنكيز خان ، وحروب المغول والتتر .^(١)

إن تفكير أبي الفداء كان يسيطر عليه الاتجاه الرياضي . فهو مولع باستقصاء المعلومات ومقارنتها وتحقيقها وبحساب التواريف وضبطها . وقد رجع إلى كتاب (الجمجمة والبيان في أخبار القبروان) لأبي العرب الصنهاجي للتحقق من تاريخ مقتل أبي عبد الله الشيعي ، داعية المهدى مؤسس الدولة الفاطمية ، إذ أورده ابن الأثير في سنة (٢٩٦) في حين ذكر الصنهاجي : إن ذلك في سنة (٢٩٨) ، ويضيف أبو الفداء قائلاً : « وهو الأصح عندي ، كما ذكر ذلك ابن خلkan أيضاً »^(٢) . وعند البحث في دولة بني حماد بأفريقية في أوائل القرن الرابع يقتبس أبو الفداء معلوماته من كتاب الصنهاجي أيضاً . أما أخبار دولة الحفصيين ، ملوك تونس في القرن السابع ، فيقول إنه نقلها من الشيخ ركن الدين بن القوبع التونسي^(٣) ، وهو الطبيب المشهور الذي اجتمع به في القاهرة كما ذكرنا سابقاً .

أورد ابن الأثير موت محمود بن شبـل الدولة بن صالح بن مرداـس ، صاحب حلب ، في (٤٦٩) . فعلق أبو الفداء على ذلك قائلاً : « لكنني وجدت في تاريخ حلب تأليف كمال الدين المعروف بـ ابن العـديـم أن محموداً

(٢) المختصر ٧٠/٢

(١) المختصر ١٢٩/٣

(٣) المختصر ١٩٦/٣

المذكور مرض في سنة (٤٦٧) وحدث به فروح في الأمعاء مات بها في تلك السنة ذاتها ، فملك بعده ابنه نصر الذي لم يذكر ابن الأثير تاريخ مقتله ، بينما قال ابن العديم إن ذلك كان يوم الأحد مستهل شوال سنة (٤٦٩)^(١) . ثم ذكر ابن الأثير أن قلعة (شيزر) القرية من حماة لم تزل لبني منقد يتوارثونها من أيام (صالح بن مرداس) . ولكن أبو الفداء صرح بأن الأمر ليس كذلك لأن ابن مرداس توفي سنة (٤٢٠) بينما كان تملك (بني منقد) لشيزر في سنة (٤٧٤) أي بعد مدة أربع وخمسين سنة . ويضيف أبو الفداء قائلاً : « ونحن نورد أخباربني منقد محققة حسباً نقلناها من تاريخ مؤيد الدولة أسامة بن مرشد وهو أفضلبني منقد »^(٢) .

كان أبو الفداء يحرص على تفصي الأخبار الهامة من جميع المصادر . ومن الأمثلة على ذلك ما يرويه عن قاضي القضاة جمال الدين بن واصل الذي كان يتردد عليه المدرسة كما سبق ذكره . فإن (ابن واصل) كان قد توجه في سنة (٦٥٩) هجرية (١٢٦١ ميلادية) رسولاًً من قبل الملك (الظاهر بيبرس) إلى الامبراطور (مانفريد) . ويبدو أن أبو الفداء قد سأله عن مشاهداته في إيطالية ، فعلم منه أن كلمة امبراطور معناها ملك النساء وأن مملكة (مانفريد) تشمل جزيرة (حقلية) وبلاد (آبولية) و (لومباردية) من البر الطويل (أي إيطاليا كما كانوا يسمونها) وأن الامبراطور (مانفريد) كان ، مثل والده الامبراطور (فريدريك الثاني) مصافياً لل المسلمين ومحباً للعلوم ، وقد أكرم (ابن واصل) الذي صنف له كتاباً في المنطق بعنوان (الامبروزية) نسبة إلى الامبراطور . وذكر (ابن واصل) أنه أقام في مدينة من مدائن (آبولية) تبعد عن (روميا) مسيرة خمسة أيام (يقصد بذلك مدينة (فوجيا) وأن هناك بالقرب منها مدينة تسمى (لوجارا) أي

(Lugera) ، أهلها كلهم مسلمون ، كان قد نقلهم الامبراطور (فريديريك الثاني) من صقلية ليكونوا حرساً خاصاً له . وكان أكثر أصحاب الامبراطور (مانفريد) مسلمين ، ويعلن في معسكره بالأذان للصلوة .^(١)

كان أبو الفداء يتحلى بحس تاريجي حقيقي يساعدك على تمييز الحوادث الهامة من غيرها ، وعلى نقد الرواية ، وتحقيق الأخبار ، واصطفاء المعلومات الموثوقة . وهو لم يكن ليخفى عليه أن كتب التاريخ ملؤة بكثير من القصص الخرافية والأساطير ، وأن الأخبار التي تتناقلها عن تعاقب الملوك والحكام والقادة ووصف الحروب والانقلابات وذكر الكوارث الطبيعية ، ليست جميعها مما يستحق التسجيل والحفظ . إنه كان يدرك أن أهمية الحادث التاريخي تقاس بعده تأثيره في الأوضاع الحاضرة والمستقبلة . وإذا كنا لا ننكر أن كتاب (المختصر في أخبار البشر) لا يخلو من بعض الحوادث التافهة والأخبار المشبوهة والقصص السخيفة فلا بد لنا من الاعتراف بأن هذه الشوائب قليلة وأنه ، عند مقارنته مع نظرائه ، يبرهن على نزعة علمية ونظرة انتقادية وتفكير عقلاني . إنه ، بالإجمال ، يتماز على كثير من كتب التاريخ باقتصاره على الأمور الهامة ، والأخبار الصحيحة .

إن أبو الفداء ، بعد أن ينقل قصص الأنبياء كما كانت ترويها إذ ذاك كافة المؤلفات التاريخية في الشرق والغرب بالاستناد إلى شهادة الكتب المقدسة ، يبدأ في ذكر طبقات ملوك الفرس ويقول إن ملوك الطبقة الأولى القدية « تروي عن مداد ملوكهم وحروبهم أموراً يأبهها العقل ، ويعجها السمع ، فأضرينا عنها لذلك ، ولم نذكر إلا ما يقرب إلى الذهن صحته »^(٢) . عوضاً عن ذكر التواريخ غير المحققة وجّه أبو الفداء اهتمامه إلى

(١) المختصر ٤٠/٤

(٢) المختصر ٤١/١

م (٥)

أساليب الإدارة والسياسة لدى ملوك الفرس القدماء ، كما تُحصي مبادئ ديانة (زرادشت) ، ثم تعاليم (مزدك) التي تدعو إلى التساوي في الأموال بين الناس ، والاستراك في النساء ، والتي تؤمن بالتنجيم والطلاسم^(١) ، والتي كان لها تأثير كبير في آراء بعض الفرق حتى العهد الإسلامي مثل القرامطة.

وعند ذكر أمة القبط نقل أبو الفداء عن كتاب (طبقات الأمم) لصاعد الأندلسي قوله : « إن سكان مصر كانوا أهل ملك عظيم في الدهور الخالية ، وظهر بينهم علماء بضروب العلوم ، خاصة الطسّهات والنيرنجات والكيمياء ؛ وأنهم كانوا أخلاطاً من الأمم ما بين قبط ويونان وعاليق وروم وغيرهم ، وذلك لكثرتهم من تداول عليهم فإن أكثر من تملك مصر هم الغرباء »^(٢) .

ولما تكلم على اليونان قال : إنهم كانوا طوائف قبل (فيلبس المقدوني) وبعد أن ذكر الإسكندر وخلفاءه ، استعرض فلاسفة اليونان ، وبحث في آرائهم ومؤلفاتهم ، ونقل عن كتاب (أبي عيسى بن المنجم) قوله : « كان اليونانيون أهل شعر وفصحاً ، ثم صارت فيهم الفلسفة ، وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم ، مثل العلوم المنطقية والطبيعية والألهية والرياضية ، وكانت يسمون العلم الرياضي (جومطريا) وهو المشتمل على علم الهيئة والهندسة والحساب والألحان والإيقاع وغير ذلك . وكان العالم بهذه العلوم يسمى فيلسوفاً وتقديره : محب الحكمة »^(٣) .

وعند ذكر أمة الصين قال : « أما بلاد الصين فطويلة ، عريضة ، ويشتمل عرضها على الأقاليم السبعة . وأهل الصين أحسن الناس سياسة وأكثروهم عدلاً ، وهم أحذق خلق الله بنرش وتصوير وسائل الصناعات »^(٤) .

(١) المصدر نفسه ٥٩/١ و ٨٦

(٢) المصدر نفسه ٥٩/١ و ٨٦

(٣) « ١٠٢-١٠١/١ ٨٩/١

(٤) « ١٠٢-١٠١/١ ٨٩/١

كان أبو الفداء يكتفي هنا بالصفات العامة التي اشتهرت بها مختلف الأمم ، لأنّه لم يكن في استطاعته أن يعرف عنها توارييخ مضبوطة ، ولأنّ مقصده من تأليف المختصر رسم صورة بجملة ، واضحة عن تاريخ البشرية .

عندما تعرّض أبو الفداء إلى بلاد (عاد) التي تعرف بالأحلاف ، قال : « لقد كثر الاختلاف في أمرهم وجميع ما ذكر من ذلك مضطرب ، غير قريب للصحة ، فأضربنا عنه »^(١) . وعند ذكر ملوك كندة أشار إلى قصة أمرىء القيس التي تروي أنّ ملك الروم دس له الشّم في حالة فقال : « وهذا عندي من الحرفات »^(٢) .

وفي الواقع كان أبو الفداء يتحاشى دوماً رواية القصص الخرافية التي كانت تزخر بها كتب المؤرخين المعاصرين له ، والتي كان يجاهر بمحاجحتها . وقد نقل عن ابن الأثير أن الناس بالموصل أصابهم في سنة (٦٠٠) وجع في حلوقهم فشاع أنّ امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها ، وأن كل من لا يعمل مائتاً يصبه هذا المرض . فكان النساء وأوباس النساء يلطمون على عنقود ويقولون : « يا أم عنقود اعدينا ، قد مات عنقود ومادرينا » . ثم يضيف أبو الفداء قائلاً : « وإنما أوردنا هذا لأن رعاع الناس إلى يومنا هذا وهو سنة ٧١٥ يقولون بأم عنقود وحديتها ليعلم تارييخ هذا المذيان متى كان »^(٣) . ورأي أبي الفداء هذا صحيح ، فإن أفضل وسيلة لتحرير عقول الناس من الحرفات والأساطير هي الدراسة التاريخية للقصص الغريبة والكشف عن حقيقة أمرها وبيان كيفية نشأتها ومراحل تطورها .

(١) المصدر نفسه ١٠٣/١

(٢) المصدر نفسه ٧٩/١

(٣) ١٩٤/٢

بقدر ما كان أبو الفداء يعرض عن رواية الأساطير والخرافات والقصص العجيبة كان يحرص ، بالعكس ، على الإكثار من الأخبار والأبحاث العلمية . هكذا يذكر في حوادث سنة (٢٥٩) هجرية وفاة (محمد بن موسى ابن شاكر) ، أحد الإخوة الثلاثة الذين يقول : « إنه كانت لهم هم عالية في تحصيل العلوم القدية ، وكان الغالب عليهم الهندسة والحيل (أي الميكانيك) والموسيقى ». ثم أخذ يبحث في المهمة التي عهد بها إليهم الخليفة المأمون ، وهي تحقيق ماورد في كتب الأولين عن دور الأرض (أي محيطها) ، فشرح بالتفصيل كيف ساروا إلى صحراء سنجار ومسحوا درجة الطول .^(١)

ولما سجل أبو الفداء بين حوادث سنة (٦٤٩) وفاة الشيخ (علم الدين قيس) المعروف (بتعاسيف) قال عنه بأنه كان إماماً في العلوم الرياضية ومهندساً فاضلاً ، وذكر أن الملك المظفر ، صاحب حماة ، استخدمه فبني له أبواجاً بحمة ، وطاحوناً على النهر العاصي ، وعمل له كرة من الخشب مدحونة رسم عليها جميع الكواكب المرصودة . ونقل عن القاضي (ابن واصل) قوله : « وقد ساعدت الشيخ علم الدين على عمل هذه الكرة في حماة . وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ويسأل عن مواضع دقيقة فيها .^(٢) » و (تعاسيف) هذا هو الذي طلب منه الملك (الكامل) الإجابة على المسائل الرياضية والفلسفية التي أرسلها إليه الامبراطور (فريديريك الثاني) .^(٣)

كان المؤرخون قد بدأوا منذ صدر الإسلام يهتمون بترجم أحوال الصحابة والتابعين ورواية الحديث ، فنشأت كتب (الطبقات) الأولى لمؤلاء ، ثم اتسعت دائرة الاهتمام حتى شملت الفقهاء والمتصوفين والنحاة والشعراء والأدباء وال فلاسفة والأطباء وغيرهم . وفي هذا الصدد أبدى المستشرق النمساوي

(١) المصدر نفسه ٥١/٢ - ٥٢ (٢) المصدر نفسه ١٨١/٣

(٣) راجع المريزي ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٣٢

(شبرنغر Sprenger) الملاحظة التالية : « من المبادئ الأساسية النبيلة عند العرب وال المسلمين احترام الذات والكرامة الشخصية . فإن لـ كل فرد قيمة ومكانته . لذلك فإن الكتب التي ألفها المسلمين في الترجم والأنساب تفوق في عددها كل ما كتبه الأمم الأخرى السابقة والمعاصرة لهم معاً » .

ولم يقتصر الأمر على كتب الترجم بل إن التوارييخ العامة ، وبالخصوص الحواليات جميعاً تشمل أيضاً على سير الكثيرين من (الأعيان) . ومثل غيره من مؤلفي الحواليات كان أبو الفداء أيضاً يذكر ضمن حوادث كل سنة المشاهير الذين ماتوا فيها . إلا أن « هناك فرقاً بينه وبين أكثر المؤرخين المعاصرين الذين يخشرون أكبر عدد ممكن من أسماء الأشخاص ، سواء كانوا بازري حقاً أو مجرد مستغلين بالقراءة والحفظ أو الخطابة والوعظ . فقد كان أبو الفداء يقتصر على الشخصيات البارزة من كبار علماء اللغة والأدباء والشعراء ، ويؤثر على الأخص الأطباء والمهندسين والفلسفه . وكان بارعاً في تصوير حياة هؤلاء المشاهير بكلمات قليلة تبرز الصفات الجوهرية ، وتكشف عن الخصائص المميزة ، كما كان يروي عن أبطاله بعض الأقوال والأشعار والقصص التي تعكس أحوال البيئة والظروف التاريخية ، وتتضمن أحياناً نقداً ، ولا تخلو أحياناً أخرى من نكتة ظريفة ، أو دعابة لطيفة . هكذا كتب أبو الفداء ترجم وافية جيدة لأبي بكر الرازي ، والفارابي ، وابن سينا ، ونصر الدين الطوسي ، ثم للشافعي ، والأشعرى ، وسيبويه ، والفراء ، والباحث ، والطبرى ، وابن الأثير . وقد تكلم بإسهاب عن الإمام فخر الدين الرازي الذي يصفه بأنه كان أوحد زمانه في المقولات والأصول ، ثم يروي كيف ثار عليه في سنة (٥٩٥) فقهاء الكرامية والحنفية بهراء في ما وراء النهر ، ونسوه إلى الزندقة ومنذهب الفلسفه ، فاضطر أن يلتجأ إلى

صاحب (غزنة) ، وإلى السلطان خوارزم شاه المذين حظي لديها ، وينقل من نظم فخرالدين الرازي الآيات التالية :^(١)

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ويروي أبو الفداء قصة أمين الدولة بن التلميذ الذي كان طيب دار الخلافة في عهد المقفي ، ويصفه بأنه كان حاذقاً ، فاضلاً ، ظريف الشخص ، علي المهمة ، مصيبة الفكر ، ويقول عنه إنه كان شيخ النصارى وقبيلهم ، وله في الأدب يد طولى ، وكان متوفتاً في العلوم ، وخلف تصانيف حسنة ، منها كتاب (اقرابة الدين) وهو المعتمد عليه عند الأطباء . ومن معاصري ابن التلميذ أبو البركات بن ملكان الحكيم صاحب كتاب المعتبر في الحكمة . وكان بينهما تناقض كا يقع كثيراً بين أهل كل صنعة . وكان أبو البركات يهودياً ثم أسلم في آخر عمره ، وكان متكبراً ، بخلاف ابن التلميذ الذي عرف بالتواضع ، فنظم فيه هذه الآيات :

لنا صديق يهودي ، حاقده إذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتنه والكلب أعلى منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه^(٢)

وفي حوادث سنة ٥٨٤ يذكر أبو الفداء وفاة محمد بن الكاتب المعروف بالتعاوني ، الشاعر المشهور الذي شاعت قصائده في الغزل والنسيب ، والذي له غير ذلك أشياء حسنة أيضاً ، منها الآيات التي صنعتها على آثر مصادرة جماعة من أهل الدواوين في بغداد وهي :

يا قاصداً بغداد جز عن بلدةٍ للجور فيها زجرة وعتاب

(١) المختصر ٤٥/٣

(٢) المختصر ١٠١ - ١٠٢ و ١١٨

إِنْ كَنْتَ طَالِبَ حَاجَةٍ فَارْجِعْ فَقْد
سُدِّدْتَ عَلَى الرَّاجِي بِهَا الْأَبْوَاب
وَالنَّاسَ قَدْ قَامَتْ قِيَامَتِهِمْ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ وَلَا أَسْبَاب
وَالْمَرْءُ يَسْمَهُ أَبُوهُ وَعَرْسَهُ
لَا شَافِعٌ تَغْنِي شَفَاعَتَهُ وَلَا جَانَ لِهِ مَا حَنَاهُ مَتَابُ (١)

وفي حوادث سنة ٦١٣ يتعرض أبو الفداء إلى الوجه المبارك بن أبي الأزهر الذي استغل بعلم العربية وولي تدريس النحو بالمدرسة النظامية في بغداد ، وكان حنانياً ، ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة ، ثم صار شافعياً ، فقال فيه أبو البركات زيد التكريتي :

ألا مبلغ عني الوجيه رسالة
تمذهب للنعيم بعد ابن حبلي
وما اخترت رأي الشافعي تدليناً
وعما قليل أنت لاشك صائر

إلى مالك فاطن (لما) أنت قائل (٢)

وفي سنة ٦٣٤ - ٦٣٥ أوفد الخليفة أبو جعفر المستنصر بالله رسوله
لتهنئة الملك (العادل) بالسلطنة واستخلافه للمستنصر وللإصلاح بين العادل
وأخيه الصالح أيوب ، وكان هذا السفير هو محيي الدين يوسف بن أبي الفرج
الجوزي ، الذي سبق له القيام بثل هذه المهمة في مناسبات أخرى ، وقد
اتفق أن مات في حضوره أربعة من السلاطين العظام : هم الملك (الكامل)
صاحب مصر ، وأخوه (الأشرف) صاحب دمشق ، و (العزيز)
صاحب حلب ، و (كيقباذ) صاحب بلاد الروم ، فقال في ذلك
(ابن المسجف) ، أحد شعراء دمشق :

١٢٣/٣ المصدر نفسه (٢)

(١) المختصر / ٣

يا إمام المهدى أبا جعفر المنصور يا من له الفخار الأثيل
ما جرى من رسولك الآن حبي الدين في هذه البلاد قليل
 جاء والأرض بالسلطان ترهى وغدا والديار منهم طلول
 أفتر الروم والشام ومصر أهذا مغسل أم رسول ؟^(١)

وعندما تكلم أبو الفداء على استسلام الصليبيين المهاجمين في (دمياط) وعلى رأسهم ملك فرنسا (لويس التاسع) في يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر سنة ٦٤٨ الموافق ٦ أيار سنة ١٢٥٠ وورود البشري بذلك إلى سائر الأقطار ، ذكر الأبيات التي نظمها الشاعر جمال الدين يحيى بن مطروح بهذه المناسبة وهي :

والقائد باقي والطواشى صبح^(٢)

[دار لقمان هي التي كان ينزلها كاتب الإنشاء فيخر الدين بن لقمان والتي سكنت فيها ملك فرنسا بعد أسره ، ووكل به الطواشى صيبح المعظمي لحراسه] .

لأشك في أن كتاب (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء ينقصه الكثيرون مما يزيد في كتاب (الكامل) لابن الأثير مثل توزع

(١) اختصر $\frac{1}{3}$ - $\frac{1}{7} - \frac{1}{2}$ (٢) المصدر نفسه $\frac{1}{3} - \frac{1}{90} - \frac{1}{91}$

المعلومات ، ووفرة الوثائق ، والتوازن بين مختلف العصور والأقاليم ، والتعليقات ، والتأملات حول الأحداث الهامة ، والأسلوب الجميل في عرض الواقع بصورة متسللة ، متassكة .

وفي الواقع لم يفكر أبو الفداء ، باديء الأمر ، في تأليف كتاب شامل . فلم يضع مخططاً لأجزاء الكتاب وفصوله ، ولم يقصد توجيه الكلام إلى القراء ، وشرح آرائه في أحداث التاريخ وتعليقها . وهو إنما قام بتدوين بعض التاريخ لتكون تذكرة له تغنيه عن مراجعة الكتب المطولة ، وقد كتب هذه المذكرات بأسلوب بسيط ، بل جاف ومحض لغایة .

على الرغم من هذه الشوائب فقد نال كتاب (المختصر في أخبار البشر) شهرة واسعة سواء في العالم الإسلامي أو في بلاد الغرب . والسبب في هذا التقدير هو أن أبو الفداء استطاع اختصار مجموعة من الكتب التاريخية القيمة ، ضاع بعضها ، وألف منها خلاصة مكثفة ، منقحة ، بذل كل جهده في تحقيق وضبط ما ورد فيها من تواريخ وأسماء . وإذا كان الباحثون في الوقت الحاضر لم يعودوا يرجعون إلى كتاب (المختصر في أخبار البشر) كمنبع للمعلومات عن الأمم القديمة والعصور الإسلامية الأولى بعد أن نشرت المصادر الأصلية ، المفصلة ، فإن الفصول الأخيرة من الكتاب المتعلقة بالعصر الذي عاش فيه المؤلف ، وبالأخص زمن الحروب الصليبية وعد الأيوبيين والخوارزميين والمالكيك ، ما زالت تستحق كل اهتمام ، لأن قسماً كبيراً من حوادث هذه الحقبة قد شاهدتها أبو الفداء بنفسه ، واستدرك فيها وأحسن وصفها بأسلوب مبين ، واضح ، دقيق ، بعيد عن التزويق والتنميق ، مقتضاً على الأمور الهامة . ولعل من أهم العوامل التي دفعت المستشرقين إلى الاعتماد على كتاب (المختصر في أخبار البشر) هو التزام

المؤلف بهذه الطريقة العلمية ، الموضوعية ، حتى عندما يسرد حوادث الحروب الصليبية ، أو يتكلم على أفراد أسرته ، دون أن يبدو عليه شيء من التعصب والانحياز .

وقد اتجهت أنظار الباحثين الأوروبيين منذ أوائل القرن الثامن عشر ، إلى نشر أجزاء منه مع ترجمتها اللاتينية . ثم نشر الكتاب كله على مراحل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وترجم إلى اللاتينية والفرنسية والإنكليزية ، كما نقل إلى لغة (الاوردو) وطبع في دلهي سنة ١٨٥٦ . وقد ظل الكتاب يعتبر مدة طويلة أهم مصدر يستند إليه المستشرقون في دراساتهم ل تاريخ العرب والإسلام ، وبالأخص تاريخ الحروب الصليبية . ويقول (رينو) و (دولسان) إنه قد حوى أخباراً ما كانت يتسع معرفتها بدونه (١) .

إن أبو الفداء الذي احتفلنا بموته ٧٠٠ سنة على مولده يستحق كل عناية وتقدير ، لما امتاز به من معرفة واسعة ، وحب للاطلاع والبحث ، ومن نزعة علمية ، وطريقة انتقادية ، ونظرة حيادية ، موضوعية . وهو جدير بأن ندرس آثاره ونبصر قيمتها العلمية ، ومكانتها في تاريخ العلوم ، وتطور الفكر البشري .

محمد كامل عياد

(١) راجع كتاب (نقويم البلدان) طبعة باريس ١٨٤٠ التصدير ص ٤٩

كتاب الدلائل في غريب الحديث لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السقطي

الدكتور شاكر الفحام

أ - كتب الغريب قبل كتاب الدلائل :

١

لما حجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْهِجَرَةِ حِجَّةَ الْوَدَاعِ ،
وَخَطَبَ النَّاسَ خَطْبَتِهِ الشَّهِيرَةِ الْجَامِعَةِ الَّتِي بَيْنَ لَهُمْ فِيهَا مَا يَبْيَّنُ ، كَانَ
مَا قَالَهُ فِي خَطْبَتِهِ : « تَرَكْتُ فِيمَكُ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضْلُّوا بَعْدَهُمَا : كِتَابٌ
اللَّهُ وَسْتَيْ » (١) .

وَخَرَجَ الْعَرَبُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ جَزِيرَتِهِمْ يَدَأْ وَاحِدَةً ، يَبْشِرُونَ بِالْمَهْدِيِّ
وَدِينِ الْحَقِّ ، فَدَانَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ مَا بَيْنَ بَحْرِ الظَّلَامَاتِ إِلَى أَسْوَارِ الصِّينِ ،
غَدَتْ بِهِمْ نَقِيَّةً كَالزَّلْفَةِ (٢) ، تَبَتَّتْ ثَرَاثَهَا وَتَنَعَّجَ خَيْرَهَا ، تَظَلَّلَتْ رَأْيَاتِ
الْعَدْلِ ، وَيُسُودُهَا الْإِخْرَاءُ وَالتَّقْوَى ؟ وَاسْتَمْسَكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ بِدِعَامِيِّ
الْإِسْلَامِ : الْقُرْآنَ وَالسَّنَةَ أَيْمَانًا اسْتَمْسَكَ ، وَكَانُوا أَقْوَيَاءِ الْأَمْنَاءِ عَلَيْهَا ،
مَضَوْا يَتَدَارِسُونَ مَا فِيهَا لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيَعْلَمُوا قَوْمَهُمْ ، فَهُمْ أَبْدَأُ
بِعَلَامَوْنَ وَيَتَعَلَّمُونَ ، صَبَاحُهُمْ وَمَسَاءُهُمْ لَا يَفْتَرُونَ ، شَعَارُهُمْ : (قُلْ هُلْ
يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ - سُورَةُ الزُّمُرُ : ٩) ، يَحْفَزُهُمْ

(١) المستدرك للحاكم (كتاب العلم) ١: ٩٣ ، فيض القدير ٣: ٢٤٠-٢٤١ ، تاريخ الطبرى ٣: ١٦٩

(٢) الزلفة : بفتح الزاي واللام ، المرأة ، شبه الأرض بها لصفاتها ونظافتها ، وقيل : هي الروضة . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨: ٦٩

الإيمان ، وتألاً صدورهم الحمية ، وليس أقوى منها ، وتلقى الخلف الثروة عن السلف ، وثير الآباء ما غرس الآباء ، ففتحت من الكتاب والسنة حدائق ذات بهجة ، باسقات الأشجار ، ظلها دائم ، وقطوفها دائمة ، لست في صدد عرضها وتعدادها ، فقد كفى ذلك المؤلفون المتقدمون ، ومن أراد اللمسة الدالة فله العود إلى « الإتقان في علوم القرآن » للسيوطى ، « وكل علم فمن القرآن »^(١) ، وإلى مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، « والسنة تفسر القرآن وتبيّنه »^(٢) ، وإنما يعني في كلامي هذه أن أقف عند علم واحد من تلك العلوم الجمة التي نجحت عن مدارسة الحديث ، وتقهم معانيه ومقاصده ، لا أعدوه إلى سواه ، ألا وهو علم « غريب الحديث » .

٣

نشأ علم « غريب الحديث » نشأته الأولى على أيدي العلماء من أئمة اللغة ، ليُعني بشرح الكلمات الغامضة الغريبة في حديث رسول الله ، وتفسير ما خفي من معانيه وأساليبه من المشكل الذي لا يفطن إليه إلا بعد الكد والمطولة . كان علماء اللغة هم فرسان هذا الميدان الذين جروا في مضماره : جرؤوا عليه ، وتفدوا به ، فعرضوا للغريب الغامض في حديث رسول الله من الألفاظ والأساليب ففسروه ، وجلوا معناه ، وكشفوا عن مراريه ، وأيدوا ما ذهبو إليه من تفسير وشرح بالشاهد من شعر العرب .

ويذكر لنا ابن النديم في كتابه « الفهرست » أوائل من أتَى

(١) التيسير في علوم التفسير للديريني :

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٤١ ، ٢٥٢ ، الاختلاف في

النفط :

في غريب الحديث ، فعدّ منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢١٠ هـ) وأبا الحسن النضر بن شميل المازني (٢٠٤ هـ) وأبا علي محمد بن المستير الملقب بقطروب (٢٠٦ هـ) واسم كتابه : « غريب الآثار » وأبا سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٣ هـ) وأبا عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (٢١٣ هـ) « ومن روى كتابه في غريب الحديث عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عمرو الشيباني » ، وأبا زيد سعيد بن أوس الأنصاري (٢١٥ هـ) وأبا عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى السالمي الرواوية ، وأبا عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (٢٣١ هـ) .^(١)

وذكر الخطيب البغدادي من بينهم أيضاً أبو الحسن سعيد بن مسدة المخاشي الأخفش الأوسط (٢١١ هـ)^(٢) ، ونستطيع أن نتلمس صنيع هؤلاء الأئمة في كلمة أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي (٣٤٧ هـ) التي رواها الخطيب البغدادي ، وهو يتحدث عن غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ، قال : « أول من عمله أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وقطروب ، والأخفش ، والنضر بن شميل ، ولم يأتوا بالأسانيد ، وعمل أبو عدنان النحوي البصري كتاباً في غريب الحديث ذكر فيه

(١) الفهرست : ٨٣،٧٤ - ٨٥ - ٨٧ ، ٨٨ - ١٠٨ ، ١٠٩ - ١٣٥ ، ١٣٥ (ط. مصر) نور القبس : ٢١٧ - ٢١٨ ، مراتب النحوين : ٩١ ، وظل كتاب شرح (غريب الحديث) لأبي عبيدة متداولاً دهراً طويلاً . فكان من مرويات أبي بكر محمد بن خير الأموي الأشبيلي (٥٠٢ - ٥٧٥ هـ) ، حدثه به الإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعاذري الأشبيلي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) ، انظر فهرست ابن خير : ١٨٥ - ١٨٦ . وعروى الأزهرى في تهذيبه بستند ، من غريب الحديث للنضر بن شمبل (مقدمة تهذيب اللغة : ٥٣ - ٥٤ هـ)

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، انباء الرواية ٣ : ١٤

الأسانيد ، وصفه على أبواب السنن والفقه ، إلا أنه ليس بالكبير^(١) ، كذلك فإن صاحب « الفهرست » قال في صنيع أبي عدنان : « وله كتاب غريب الحديث ، وترجمته : ما جاء من الحديث المأثور عن النبي ﷺ مفسراً ، وعلى أثره ما فسّر العلامة من السلف »^(٢) .

ويتحدث ابن الأثير « أبو السعادات المبارك بجد الدين - ٦٠٦ » عن هذه المرحلة الأولى من مراحل التأليف في غريب الحديث ، ويصف الطريقة التي انتهجها أئمة اللغة في التأليف فيقول : « فقيل : إن أول من جمع في هذا الفن شيئاً وألف ، أبو عبيدة معمر بن المتن التميمي ، فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتاباً صغيراً ذا أوراق معدودات ، ولم تكن قلته جبله بغيره من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين :

أحدهما : أن كل مبتديء شيء لم يسبق إليه ، ومحترع لأمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر .

والثاني : أن الناس يومئذ كان فيهم بقية ، وعندهم معرفة ، فلم يكن الجهل قد عم ، ولا الخطب قد طم .

ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازني بعده كتاباً في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة ، وشرح فيه وبسط ، على صغر حجمه ولطفه ، ثم جمع عبد الملك بن قریب الأصمی ، وكان في عصر

(١) تاريخ بغداد ١٢٤٠، انباء الرواة ٣: ١٤.

(٢) الفهرست : ٧٤ ، انباء الرواة ٤: ١٤٢ . وترجمة الكتاب : عنوانه ، قال ابن قتيبة في مقدمة إصلاح الغلط : ٣ « لعل ناظراً في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ، ويستوحش من ترجمته » ، وسئل الرماني فقيل له : لكل كتاب ترجمة ، فما ترجمة كتاب الله تعالى ؟! فقال : هذا بلاغ للناس ، ولينذروا به (البلقة للفيروز باادي : ١٥٩ - ١٦٠) .

أبي عبيدة وتأخر عنه ، كتاباً أحسن فيه الصنع وأجاد ، ونیف على كتابه وزاد^(١) ، وكذلك محمد بن المستير المعروف بقطرب وغيره من آئمة اللغة والفقه ، جمعوا أحاديث تكلموا على لغتها ومعناها ، في أوراق ذات عدد ، ولم يكدد أحدهم ينفرد عن غيره بـ**بَكِير** حديث لم يذكره الآخر^(٢) .

— لقد استأثر المغويون بالمرحلة الأولى من مراحل التأليف في غريب الحديث ، وكانت طريقةهم أن يأتوا بالحديث مجردأً عن سنته ، ليتفرغوا لتفسير الغريب من كلامه ، والغامض المشكّل من أساليبه ، لم يشذ منهم أحد عن ذلك ، غير أبي عدنان الذي خرج على إجماعهم ، فساق في كتابه الأحاديث بأسانيدها ، وصنفها على أبواب السنن والفقه ، ثم كانت تأليفهم ، في الأعم الأغلب ، صغيرة ، موجزة ، لا تتوخى الإحاطة والشمول .

— ويدرك المؤلفون أن أبا بكر الحسين بن عياش الهمي الباجدائي الرقي الجزري (٢٠٤ هـ) قد ألف مصنفاً في غريب الحديث ، وكان الحسين أديباً ، فاضلاً ، فصيحاً ، ولكننا لا نستطيع أن ندرج اسمه بين آئمة اللغة ، وليس بين أيدينا وصف لكتابه الذي وضعه ، ورواه عنه أبو عمر هلال بن العلاء

(١) يقول ابن النديم في الفهرست : ٨٨ - ٨٩ ، وهو يعدد كتب الأصمعي : « وله كتاب غريب الحديث ، نحو مائتي ورقة ، رأيته بخط السكري ». ثم يذكر له مرة أخرى في الموضع نفسه : « كتاب غريب الحديث والكلام الوحيدي ». أما الإمام الخطاطي ، فقد ذكر ، وهو يعدد كتب غريب الحديث ، كتاب الأصمعي وقال : « يقع في ورقات معدودة » ، انظر : غريب الحديث لأبي عبيد ، الصفحة (٩) من المقدمة ، ويدرك ذاكرون أن الأصمعي لم يكن يحبب في القرآن وحديث النبي تحرجاً وورعاً (مراتب النحوين ٤١ ، ٤٨ - ٤٩)

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (ط . الخيرية) ١ : ٤ - ٥

الباهلي الرقي (١٨٤ - ٢٨٠ هـ) ثم رواه عن هلال أبو القاسم الحسين بن عبد الله بن منادر الواسطي (١) .

٣

وإذا كانت الفترة الزمنية لهذه المرحلة تبدأ في القرن الثاني الهجري لتختتم في مطلع القرن الثالث ، فإنه يتحقق لنا أن نضم إليها كتبًا ألّفها أصحابها في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، وهي بذلك تتداخل من الناحية الزمنية بكتب المرحلة الثانية ، ولكنها ، من حيث طريقة تأليفها ، أشبه بكتب المرحلة الأولى ، بل هي امتداد وتممة لها .

وأبرز من نعدهم في هذا الصدد من مؤلفي هذا النمط من كتب الغريب :

عمرو بن أبي عمرو الشيباني (٢٣١ هـ) وأبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم (٢٣٠ هـ) وصاحب الفراء : أبو جعفر محمد بن قادم ، وأبو محمد سلمة بن عاصم الكوفي ، وأبو جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥ هـ) وأبو معاذ النحوي اللغوي صاحب القراءات ، وأبو عمرو شمر بن حمدوه الهروي (٢٥٥ هـ) وكتابه في غريب الحديث كبير جدًا (٢) .

(١) الفهرست : ٩٦ (ط . إيران) ، تهذيب التهذيب ٢ : ٣٦٢ - ٣٦٣ ، ١١ : ٨٣ - ٨٤ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، الصفحة (هـ) من المقدمة ، ولعل في المطبوع من تاريخ بغداد سقطاً ، إذ لم يرد فيه ترجمة الحسين بن عياش السلمي . وذكر صاحب تاريخ الموصل : ٣٥٥ ، في أحداث سنة ٢٠٤ هـ ، موت الحسن ابن العباس الخزرجي وقال فيه : « وهو مولى لبني سليم ، وكان فصيحاً ، وله كتاب في غريب الحديث ». ويبدو لي أن الاسم والسبة محرفان عن الحسين بن عياشالجزري .

(٢) الفهرست : ٨٩ - ٩٠ ، ١٠٦ ، ١٠٧ - ١٣٥ ، ١٦١ ، بغية الوعاء : ٢٦٦ - ٢٦٧ ، أنباء الرواية : ١٧٩ ، غريب الحديث لأبي عبيد الصفحة (هـ) من المقدمة ، مقدمة تهذيب اللغة للأزهرى : ٦٨ - ٦٩ ، وجعل الأزهرى أبا معاذ النحوي في الطبقة الثالثة من علماء اللغة ، مع أبي عبيد القاسم بن سلام

(مقدمة تهذيب اللغة : ٦٥) .

ع

وبدأت المرحلة الثانية في علم « غريب الحديث » بظهور كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الأزدي البغدادي ^(١) .

١ - ولد أبو عبيد ^(٢) ببراءة ، في حدود عام ١٥٧ هـ ، وتبينت فيه مخايل النجابة والنبوغ منذ صغره ، فطلب العلم ، وسمع الحديث ، ودرس الأدب ، ونظر في الفقه ، وروى اللغة عن أعظم علماء عصره من أئمة اللغة ، أمثال أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي وأبي محمد اليزيدي ، وغيرهم من البصريين ، وأمثال ابن الاعرجي وأبي زياد الكلابي وأبي محمد عبد الله بن سعيد الاموي ، وأبي عمرو الشيباني ، والكسائي ، والأحمر والفراء ، وأبي الحسن علي بن حازم القيسي وغيرهم من الكوفيين .

- وصل أبو عبيد أسبابه بعض الحكام والأمراء في عصره ، كان مؤذناً لأولاد الهراثة ، وتوثقت علاقاته بآل طاهر بن الحسين أمراء خراسان ، وبعد الله بن طاهر منهم خاصة ، وعلت منزلته لديهم ، وما

(١) طبع كتاب غريب الحديث لأبي عبيد في الهند ، بطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، بمحيدر أباد الدكن ، وصدرت أجزاءه الأربع ما بين سنتي (١٩٦٤ - ١٩٦٧ م) وصدر مصححه محمد عظيم الدين جزءه الأول بقديمة فيها نقول من مخطوطة كتاب غريب الحديث للخطاطي ، المحفوظة في مكتبة الجامعة العثمانية .

(٢) انظر أبرز مصادر ترجمة أبي عبيد في آباء الرواة ٣ : ١٢ (الحاشية) والأعلام ٦ : ١٠٠ ، ومعجم المؤلفين ٨ : ١٠١ - ١٠٢ ، ووفيات الأعيان (ح ، الدكتور إحسان عباس) ٦٠٤ : ٤ (الحاشية) ، ودائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الفرنسية الجديدة) ١ : ١٦١ - ١٦٢

قدم بغداد وأقام بها يؤلف ويعلم ، تعرف إلى ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي ، وتولى ثابت أمر الثغور في عام ١٩٢ هـ ، أواخر عهد الرشيد ؛ فاصطحب أبو عبيد إلى طرسوس وولاه القضاء بها ثانية عشرة سنة (١٩٢ - ٢١٠ هـ) وقدر لأنبيبي عبيد أن يسافر إلى مصر ، مع العالم المحدث الكبير يحيى بن معين ، في سنة ٢١٣ هـ ، فاستفاد من لقائه بها من العلماء وأفاد ، (كتب بصر وحكي عنه) ، ثم عاد إلى بغداد ، واستأنف سيرته الأولى يؤلف ويعلم ، ويدرك أبو بكر سنان بن محمد أنه سمع من أبي عبيد بيغداد سنة شرين وإحدى وعشرين ومائتين ، ولحق أبو عبيد في آخريات أيامه بركة بجاوراً ، بعد أن صنف ما صنف من كتبه ، ولم يزل بها إلى أن توفي في عام ٢٢٤ هـ ، وقد بلغ سبعاً وستين سنة .

كان أبو عبيد ذا فضل ودين وسيرة جميلة ومذهب حسن ، عده الأزهر في الطبقة الثالثة من علماء اللغة ، وقال في صفةه : « وكان ديناً ، فاضلاً ، عالماً ، أديباً ، فقيهاً ، صاحب سنة ، معانياً بعلم القرآن وسنت رسول الله ﷺ ، والبحث عن تفسير الغريب والمعنى المشكل »^(١) ويعد علام اللغة الكوفيون من أبرز علمائهم ، وكبار أئمتهم^(٢) .

٢ - صنف أبو عبيد الكتب في فنون متعددة ، في علوم اللغة والفقه ، والقرآن ، وغريب الحديث ، والامثال ، ومعاني الشعر ، وغير ذلك ،

(١) الفهرست : ٧٨ ، ١١٢ ، تاريخ بغداد ٤٠٣ : ٤٠٢ ، ٤١٣ - ٤١٦ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦٠ - ٦١ ، انباه الرواة ٢ : ٢٥٥ ، ٢٥٧ : ٣ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، نور القبس : ٣١٥ - ٣١٤ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٥٦ ، تاريخ الطبرى ١٠٩ : ١٠ ، مراتب النحوين : ٩٤ ، كتاب الأموال : ٢ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٣١٥ - ٣١٦ ، طبقات الخاتمة لابن أبي يعلى ١ : ٢٥٩ - ٢٦٢ ، غريب الحديث لأنبيبي عبيد ١ : ٢٢٦

(٢) مراتب النحوين : ٩٣ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ١٩٩ - ٢٠٢

وكان حسن الرواية ، صحيح النقل ، روى الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتاباً ، عد منها صاحب الفهرست عشرين كتاباً ، وذكر أن له غير ذلك من الكتب الفقهية ^(١) .

وكانت كتبه مستحسنة ، مطلوبة في كل بلد ، وقد أجزل له الامراء ، وبنو طاهر بن الحسين خاصة ، العطاء اعترافاً بفضلها ، وجودة تأليفه . قال أبو الطيب اللغوي : « وكان أبو عبيدة يسبق بكتاباته إلى الملوك فيجيرونها عليها ، فذلك كثرت مكتباته » ^(٢) . وحظي أبو عبيدة برواية ثقات مشهورين ، ذوي ذكر ونبل ، نبغوا وتصدرتا للآقراء والآفادة ، حملوا علمه إلى الآفاق ، وأقراؤا كتبه ، ونشروا مروياته ومسموعاته ^(٣) .

٣ - ليس من هنا الحديث عن كتب أبي عبيدة ، المطبوع منها والخطوط ^(٤) ، وإنما غرضنا أن نعرض بيايجاز لكتابه الشهير (غريب

(١) الفهرست : ١١٢ - ١١٣ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤ : وفيات الأعيان ٤ : ٦٠ ، نور القبس : ٣١٥

(٢) الفهرست : ٩٤ ، مراتب التحويين : ٩٤ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤

(٤) الفهرست : ٧٧ ، ١١٣ ، ١٢٤ ، ١٢٤ ، ٥٧ - ٥٨ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٠٥ - ٢٠٧ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤ ، فهرست ابن خير : ١٨٦ - ١٨٧ ، ابنه الرواة ١ : ٤٤ ، ٤٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٢ - ٢١ : ٣ ، ٣١٠ ، ٢٩٢ ، ٢٨٥ : ٢٤٠ ، ١٤٩ : ٢ ، ٢٦٨

(٥) المطبوع من كتب أبي عبيدة :

أ - كتاب الأمثال (انظر معجم المطبوعات العربية والمغربية ١ : ١٢١) ، كما طبع شرحه :

- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبيدة البكري (ط ١ ، ١٩٥٨ م ١٩٧١ ، ط ٢ ، ١٩٧١ م ١٩٥٨)

ب - كتاب الأموال (مصر ١٣٥٣ هـ)

ج - كتاب الأجناس (المهد ١٩٣٨ م)

=

الحديث) ؟ الذي يعد بدءاً لمرحلة جديدة من مراحل التأليف في هذا الفن .

- كان السابقون من عرضوا لغريب الحديث من أئمة اللغة المشهورين ، ولم يكن لهم كبير مشاركة في علوم أخرى ، أما أبو عبيد فكان أول من تصدى لهذا الفن من التأليف ، ولم تكن اللغة وحدها كل زاده ، كان ، كما ذكرنا ، متقدماً في أصناف علوم الإسلام من القرآن والفقه والحديث والعربية والأخبار ، حسن الرواية ، صحيح النقل ، حتى قال فيه إبراهيم الحربي : « كان أبو عبيد كأنه جبل نفتح فيه الروح ، يتكلّم في كل صنف من العلم ». وأعانه ذلك على أن ينهج في تأليفه نهجاً جديداً ، يفيد فيه من مشاركته في علوم عدة متعددة ، تتصل بالحديث متناً واسناداً ، ليخرج به على السنن الذي سلكه سبقوه في التأليف (١) .

- تتبع أبو عبيد أحاديث رسول الله على كثيرتها ، وآثار الصحابة والتابعين ، على تفرقها وتنوعها ، وأحاط بكل ما ألف قبله في هذا الشأن ، واستوعب كل ما سبقه ، فلما تكامل له جمع ما احتاج إلى بيانه من الأحاديث

= د - كتاب غريب الحديث (الهند ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م)

= ه - كتاب الإيمان (دمشق ١٣٨٥ھ)

ونسب إليه :

و - كتاب النعم (ليزيغ ١٩٠٨ م)

ز - رسالة فيها ورد في القرآن الكريم من لغات العرب ، طبعت بپامش كتاب التيسير في علوم التفسير للديربي (مصر ١٣١٠ھ)

ح - كتاب الرحل والمنزل (البلقة في شذور اللغة ١٩١٤ م)

ط - كتاب النخل والكرم (البلقة في شذور اللغة ١٩١٤ م)

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤١١ ، ١٣ ، ٤١٢ ، طبقات الخانبة لابن أبي يعلى ١ :

٦١ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١

عرضها في كتابه مشفوعة بأسانيدها ، وهذا مالم يقو عليه سابقوه ،
ولا تطرقوا إليه (١) .

-- كانت طريقة ان يورد الحديث ، ثم يعقب بذكر سنه ، ليمضي
بعد ذلك في الكشف عما غمض من كلامه ، ويفسر الغريب من الفاظه ،
وإذا اتفق أن كان اللفظ من المشترك فقد يتطرق إلى ذكر جملة من معانيه ،
إضافة إلى معناه الوارد في الحديث . وقد يدعوه تفسير لفظة إلى تفسير أخوات لها
تلقيها في الاستفاق . ويمتد به نفس القول أحياناً ، فيما أشكل من الأحاديث ،
فيaeda من اطراف الشرح والتفسير ، ابضاحاً لمعناها ، وبياناً لوجهها ، وتأويلاً
لتشابها ، وقد يستطرد إلى ألوان من الفقه ، وبسط للأحكام ، ناقلاً في شروحه
وتفاسيره أقوال آنفة اللغة ، مؤيداً قوله بآيات من القرآن وبشواهد من الشعر ،
ليسترسل أحياناً في تفسير ما جاء في الآيات والشعر من غريب .

- بدأ أبو عبيد كتابه بذكر أحاديث رسول الله ، ثم أتبعها ذكر
أحاديث الصحابة فالتابعين ، كل على حدته (٢) . وعني أبو عبيد بكتابه أتم
عنایة ، بذل فيه جهده ووكده ، وأفني فيه عمره ، حتى بلغ فيه ما بلغ
من الاجادة والاتقان في التصنيف . كان كلامه (كالمسار في الساج) دقة
وتحقيقاً ، واستهوت طريقة الجديدة التي سلكها في التأليف أهل الحديث
والفقه واللغة ، فرغبوها في كتابه ، وتسابقوها إلى دراسته ، لاجتاج ما
يحتاجون إليه فيه (٣) .

(١) النهاية (ط . الخيرية) ٦ : ٥

(٢) تاريخ بغداد ١٢٠٥ : ٤ ، وقد شغلت أحاديث رسول الله الجزءين
الأول والثاني من الكتاب المطبع ، وسبعين صفحات ومائتين من الجزء الثالث ،
أما أحاديث الصحابة فقد شغلت بقية الجزء الثالث (ص : ٢٠٨ - ٤٨٦) ،
وإحدى وأربعين وثلاثة صفحة من الجزء الرابع ، وكان لأحاديث التابعين
بقية الجزء الرابع ما بين الصفحة ٣٤٢ إلى الصفحة ٥٠٠

(٣) تاريخ بغداد ١٢٠٥ : ٤

٤ - ولعل من الخير أن نقتطف من كتاب غريب الحديث ما تمثل به طريقة أبي عبيد واضحة جلية .

- (وقال أبو عبيد في حديث النبي ﷺ : الطيرة والعيافة والطرق من الجبٍ^(١) ، قال : حدثنا الفزارى مروان واسحاق الأزرق أو أحدهما ، عن عوف عن حيان عن قطن بن قبيصة عن قبيصة بن مخارق الهلالى عن النبي ﷺ .

قال أبو عبيد : قوله : العيافة ، يعني زجر الطير ، يقال منه : عفت الطير أعيتها عيافة ، ويقال في غير هذا : عافت الطير تعيف عيفاً ، اذا كانت تحوم على الماء ، وعاف الطعام يعاوه عيافاً ، وذلك اذا كرمه .

واما قوله : «في الطرق» فانه الضرب بالعصا ، ومنه قول ليد : لعمرك ما تدرى الطوارق بالعصا ولا زاجرات الطير ما الله صانع وقال : بعضهم يرويه : الضوارب بالعصا ، ومعناها واحد ، وأصل الطرق : الضرب ، ومنه سميت مطرقة الصانع والخداد ، لأنه يطرق بها ، اي يضرب ، وكذلك عصا النجاد التي يضرب بها الصوف .

والطرق ايضاً في غير هذا : الماء الذي قد خوضته الابل^١ وبولت فيه ، فهو طرق ومطروق ، ومنه حديث ابراهيم : الوضوء بالطرق أحب^٢ الى من النعم ، وأما الطرق فانه من الطارق الذي يطرق ليلاً ، وأما الطرق فانه يكون من السكوت ، ويكون ايضاً استرخاء في جفون العين ، يقال منه : رجل مطروق . قال الشاعر في عمر بن الخطاب يرويه : وما كنت أخشى ان تكون وفاته بكفى سبتي أزرق العين مطروق^(٣)

(١) انظر الفائق للزخيري ٢ : ٩٤ ، والنهاية (ح . الطناحي) ٣ :

٣٣٠ ، ١٢١

(٢) ينسب البيت للشاعر ، ولاخويه مزرد وجذه ، انظر البيان والتبيين ٣ : ٣٦٤ ، وشرح ديوان الحمامة للمرزوفي ، ق ٣ : ١٠٩٢ - ١٠٩٠ ، والاصابة ٨٥:٦

وأما التارق فهو اتباع القوم بعضهم بعضاً ، يقال : قد تطارق القوم اذا فعلوا ذلك ، ومنه قيل للترسة : المجان المطرقة ، يعني قد اطربت بالجلود والعصب اي ألبسته ، وكذلك النعل المطرقة ، هي التي أضيفت اليها أخرى . واحد المجان : مجن) ١١ .

(١) غريب الحديث ٢ : ٤٤ - ٤٨ ، والحديث صالح الاسناد

- مروان الفزارى ، شيخ أبي عبيد ، هو مروان بن معاوية ، أبو عبد الله الكوفي ، ثقة حافظ ، إلا أنه كان يدلس أسماء الشیوخ . مترجم في الجرح والتعديل ١/٤ : ٢٧٢ - ٢٧٣ ، وتدكرة الحفاظ : ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ومیزان الاعتدال : ٩٣ - ٩٤ ، والعبر ١ : ٣١١ ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ٩٦ - ٩٨ ، والتقریب ٢ : ٢٣٩

- وإسحاق الأزرق ، شيخ أبي عبيد الآخر ، هو إسحاق بن يوسف ابن مرداس المخزومي الواسطي ، من الثقات المأمونين . مترجم في الجرح والتعديل ١/١ : ٢٣٨ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ٣١٥ وقاریخ واسط : ١٥٦ - ١٥٧ وقاریخ بغداد ٦ : ٣١٩ - ٣٢١ وتدكرة الحفاظ : ٣٢٠ - ٣٢١ ، وال عبر ١ : ٣١٨ ، وتهذيب التهذيب ١ : ٤٥٧ والتقریب ١ : ٩٣

- وعوف ، هو عوف بن أبي جميلة الأعرابي العبدى المجري أبو سهل البصري ، ثقة . مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٢٥٨ ، والجرح والتعديل ٢/٣ : ١٥ ، ومیزان الاعتدال ٣ : ٣٠٥ ، وال عبر ١ : ٢٠٦ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ١٦٦ - ١٦٧ ، والتقریب ٢ : ٨٩

- وحيان ، هو حيان بن العلاء ، قال فيه الحافظ في التقریب ١ : ٢٠٨ ، مقبول . وهو مترجم في الجرح والتعديل ١ / ٢ : ٢٤٨ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٦٨

- وقطن بن قبيصة ، قال فيه الحافظ في التقریب ٢ : ١٢٦ ، صدوق . مترجم في أخبار أصبان ٢ : ١٥٨ والجرح والتعديل ٢/٣ : ١٣٢ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ٣٨١ *

- وقبصة بن مخاير الملاي ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٥ =

-(وقال أبو عبيد في حديث النبي ﷺ : ان افضل الايام عند الله يوم النحر ثم يوم القر^(١) ، حديثه يحيى بن سعيد و محمد بن عمر الواقدي عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد ، قال يحيى : عن عبد الله بن حبي ، وقال محمد : عن عبد الله بن نجبي ، عن عبد الله بن قرط عن النبي ﷺ . قال أبو عبيد : قوله : يوم القر ، يعني الغد من يوم النحر ، واما سمي يوم القر ، لأن اهل الموسم يوم التروية وعرفة والنحر في تعب من الحج ، فاذا كان الغد من يوم النحر قروا عني ، فلهمذا سمي يوم القر ، وهو معروف من كلام اهل الحجاز .

قال أبو عبيد : سألت عنه ابا عيدة وابا عمرو [الشيباني] فلم يعرفاه ، ولا الاصمعي فيها أعلم^(٢) .

= والإصابة ٥ : ٢٢٧ ، والتهذيب ٨ : ٣٥٠ والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٤٧٧ عن يحيى بن سعيد عن عوف به ، وفيه بعده قال : العيافة من الزجر ، والطرق من الخط ، ثم أخرجه ٥ : ٦٠ عن روح عن عوف به أيضاً .

وأخرجه أبو داود ٤ : ٢٣ (عون المعمود) عن مسدد عن يحيى عن عوف به ، وفيه عقبه : « الطرق : الزجر ، والعيافة : الخط » عكس ما جاء عند أحمد في الموضع الأول . وأخرجه ابن سعد في ترجمة قبيصة في الطبقات ، عن أحمد بن جعفر بن مالك ، عن بشير بن موسى عن هوذة بن خليفة عن عوف به أيضاً .

(١) انظر الفائق للزمخشري ٢ : ٣٢٦ ، والنهاية (ح ، الطناحي) ٤:٣٧

(٢) غريب الحديث ٢ : ٥٣ - ٥٤

- ويحيى بن سعيد ، شيخ أبي عبيد ، هو يحيى بن سعيد القطان التميمي ، أبو سعيد البصري الأحول الحافظ ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٢٩٣ ، والجرح والتعديل ٤ / ٢ : ١٥٠ - ١٥١ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٣٥ - ١٤٤ ، وال عبر ١ : ٣٢٧ - ٣٢٨ ، وذكرة الحفاظ : ٢٩٨ - ٣٠٠ ، وتهذيب التهذيب ١١ : ٢٤٠ - ٢٤٦ =

٥ - أَلْفُ أَبْو عَيْدٍ كَتَابُهُ (غَرِيبُ الْحَدِيثِ) ، عَمِلَهُ لِلخَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ

= - وَمُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ ، شَيْخُ أَبْيَ عَيْدِ الْآخِرِ ، تَكَلَّمَ فِيهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَفْئَةِ الْحَدِيثِ ، وَقَالَ الْحَافِظُ فِي التَّقْرِيبِ ٢: ١٩٤ ، مَتَرَوْكٌ مَعَ سَعَةِ عِلْمِهِ . مُتَرَجِّمُ فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ٧: ٣٣٤ - ٣٣٥ ، وَالْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ ٤: ١/٤ - ٢٠ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادٍ ٣: ٣ - ٤١ ، وَالْعَبْرُ ١: ٣٥٣ ، وَتَذْكِرَةُ الْحَفَاظِ : ٣٤٨ ، وَمِيزَانُ الْاعْتِدَالِ ٣: ٦٦٢ - ٦٦٦ ، وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ٩: ٣٦٣ - ٣٦٩ - وَثُورُ بْنُ يَزِيدٍ ، أَبُو خَالِدِ الْكَلَاعِيِّ الْحَمْصِيُّ ، ثَقَةُ ثَبِيتٍ ، مُتَرَجِّمُ فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ٧: ٤٦٧ ، وَالْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ ١/١: ٤٦٨ - ٤٦٩ ، وَالْعَبْرُ ١: ٢١٩ ، وَتَذْكِرَةُ الْحَفَاظِ : ١٧٥ ، وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ٢: ٣٣ - ٣٥ ، وَالتَّقْرِيبُ ١: ١٢١

- وَرَاشِدُ بْنُ سَعْدِ الْمَقْرَائِيِّ وَيُقَالُ الْحِبَرَانِيُّ الْحَمْصِيُّ ، ثَقَةٌ ، مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الشَّامِ . مُتَرَجِّمُ فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ٧: ٤٥٦ ، وَالْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ ١/٢: ٤٨٣ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ ٤: ٢٤٨ ، وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ٣: ٢٢٥ - ٢٢٦ ، وَالتَّقْرِيبُ ١: ٢٤٠

- وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَحْيَ : الْحَمِيرِيُّ ، أَبُو عَامِرِ الْمُوزَنِيِّ الْحَمْصِيُّ ، ثَقَةٌ ، مُتَرَجِّمٌ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ ٢/٢: ١٤٥ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ ٣: ٢٢١ ، وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ٥: ٣٧٣ ، وَالتَّقْرِيبُ ١: ٤٤٤

- وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَرْطٍ ، الْأَزْدِيُّ الْثَالِيُّ ، صَحَافِيٌّ ، مُتَرَجِّمٌ فِي الإِصَابَةِ ٤: ١١٨ - ١١٩ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ ٢: ٣٠١ : وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ٥: ٣٦١ ، وَالْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ ٢/٢: ١٤٠ ، وَطَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ٧: ٤١٥

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ ٤: ٣٥٠ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ ثُورِ بْدَ ، إِلَّا أَنَّهُ سَمِّيَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَحْيَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَبْحَى ، وَفِيهِ : أَعْظَمُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ النَّفْرِ .

وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدٍ ٨٢: ٢ (عَوْنُ الْمَعْبُودِ) عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى الرَّازِيِّ عَنْ عَيْسَى ، وَعَنْ مَسْدَدٍ عَنْ عَيْسَى = عَنْ ثُورِ بْدَ ، وَفِيهِ بَعْدُهُ ، قَالَ عَيْسَى ، قَالَ ثُورٌ : وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّانِي .

وَذُكِرَ الْحَافِظُ فِي الإِصَابَةِ فِي تَرْجِمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَرْطٍ أَنَّ قَرْطَهُ هَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيَّ وَابْنَ حَبَّانَ وَالْحَامِمَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لَحْيَ عَنْهُ .

(تولى الخلافة ١٩٨ - ٢١٨) وقرأه عليه ، وعرضه على عبد الله ابن طاهر فاستحسنـه ، وأجرـى عليه رزقا كل شهر ، ثم كان أول من سمعـه منه المحدث الكبير يحيـى بن معـين ، أعلم الناس بـ صحيحـ الحديث وـ سـقيـمه ، وـ كـتب إمامـ أهلـ السـنةـ أـحمدـ بنـ حـنـبلـ كتابـ غـرـيبـ الحديثـ إعـجابـاًـ بـهـ وـ تقـديرـاًـ (١) .

— وكان أبو عـيدـ مـعـجـباًـ بـصـنـيعـهـ ، يـذـكـرـ ماـ عـانـاهـ فـيـ سـيـلـهـ حـتـىـ اـسـتـوـىـ لـهـ عـلـىـ صـورـتـهـ الـتـيـ تـمـ عـلـيـهـ ، فـقـدـ روـيـ عـنـهـ أـنـهـ قـالـ : «ـ كـنـتـ فـيـ تـصـنـيفـ هـذـاـ الـكـتـابـ أـرـبـعـينـ سـنـةـ ، وـرـبـماـ كـنـتـ أـسـفـيدـ الـفـائـدـةـ مـنـ أـفـواـهـ الرـجـالـ فـأـخـضـعـهـاـ فـيـ مـوـضـعـهـاـ مـنـ الـكـتـابـ ، فـأـبـيـتـ سـاـهـرـاـ فـرـحـاـ مـنـيـ بـتـلـكـ الـفـائـدـةـ »ـ (٢)ـ .

وـأـقـرـآـ أـبـوـ عـيدـ النـاسـ بـيـغـدـادـ كـتـابـهـ فـيـ (ـ غـرـيبـ الـحـدـيـثـ)ـ (٣)ـ ، وـأـشـارـ إـلـيـهـ فـيـ كـتـابـهـ (ـ الـأـمـالـ)ـ (٤)ـ وـأـمـاـ كـتـابـ الـأـجـنـاسـ فـسـتـخـرـجـ مـنـ غـرـيبـ الـحـدـيـثـ (٥)ـ .

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٦ - ٤٠٨ ، طبقات الخانبة لابن أبي دملي ١ : ٢٦١ - ٢٦٢ ، نور القبس : ٣١٥ ، البداية والنهاية ١٠ : ٢٩١

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٧ ، طبقات الخانبة ١ : ٢٦١ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١ ، وروى الأزهري هذه الكلمة لأبي عـيدـ فـيـ كـتـابـ (ـ الغـرـيبـ المـصـنـفـ)ـ (ـ مـقـدـمةـ تـهـذـيبـ الـلـغـةـ : ٥٦ - ٥٧ـ)ـ ، وـ فـيـ مـرـاتـبـ النـحـوـيـنـ : ٩٣ـ «ـ قـالـ أـبـوـ عـيدـ : جـمـعـتـ كـتـابـ (ـ الغـرـيبـ المـصـنـفـ)ـ فـيـ ثـلـاثـيـنـ سـنـةـ »ـ . أـمـاـ الـقـفـطـيـ فـقـدـ روـيـ كـلـمـةـ أـبـيـ عـيدـ مـرـةـ بـصـدـدـ غـرـيبـ الـحـدـيـثـ ، وـ مـرـةـ بـصـدـدـ الغـرـيبـ المـصـنـفـ (ـ إـنـيـ الـرـوـاـةـ ٣ : ٢٢ ، ١٦ : ٤١٥ـ)ـ .

(٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٥

(٤) فصل المقال في شرح كتاب الأمال (ط ٢) : ٦٠١

(٥) الأجناس : ١

وقدّر لكتاب أبي عيد أن يحجب ما سبقه من كتب ، وأن يحتل المزلة الأولى في كتب غريب الحديث ، حتى قال فيه ابن الأثير : « جمع أبو عيد كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار الذي صار - وإن كان أخيراً - أولاً ، لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة ، والمعنى اللطيفة ، والفوائد الجمة ، فصار هو القدوة في هذا الشأن » وكان أهلاً للعلامة الرقي يقول : « من الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم ، بالشافعى تفقه بحديث رسول الله ﷺ ، وبأحمد بن حنبل ثبت في الحسنة ، لو لا ذلك كفر الناس ، وببيهى بن معين نفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ ، وبأبي عيد القاسم بن سلام ، فسر الغريب من حديث رسول الله ﷺ ، لو لا ذلك لاقتحم الناس في الخطأ » وذكر ابن خلkan مقالة لقوم أجازوا لأنفسهم أن يجعلوا أبي عيد أول من صنف في هذا الشأن إعجازاً بما جاء به فقال في كتابه وفيات الأعيان وهو يتحدث عن أبي عيد : « ويقال : إنه أول من صنف في غريب الحديث » ، وكأنهم لم يعتدوا بتلك الكتب التي سبقت ، تقخيماً لصنيع أبي عيد ، وتقييزاً له عنها . وتناقلت الرواية كتاب أبي عيد في مشرق الأرض ومغاربها ، وكان له في الأندلس شأن أي شأن . « وبقي على ذلك كتابه في أيدي الناس يرجعون إليه ، ويعتمدون في غريب الحديث عليه » ذلك بأنه انتظم بتصنيفه عامـة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، فصار كتابه إماماً لأهل الحديث ، به يتذاكرون وإليه يتحاكمون (١).

٦ - وإذا كان كتاب (غريب الحديث) لأبي عيد قد لقي

(١) النهاية (ط . الخيرية) ١ : ٥ ، غريب الحديث لأبي عيد ص (و) من المقدمة ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠ ، مناقب الشافعى للبيهقي ٢ : ٢٧٧ - ٢٧٨

الإعجاب والتقدير ، فإن ذلك لم يعفه من أن يعرض له عدة علماء بالنقد والرد .

- كان نقد بعضهم ينصب على أن أبي عبيد لم يأت في تصانيفه بجديد ، وإنما سلك طريقاً ملحوظاً ، مهد له من جاء قبله من العلماء والأئمة ، يقول ابن درستويه (٣٤٧هـ) في ذلك — وكان ابن درستويه شديد الانتصار للبصريين في النحو واللغة — : « وقد سبق [أبو عبيد] إلى جميع مصنفاته ، فمن ذلك الغريب المصنف ... وكتاب غريب الحديث ، أول من عمله أبو عبيدة معمر بن المنفي ، وقطرب ، والأخفش ، والنضر بن شمبل ... فجمع أبو عبيد عامة ما في كتبهم وفسرها ، وذكر الأسانيد ... وكذلك كتابه في معاني القرآن ... » ويفضي ابن درستويه ليؤكّد أنّ أبي عبيد في كتبه قد عمد إلى كتب السابقين فأفاد منها ، وقد يضيف إليها ما يحسنها^(١) .

وجاء أبو الطيب عبد الواحد بن علي المغوي (٣٥١هـ) — وكان مفرط العصبية للبصريين ، يُسْخِي على من سواهم ، ولا يرى العلم إلا ما جاءوا به^(٢) — فأيده مقالة ابن درستويه في اعتقاد أبي عبيد في تأليفه على السابقين ، ينتزع كتبه من تصانيفهم ، كما أضاف إلى ذلك أنّ أخذ على أبي عبيد قلة روایته في اللغة ، وأنّ أكثر ما يحكى عن علماء البصرة غير سماع ، قال في حقه : « وأما أبو عبيد القاسم بن سلام ، فإنه مصنف حسن التأليف ، إلا أنه قليل الرواية ، تقطعه عن اللغة علوم افتئنَ فيها ... وأما كتابه في (غريب الحديث) فإنه اعتمد فيه على كتاب أبي عبيدة معمر بن المنفي في (غريب الحديث) وذكر أهل البصرة أنّ أكثر ما يحكى عن

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، البلقة للفيروز ابادي : ١٠٧ ، وصحفت كلمة (سبق) بالباء الموحدة في طبعة تاريخ بغداد إلى (سيق) بثناة تحتية .

(٢) مراتب النحويين : ٢٤ - ٢٧ ، ٧٤ - ٧٥ ، ٩٠ - ٩٢

علمائهم غير سباع ، إنما هو من الكتب وكان ناقص العالم بالإعراب » (١) .

- وتصدى علماء لنقد كتاب (غريب الحديث) خاصة ، قال إبراهيم الحربي (٢٨٥ هـ) : « وكتاب غريب الحديث فيه أقل من مائة حرف « سمعت » ، والباقي : « قال الأصمعي » ، وقال أبو عمرو » ، وفيه خمسة وأربعون حديثاً لا أصل لها ، أتي فيها أبو عبيد من أبي عبيدة معمر بن المثنى » وفي رواية أخرى عنه : « في كتاب غريب الحديث الذي صنفه أبو عبيد ثلاثة وخمسون حديثاً ليس لها أصل » وفي رواية ثالثة عنه : « في كتاب أبي عبيد : غريب الحديث ، مائة وخمسة وعشرون حديثاً ليس لها أصل قد علمت عليها في كتابي » (٢) .

- ورد أبو سعيد أحمد بن خالد البغدادي الضرير على أبي عبيد حروفاً كثيرة من كتاب (غريب الحديث) (٣) .

- ثم قام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ) بوضع كتاب فيها أخذه على أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ، سماه إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث (٤) .

(١) مراتب النحوين : ٩٣

(٢) تاريخ بغداد : ٦ - ٣٥ و ٣٦ - ١٢ : ٤١٣ ، معجم الأدباء ١ : ١٢١ ، نزهة الألبان : ٢٧٧ ، نور القبس : ٣١٥ وفي مطلع عبارة (نور القبس) سقط يستكمل من تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٣ - ١٣١

(٣) مقدمة تهذيب الأزهري : ٦٣ - ٦٤ ، إنباء الرواة ١ : ٤١ ، معجم الأدباء ٣ : ١٦ - ١٧ ، بغية الوعاء : ١٣١ - ١٣٢

(٤) الفهرست : ١٢٢ ، ١٣٥ ، مقدمة تهذيب الأزهري : ٧٥ ، فهرست ابن خير : ١٨٨ ، بغية الوعاء ٢٩١ ، وسنفصل القول في الكتاب حين تتحدث عن ابن قتيبة وجوهه في غريب الحديث ، في الفقرة التالية ،

— وألف أبو علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني المعروف بلغدة كتاب (الرد على أبي عبيد في غريب الحديث)^(١).

٥

ويعد ابن قتيبة الرجل الثاني الذي يمثل هذه المرحلة الجديدة من مراحل التأليف في غريب الحديث ، والتي بدأها أبو عبيد .

١ — ولد أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري^(٢) في سنة ٢١٣ هـ ببغداد ، وقيل : بالكوفة ، ونشأ وترعرع في جنبات بغداد ،

(١) معجم الأدباء ١٤٢ : ٨ ، بغية الوعاة : ٢٢٢ ، وقد رد علماء آخرون على أبي عبيد القاسم بن سلام ، ولكننا نورد هنا إلا ما كان من ردود علماء القرن الثالث الهجري ومطالع الرابع ، وإنما كان صريحاً في الرد على غريب الحديث خاصة ، لا في الرد على كتاب آخر من كتب أبي عبيد كالغرائب المصنف ، ولا في الرد على غلط أبي عبيد في كتبه عامة ، مثل كتاب أبي سعيد محمد بن هبيرة الأسدي المعروف بصعودا (فيما أنكرته العرب على أبي عبيد القاسم بن سلام ووافقته فيه) ، ومثل كتاب أبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد غالباً ثعلب (٥٣٥ هـ) ، (ما أنكره الأعراب على أبي عبيد فيها رواه وصنفه) انظر الفهرست ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٣٢ و ١٩ : ١٠٥ .

(٢) انظر مصادر ترجمة ابن قتيبة في إنباه الرواة ٢ : ١٤٣ (الحاشية) ، والأعلام ٤ : ٢٨٠ ، ومعجم المؤلفين ٦ : ١٥٠ - ١٥١ ، وكتاب المعانى الكبير ، الصفحة (٤) من المقدمة ، وكتاب عيون الأخبار ٤ : ١٢ (من المقدمة) . وقد خصه الأستاذ السيد أحمد صقر بكلمة طيبة في مقدمة كتاب : ثأويل مشكل القرآن ، ثم أفرد له الأستاذ جبار لكونت كتابه الجامع الواقي (ابن قتيبة) (ط . المعهد الفرنسي بدمشق - ١٩٦٥ م) ، وهو يعد من أجود الدراسات التي صدرت عن ابن قتيبة حتى الآن ، وقد عرض في كتابه لمصادر ترجمة ابن قتيبة ، والدراسات التي ألفت عنه ، كما حرر الأستاذ لكونت مقالة ابن قتيبة في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة الفرنسية) ٨٦٨ : ٣ - ٨٧١

فتذهب، على أيدي علمائها وفقهائها ومحدثيها . وهو مروزى الأصل وإنما سمي الدينورى لأنه ولد قضاء الدينور (١) مدة فسب إليها ، وإذا كانت الدينور من أمهات مدن الجبل أجاز البيروني لنفسه أن يجعله (الجبلى) (٢).

— كان ابن قتيبة منذ شأته طلعة ، ذا نفس توافة إلى المعرفة والنظر في كل علم ، يقول عن نفسه : « وقد كنت في عنقوان الشباب » وطلب الآداب ، أحب أن أتعلق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم » (٣)، فغشى مجالس الفقه والتفسير والحديث ، وتردد على حلقات الأدب واللغة والتاريخ ، ونهض بعده الطلب حق النهوض ، يويد أن يلم بكل شيء ، مشغوفاً بالدرس ، لا يختار عنه بديلاً ، حتى توصل إلى ما شاء من تلك الثقافة العريضة ، واجتمعت له علوم كثيرة ، فهو عالم باللغة ، والنحو ، وغريب القرآن والحديث ومعانيها ، والشعر ، والفقه ، روى عن كبار آئمة اللغة في عصره أمثال أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (٤٨٥) وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي (٥٧٢) وأبي الحسن عبد الرحمن ابن أخي الأصمى ، وأبي سعيد أَحْمَدَ بْنَ خَالِدَ الْمَكْفُوفَ الْبَغْدَادِيَّ (٥)،

(١) الدينور : مدينة من أعمال الجبل ، قرب قرميسين كثيرة النار والزروع ، ولها مياه ومستشرف . والدينور يقدر ثلثي هذان ، وبين الدينور وهذان نيف وعشرون فرسخاً (معجم البلدان) .

(٢) الآثار الباقية : ٢٣٨ ، والجبل أو الجبال : هي البلاد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهذان والدينور وقرميسين والري وما بين ذلك من البلاد الجليلة والكور العظيمة (معجم البلدان ، كلمتا : الجبل ، والجبال) .

(٣) تأويل مختلف الحديث : ٦٠

(٤) أخطأ القسطي في إباه الرواة (١ : ٤١) حين ذكر أن أبا سعيد الضرير (المكفوف) قدم على ابن قتيبة وأخذ عنه ، فعكس الأمر وقلب الواقع .

وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي (٤٦٩ هـ)^(١) . وبلغ من اتساعه في المعرفة ، واقتنانه في العلوم أن عده الذبي : من أوعية العلم . وكان ابن قتيبة صادقاً فيها يرويه ، ثقة ، ديناً ، فاضلاً .

— ألف ابن قتيبة الكتب الحسان في فنون شتى من القرآن والحديث والفقه والأخبار واللغة والشعر ، وأقرأ كتبه ببغداد إلى حين وفاته ، وكان كثير التصنيف والتأليف ، عدد له حاصل الفهرست ثلاثة وثلاثين كتاباً من تأليفه^(٢) وقال : « وكتب باجبل مرغوب فيها » ، وقال أبو زكريا يحيى الدين النووي (٥٧٦ هـ) وهو يتحدث عن ابن قتيبة : « وله مصنفات كثيرة جداً ، رأيت فهرستها ونسيت عددها ، أظنهما تزيد على ستين مصنفاً في أنواع العلوم »^(٣) .

تنوعت تأليف ابن قتيبة بتنوع معارفه ، وكان كتبه شأن أي شأن في المغرب والأندلس حتى كانوا يقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه ، وقال ابن كثير : « وكان أهل العلم يتيمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه » ، وعد ابن خلدون في مقدمته كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة واحداً من أربعة دواوين هي أصول علم

(١) ذكر الفيروز ابادي في البلقة : ١١٦ ، أن ابن قتيبة روى عن ابن الأعرافي ، وقد تفرد الفيروز ابادي بهذه الرواية ، ولعله وهو محمد بن زياد ابن عبيد الله الزيادي أحد شيوخ ابن قتيبة . وانظر شيوخ ابن قتيبة في مقدمة كتاب تأويل مشكل القرآن : ٦-٣ ، وفي كتاب (ابن قتيبة) لغيرار لكونت : ٤-٧ .

(٢) ذكر ابن النديم وهو يعدد كتب ابن قتيبة كتاب عيون الشعر ، وأنه يحتوي على عشرة كتب منها كتاب المراتب ، ثم عاد فذكر كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر ، فإذا أسقطنا الثاني لأنه جزء من الكتاب الأول ، كان ما ذكره ابن النديم من كتب ابن قتيبة اثنين وثلاثين كتاباً (الفهرست : ١٢١ - ١٢٢) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول ، الجزء الثاني : ٢٨١

الأدب وأركانه . وتوفي ابن قتيبة فجأة في سنة ٢٧٦ هـ^(١) .

٢ - لن نعرض لكتب ابن قتيبة المخطوط منها والمطبوع^(٢) ، ولا لاختلاف آراء العلماء فيها ، وكل ما يعنينا إنما هو كتابه الذي ألفه في (غريب

(١) الفهرست : ١٢١ - ١٢٢ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، إنتهاء الرواية : ٢ : ١٤٣ - ١٤٧ ، وفيات الأعيان ٣ : ٤٢ - ٤٤ ، بقية الوعاة : ٢٩١ ، البلغة لغيروز أبادي : ١١٦ ، مراتب التحويين : ٨٥ - ٨٦ ، تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية : ١٢١ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٣٣ ، البداية والنهاية : ١١ : ٨ ، ٥٧ و ١٣ : ٢٧٩ - ٢٧٨ ، مقدمة ابن خلدون : ٤٨٩ ، تاريخ بغداد ١٠ : ١٧٠ - ١٧١ ،

(٢) المطبوع من كتب ابن قتيبة : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، أدب الكاتب ، الأشربة ، إصلاح الغلط ، الأفواه ، تأویل مختلف الحديث ، تأویل مشكل القرآن ، تفسير غريب القرآن ، الشعر والشعراء ، العرب ، عيون الأخبار ، المسائل والأجوبة ، المعرف ، المعاني الكبير ، الميسر والقداح ،

وينسب إليه كتاب الإمامة والسياسة وليس له ، ورسالة في النبا والنبن منتزة من كتاب الجرائم المنسوب إليه (البلغة في شذور اللغة : ١٤٦ ، ط ١٩١٤ م بيروت) .

وذكر صاحب الأعلام في المستدرك الثاني : ١٣٣ أن كتاب ابن قتيبة في غريب الحديث قد طبع جزءان منه في الهند ، ولست على يقين من صحته . وقد جمع أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف الكتافي (٤٥٤ هـ) بين كتابي غريب القرآن ومشكل القرآن لابن قتيبة في كتاب القرطبين المطبوع في القاهرة (١٣٥٦ هـ) .

وانظر صفة كتب ابن قتيبة في مقدمة الجزء الرابع من عيون الأخبار ، ٤ : ١٩ - ٣٨ ، وفي مقدمة كتاب القرطبين ، الصفحة (ط - ص) ، وفي مقدمة كتاب تأویل مشكل القرآن : ٧ - ٣٥ ، وفي الفصل الخامس من كتاب (ابن قتيبة) جيرار لكونت : ٩٣ - ١٧٨ °

(٧) م

الحديث) ، يتبع فيه الطريقة التي ابتدأها أبو عبيد القاسم بن سلام وكان أباً عذراً .

— نشأ ابن قتيبة في القرن الثالث الهجري ، القرن الذي كان من أخصب القرون في حفظ الحديث وتدوينه وروايته والتأليف فيه ، وشهد ابن قتيبة كبار المحدثين والحفاظ ، وحذاق أصحاب الجرح والتعديل ، وكان ، كما ذكرنا ، منهوماً بالعلم ، متعلقاً بالمعرفة ، قد أخذ من كل علم بطرف ، وأتيح له أن يلي القضاء ، فدفعه ذلك إلى أن يضي في بسط آفاق معرفته في اللغة والأدب والفقه والحديث والتفسير وأمثالها ، ليكون أقدر على الحكم ، وأدلى إلى الصواب في القضاء ، ومال ابن قتيبة إلى الحديث وأصحابه ميلاً شديداً ، وآثر طريقهم ، وحمد نهجهم^(١) . وكان له من ثقافته الدينية واللغوية ما هيأ له أن يشارك في (غريب الحديث) .

— كان ابن قتيبة شديد الاعجاب بسلفه أبي عبيد ، تعرف إلى مؤلفاته وهو في طرأة العمر ومقابل الشباب ، فقد هيأ له أستاذه أبو العباس أحمد بن سعيد البحرياني صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام طريق الاطلاع عليها ، حدثه بكتابي أبي عبيد : الأموال ، وغريب الحديث في عام ٢٣١ هـ ، وابن قتيبة في الثامنة عشرة من عمره ، فأشرب قلبه حبه ، ومال إليه وسمع كتبه ، وعكف على مؤلفاته^(٢) .

— واستأنر به كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد ، وأعجبته طريقة التي اخترطها في تأليفه ، وأخذ نفسه بدارسته حتى كان منه أبداً على ذكره ،

(١) تأويل مختلف الحديث : ٧٣ - ٨٦

(٢) إصلاح الغلط : ٦ ، ٨ ، طبقات الخانبة لابن أبي يعلى ١ : ٤٥

يستشهد به ، ويعود اليه ، وينهل منه ، وكان من أثر إِكْبَاب ابن قتيبة على غريب أبي عبيد ، قراءة ومدارسة وتحصيًّا ، أن تبين له أن إِبا عَيْد لم يحيط بكل الأحاديث التي تحتاج إلى تفسير أو بيان ، وأن ما نَدَّ عنه وشرد ، لا يقل عما أثبتت وقَيَّد ، وتشوَّف إلى أن يصنع مثل صنيعه ، في غريب الحديث ، وألزم نفسه أن يضي على النهج الذي اختطه أبو عَيْد وحده ، فِيمَ بعْمَلَهُ مَا بَدَأَ الرَّائِدُ الْأَوَّلُ ، ويُشَدِّدُ مَا أَسَى ، ويكون كتابه صلة لغريب أبي عَيْد وتكلمه . فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث ، حذا فيه حذو أبو عَيْد في طريقته ، ولم يodus كتابه شيئاً من الأحاديث التي ذكرها أبو عَيْد في كتابه ، بل فسر من الأحاديث مالم يفسر أبو عَيْد ، الا ما دعت إليه حاجة من زيادة شرح أو بيان أو استدراك أو اعتراض .

— لم يؤلف ابن قتيبة كتابه ، أول ما ألفه ، على النحو الذي انتهى إلينا ترتيباً وتبويباً ، بل إنه حين ابتدأ في عمل الكتاب أطلع عليه قوماً من حملة العلم فسألوه إن يخرج لهم ما يؤلف في كل أسبوع ، فلما تم لهم الكتاب وسمعواه من ابن قتيبة حمله قوم منهم إلى الامصار . ثم عرضت لابن قتيبة بعد ذلك أحاديث كثيرة لم يكن فسرها ، فعمل بها كتاباً ثالثاً سماه الزوائد في غريب الحديث^(١) .

— ثم كان من شأن هذه الصلة الوثيقة التي ربطت بين ابن قتيبة وكتاب أبي عَيْد في الغريب أن تكشفت له مواضع جانب فيها أبو عَيْد الصواب ، وخالف عن القصد في تفسيره ، فألف ابن قتيبة في ذلك كتاباً

(١) غريب الحديث لابن قتيبة (مخطوطة الظاهرية) ١ : ٣ ، ٤

سماه (اصلاح غلط ابي عبيد في غريب الحديث)^(١) ، ذكر فيه الأحاديث التي أداه اجتياذه ان يخالف ابا عبيد في تفسيرها ليعرض تفسيراً آخر يراه الصواب ، وأنه المعنى المراد ، ولكنه لم يغفل عن ان يشيد ، في مقدمة كتابه ، بفضل أبي عبيد عليه ، وأنه منه تعلم ، وعنه أخذ ؛ وهو ينس ان يذكر ان ما قام به من اصلاح الفساد وسد الخلل ، قليل في جنب صواب ابي عبيد . إن ابن قتيبة يتحدث عن سنته بكل التجلة والقدر (وما أحسنه أدبها) ؛ فهو يقول : « ونذكر الأحاديث التي خالفنَا الشِّيخ أبا عَبْدِ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِهَا ، عَلَى قَاتِلِهَا فِي جَنْبِ صَوَابِهِ » ، وشكراً ما نفعنا الله به من علمه^(٢) .

لم يطل ابن قتيبة في اصلاحه وقصر مأخذة على ثلاثة وخمسين حديثاً وقع فيما زال فتبه ابن قتيبة عليه ، ودل على الصواب فيه . وهو حقاً شيء

(١) قام الأستاذ جيرار لكونت بتحقيق إصلاح الغلط عن نسختي أبي صوفيا والظاهرية ، ونشره في مجلة جامعة القدس يوسف بيروت عام ١٩٦٨ وذكر صاحب كشف الظنون (١ : ١٠٨) أن أبا المظفر محمد بن آدم ابن كمال الهرمي (٤٤٤) قد شرح إصلاح الغلط لابن قتيبة (انظر ترجمة أبي المظفر محمد في معجم الأدباء ١٧ : ١١٦ - ١١٧ ، وبغية الوعاة : ٤ : وإنما الرواية ٣ : ١٢٦) .

وذكر أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن السكري أن ابن قتيبة حدثه باصلاح الغلط من أوله إلى آخره في سنة ٢٦٨ هـ بعد أن قرأ عليه كتاب غريب الحديث (مجلة الدراسات الشرقية ٢١ : ٣٩٤) ، مقدمة اصلاح الغلط : ٤) وان يكتفى ابن قتيبة بتعقب أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ، بل تعقبه في اختيار القراءات أيضاً . انظر : الكشف عن وجوه القراءات انسبع للكي بن أبي طالب القيسى ٥٠١١ : ٢ ، ١٧ : ٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٧٥ ، ٩٧ ، ٧٨ ، ١٠٨ ، ١١٤) .

(٢) إصلاح الغلط : ٦

قليل في جنب ما ألفه أبو عبيد^(١).

— ثم بدا لابن قتيبة ، وقد أفرد لما خذله على أبي عبيد كتاب اصلاح الغلط ، أن يعيد النظر في كتابيه المؤلفين اولاً في الغريب ، ليجمعها في كتاب واحد ، مع ما يقتضيه ذلك الجمع من تنسيق بين ما جاء في الكتابين ، بتقديم ما يجب تقادمه ، واسقاط ما يحسن اسقاطه ، فجاء كتابه مثل كتاب أبي عبيد أو أكبر منه ، واذ كان عمله إنما هو إكمال لآيات أبي عبيد ، قال فيه الحافظ ابن حجر : « ذيل ابن قتيبة على أبي عبيد في غريب الحديث ذيلاً يزيد على حجمه »^(٢).

٣ — ونقططف ، هنا ، كلمات لابن قتيبة من مقدمة كتابه (غريب الحديث) يصف بها تجربته في التأليف وصنعيه في الاقتداء بسلفه أبي عبيد ، قال - بعد أن ذكر حملة من الأحاديث تشكل على حملة العلم - :

« ... ومثل هذا كثير ، يطول بذكره الكتاب ، وفيما ذكرت منه مادل على ما أردت ، وستقف على تفسير هذه الأحاديث في أضعاف الكتاب إن شاء الله . وقد كان تعرف هذا وأشباهه عشرأً ، فيما مضى ، على من طلبه ، لحاجته إلى أن يسأل عنه أهل اللغة . ومن يكمل منهم لتفسير غريب الحديث وفق معانيه وإظهار غواصاته قليل . فاما زماننا هذا فقد كثفي حملة الحديث فيه مؤونة التقير والبحث ، بما ألفه أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثم بما ألفناه في كتابنا هذا بحمد الله . وقد كنت زماناً أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث ،

(١) انظر مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، فهرست ابن خير : ١٩٠-١٨٨
لسان الميزان ٣ : ٣٥٨ ، ٣٥٩.

(٢) النهاية (ط. الحيرية) ١ : ٥ ، لسان الميزان ٣ : ٣٥٨

وأن الناظر فيه مستغن به ، ثم تعقبت ذلك بالنظر والتقييس ، والمذاكرة ، فوجدت ماترك نحواً مما ذكر ، أو أكثر منه ، فتبعت ما أغلق ، وفسرته على نحو ما فسر ، بالاسناد لما عرفت إسناده ، والقطع لما لم أعرفه ، وأثبتت ذلك بذكر الاستيقان والمصادر والشواهد من الشعر . وكرهت أن يكون الكتاب مقصوراً على الغريب ، فأودعته من قصار أخبار العرب وأمثالها ، وأحاديث السلف وألفاظهم ما يشاكلاً الحديث أو يوافق لفظه لفظه ، لتكثر فائدة الكتاب ويتسع قارئه ، ويكون ذلك عوناً على معرفته وتحفظه ، ولم أعرض لشيء مما ذكره أبو عبيد ، إلا أحاديث وقع فيها زلل ، فنبهت عليه ، ودللت على الصواب فيه ، وأفردت لها كتاباً يدعى كتاب (إصلاح الغلط) ، وإلا حروفاً تعرض في باب ، ولا يكمل ذلك الباب إلا بذكراها ، فذكرتها بزيادة في التفسير والفائدة . ولن يخفى ذلك على من جمع بين الكتابين . وكنت حين ابتدأت في عمل الكتاب أطلعت عليه قوماً من حملة العلم والطالبين له ، فأعجلتهم الرغبة فيه ، والحرص على تدوينه ، عن انتظار فراغي منه ، وسألوا أن أخرج لهم من العمل ما يرتفع في كل أسبوع ، ففعلت ذلك حتى تم لهم الكتاب ، وسمعوه ، وحمله قوم منهم إلى الأمصار . ثم عرضت بعد ذلك أحاديث كثيرة فعملت بها كتاباً ثانياً يدعى كتاب الزوائد في غريب الحديث ، ثم تدبرت الكتابين فرأيت الأصوب في الرأي أن أجمعهما ، واقدم ما سببه أن يقدم ، وأؤخر ما سببه أن يؤخر ، وأحذف ما سببه أن يحذف ، فمن رأى ذينك الكتابين على غير تأليف هذا الكتاب فليعلم أنها شيء واحد ، وأن الاختلاف بينها إنما هو تقديم وتأخير وحذف مكرر من التفسير ، ورأيت أن أفتح كتابي هذا

بتبيين الألفاظ الدائرة بين الناس في الفقه وأبوابه^(١) ... ثم ابتدأت تفسير غريب حديث النبي ﷺ، وضمنته الأحاديث التي يدعى بها على حملة العلم حمل التناقض، وتلوته بأحاديث صحابته رجلاً رجلاً، ثم بأحاديث التابعين ومن بعدهم، وختمت الكتاب بذكر أحاديث غير منسوبة، سمعت أصحاب اللغة يذكرونها، لا أعرف أصحابها ولا طرقها، حسنة الألفاظ، لطاف المعاني، تضعف على الأحاديث التي ختم بها أبو عبيد كتابه أضعافاً. وأرجو ألا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال، وأسائل الله أن ينفعنا بما علمنا»^(٢).

- وهذه الطريقة التي اتبعها ابن قتيبة في تأليف كتابه غريب الحديث، وتنقيحه إياه بعد ذلك هي التي تفسر لنا إشارة ابن قتيبة إلى كتابه غريب الحديث في بعض كتبه، ثم إشارته إلى تلك الكتب في كتابه الغريب^(٣).

٤ - كان ابن قتيبة مغبطاً بكتابه (غريب الحديث)، راضياً عنه، فقد احتفل له وتهماً، وبذل فيه ما بذل من جهد، مما سمح له أن يقول في خطبة كتابه: «وأرجو ألا يكون بقي بعد هذين الكتابين، من غريب

(١) وسلك نحو هذا في كتابه تفسير غريب القرآن حين افتتحه بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، وأتبع ذلك ألفاظاً كثيرة تردادها في الكتاب لم يز بعض سور أولى بها من بعض (تفسير غريب القرآن : ٣).

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة (خطوطة الظاهرية) ١ : ٣ - ٤

(٣) ذكر ابن قتيبة كتابه (غريب الحديث) في كتابيه : (إصلاح الغلط) ١٩٠٣، و (تأويل مشكل القرآن) (ط ٢) : ٨٢، ٩٣، ١٣١، ٢٦٥، كما ذكر في غريب الحديث (خطوطة الظاهرية) كتابه إصلاح الغلط (١ : ٧٠، ٣ : ١)، وكتابه مشكل القرآن (١ : ٩).

الحديث ، ما يكون لأحد فيه مقال » ، وأشار ابن قتيبة إلى كتابه (غريب الحديث) في عدة كتب له ، وأشار إليه في : أدب الكاتب ، وإصلاح الغلط ، وعيون الأخبار ، والأشربة ، وتأويل مختلف الحديث ، والشعر والشعراء ، وتأويل مشكل القرآن ، والمسائل والأجوبة . بل إنه في كتاب (المسائل والأجوبة) عطف على كتابه في غريب الحديث ليضيف إليه أحاديث عرضت له ، لم يكن قد أوردهـا فيه ، إقاماً له واستكمالاً^(١) .

— واختلف العلماء في تقدير ابن قتيبة وأعماله ، وليس من غرضنا استعراض ما قالوه^(٢) ، بل نقف ، ما أمكن ذلك ، عند أقوالهم بشأن

(١) النهاية (ط الخيرية) ١ : ٦ ، المسائل والأجوبة : ١٥ - ٢٠ ، مقدمة تأويل مشكل القرآن للسيد أحمد صقر : ١٠ - ١١ ، ابن قتيبة لجيرار لكونت : ١٤٧ ، ويدرك ابن خير في فهرسته : ١٩٥ ، كتاب المسائل لابن قتيبة ، في معاني غريب القرآن والحديث ، مما لم يقع في كتاب الغريب .

— وفي الظاهرية نسخة من (غريب الحديث) لابن قتيبة ، تتألف من الجزءين : الأول (وعدد أوراقه ١٣٩) والثالث (وعدد أوراقه ١٣٤)، ونسخة ثانية من ثانٍ أوراق ، تتضمن القسم الأول من الجزء الأول من الكتاب . وفي مكتبة شسترتي المجلد الثاني من غريب الحديث من نسخة قديمة جداً مكتوبة ببغداد في سنة ٢٧٩ هـ .

انظر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : ١ - المتخب من مخطوطات الحديث للأستاذ محمد ناصر الدين الألباني : ٩٤ ، ٢ - علوم اللغة العربية للسيدة أماء حمسي : ١٠٢ - ١٠٦ ، المستدرك الثاني من كتاب الأعلام : ١٣٣ ، مقدمة تأويل مشكل القرآن : ١٠ ، ابن قتيبة لجيرار لكونت : ١٤٨ ، مجلة الدراسات الشرقية (المعهد الفرنسي بدمشق) ٢١ : ٣٥١ - ٣٦٨٤٣٥٨ - ٣٩٣ ، مجلة المورد ، المجلد الأول ، العددان الأول والثاني : ١٧٢ رقم ٣٤٩٤ .

(٢) انظر آراء العلماء في ابن قتيبة في مقدمة تأويل مشكل القرآن : ٧٦-٤٥

كتابه : إصلاح الفلط ، وغريب الحديث خاصة ، ونستطيع أن نقول ان ابن قتيبة قد تأبى عليه في هذا الباب فتات : فتة من التغوين الخصين الذين وقفوا أنفسهم على اللغة وعلومها ، وتفرغوا لها تفرغ عابد مبتل في حماريها ، فلم ينظروا إلى ابن قتيبة نظرة الرضا ، إذ كان مشاركاً في علوم جمة ، ولم يقصر ^{هـ} على اللغة وحدها ، حفياً بها منصرفًا إليها ، وفتة ثانية ليست من جنس الأولى ، نعمت عليه أن ينقد أبا عبيد ، وأن يجرؤ على تحطيمه ، وهي التي تربأ بأبي عبيد عن المفهوة ، وتأبى له الزلة ، فقد أصبح أبو عبيد قمة لا يطامها الآخرون والإمام المقبول عند الناس كافة ، ترسخت مكانته اللغوية بكتابيه (الغريب المصنف) و (غريب الحديث) ، فانكب الناس عليها درساً وحفظاً ، حتى قال أبو عمرو شمر بن حمدوه المروي اللغوي : « ما للعرب كتاب أحسن من مصنف أبي عبيد »^(١) . ورزق أبو عبيد أصحاباً حفظوا عنه ، واقرأوا كتبه ، وأنصاراً راحوا يتسبّبون به ويعضون على سنته ، علماءً وأدباءً وزهداً وورعاً وتدریساً وتأليفاً ، وعدا الإمام القدوة مضرب المثل . فأئى لابن قتيبة أن يقاس به ، وأن نجره من نجارة^(٢) .

— ونستطيع أن نعد من رجال الفتة الأولى أبا علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني المعروف بلغدة ، فقد ألف كتابه (الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث) ، وكان من قبل قد رد على أبي عبيد^(٣) .

ونضم إلىه أبا الطيب عبد الواحد بن علي النحوي (٣٥١ هـ) الذي قال في حق ابن قتيبة : « وكان أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

(١) تهذيب التهذيب ٣٦٨ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٥٧ ، إنباء الرواة ٢: ٧٧-٧٨

(٢) إنباء الرواة ١: ١٢٥ ، طبقات الخنابلة لابن أبي يعلى ١: ٢٩٢ ، وانظر بشأن أصحاب أبي عبيد ما سبق (ص: ٨٣ ، رقم ٣) .

(٣) معجم الأدباء ٨: ١٤٢ ، وانظر ما سبق (ص: ٩٤) .

أخذ عن أبي حاتم [السجستاني] ... إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات ، وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها ، نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو ، وكتابه في تعبير الرؤيا ، وكتابه في معجزات النبي ﷺ وعلى آله ، وعيون الأخبار ، والمعارف والشعراء ، نحو ذلك مما أزري به عند العلماء ، وإن كان نفق بها عند العامة ، ومن لا بصيرة له «^(١)».

كما نستطيع أن نعد من رجال الفئة الثانية محمد بن نصر المروزي (٢٩٤هـ) الذي انتصر لأبي عبيد ، ورد على ابن قتيبة اعتراضاته ، وردوده على أبي عبيد ^(٢).

وكانت الفئة الثانية تعاظم ويزداد عددها ، فقد غالباً أبو عبيد تعالى شأنه على كرور الأيام ، ويزيده من القرون رفعه وتجلة ، فإذا نحن نستقبل على مدارج السنين فئات اثر ثقات ، يتذارسون كتبه ، ويتفاقلونها ، يرويها عدل عن عدل ، ينضجون عنها وينافحون ، وتقاس كتبهم واعمالهم بما كتب وعمل ، ويعُد منهأ لأحدهم ما رواه من كتب أبي عبيد ، بل يكبل أحدهم نفسه حتى يحفظ كتابه (الغريب المصنف) ، فعل الفرزدق حين قيد نفسه ليحفظ القرآن . ثم هم يضعون وبعد من ذلك لحاولوا ترتيب كتب أبي عبيد وتنسيقها أو اختصارها ، أو التذليل عليها ^(٣).

ومن هنا نستطيع أن نفهم ذلك الصوت المتأخر الذي انطلق من الأندلس

(١) مراتب النحويين : ٨٤ - ٨٥

(٢) لسان الميزان ٣ : ٣٥٨ ، تاريخ بغداد ٣١٥ : ٣ ، ٣١٠ : ٢ ، ٢٦٨ ، ٢٩ : ١

(٣) ابن الرواية : ٤٢ ، ٧٥ ، ٣١٠ : ٢ ، ٢٦٨ ، ٢٩ : ١ ، بغية الوعاة : ٤٢ ،
البلغة للفيروزبادي : ١٤٩ ، طبقات الزبيدي (ط٢) : ٢٥٩ ، المحمدون من الشعراء :
٢٧٠ ، برنامج شيخ الرعاعي : ٣٣ ، ٩٦ ، ٤٨ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٢٠٤ ، ١٧٢ ، ٩٧

في أواخر المائة الخامسة أو في أوائل السادسة ينتصر لأبي عبيد على ابن قتيبة ، ذلك هو صوت أبي محمد عبد الحميد بن عبدون الفهري (٥٢٠ هـ) الأديب الشاعر الكاتب المرسل الذي الف كتاباً في الانتصار لأبي عبيد^(١) .

ولعل أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري (٢٧١ - ٣٢٧ هـ) ، وهو من أشد الناس منافحة عن مذهب الكوفيين ، قد جمع في هجومه على ابن قتيبة الصفتين السابقتين ، فشن عليه حملة لا هوادة فيها . وكان عنيفاً قاسياً في كتاباته وردوده ، نسب ابن قتيبة إلى الغفلة والغباء وقلة المعرفة .

كان أبو بكر ابن الأنباري من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له ، حدث أنه كان يحفظ عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها وثلاثمائة الف بيت شاهدة في القرآن ، وكان على من حفظه لا من كتاب . انتصب ابن الأنباري للدفاع عن الكوفيين ، وكان أبو حاتم السجستاني البصري ينال منهم ينالاً شديداً ، ويصغر من أقدارهم ، ولعل ابن قتيبة قد قبل من استاذه أبي حاتم بعض آرائه ، أو نظراته ، فما هو إلا ان الف كتابه (إصلاح الغلط) حتى لاحت الفرصة مواتية لابن الأنباري فاذنه واستاذه أبا حاتم بحرب واستعراض أكثر من كتاب من كتبه ، ليسقه بلسانه حديد ، تمده حافظة لا تعرف النسيان . رد على ابن قتيبة قريباً من ربع ما ألفه في مشكل القرآن ، « عمل رسالة المشكل ردأ على ابن قتيبة وابي حاتم ونقضاً لقولهما» . واستدرك على ابن قتيبة مواضع في كتابيه غريب الحديث واصلاح الغلط^(٢) . يقول ابن الأنباري يتحدث عن

(١) فوات الوفيات ١٩ : ٢

(٢) طبقات الزبيدي (ط) : ٢٠١ - ١٥٤ - ١٥٣ ، ابن الرواة ٣ : ٣ - ٢٠١ -

٢٠٨ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٧٦ ، طبقات الخنابة لابن أبي يعلى ٢ : ٢ ، ٧١ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمة المصحح ، ص (و) ، الأضداد لابن الأنباري : ٩٥ - ٩٤ ، ١٨٦ - ١٨٨ ، ٢٢٦ - ٢٢٨ ، ٢٤١ - ٢٤٢ ، ٣٠٢ - ٣٠٩ ، أمالي القالى ١ : ١١٨ - ١١٩ ، كتاب الغربيين للهروي ١ : ٦٦ - ٦٧ ، ٦٩ - ٦٧ ، ٧٠ - ٧١ ، ١٢٨ - ٣٣٦ ،

٣٣٧ - ٣٣٦ ،

السجستاني: « وقد انكر هذا رجل من أهل البصرة يعرف بابي حاتم السجستاني ، معه تعدد شديد ، و اقدام على الطعن في السلف ، قال : فحكيت ذلك لاحمد بن محبسي [ثعلب] فقال : هذا من ضيق عطنه ، وقلة معرفته »^(١) .

٥ - لن يدخل في تقسيمنا هذا أولئك الغويون الذين كانوا يرجحون ابا عبيد على ابن قتيبة ، ولكنهم سلكوا طريقاً وسطاً ، فكانوا يصححون ما زل به ابن قتيبة ، ويستدركون عليه اللفظة تلو اللفظة فإذا رأوا أن وجه الحق قد لاح بجانبه ، آذروه ، ورجحوا قوله .

نذكر من بين هؤلاء الغويين الإمام أبا منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ) الذي كان يوثق ابن قتيبة في روايته ، ولا يدفعه عن الصدق فيما يحكى عنه آفة اللغة ، « فاما ما يستبد فيه برأيه من معنى غامض ، او حرف من علل التصريف والنحو مشكل ، او حرف غريب ، فإنه ربما زل فيها لا يخفي على من له أدنى معرفة ، وألفيته يخدس بالظن فيها لا يعرفه ولا يحسنها » ، ومن هنا كان يرى البون بعيداً بين الرجلين ، وان أبا عبيد أعلى كعباً ، وأرفع منزلة ، على ما وقع فيه من أغلاط ، وقد أشار في كتابه تهذيب إلى مآخذه على أبي عبيد وابن قتيبة في غربيتها^(٢) ، وإن كان قد أفاد منها في تهذيبه كل الافادة .

ونذكر من بينهم الشريف المرتضى علي بن الحسين (٣٥٥ - ٤٣٦هـ) الذي عرض في أماليه لابن قتيبة وأبي عبيد ، وما جاء به ابن الأذباري ، وحاول أن يرجح من الأقوال ما تبين له رجحانه ، باسلوب هادئ متزن ، لا غلو فيه ولا عصبية^(٣) .

(١) لسان العرب (شناً) .

(٢) مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، كتاب الغربيين للهروي ١ : ١٠٢ ، ١٨٨

(٣) أمالي الشريف المرتضى ١ : ٥ - ٩ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ - ١٢٠ ، ١٢٠ ، ١٥٦ -

١٥٨ ، ٣٣٩ ، ٤٠٦ ، ٤٢٦ ، ٤٣٢ - ٤٢٦ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ - ٤٥٤ ، ٦٣٢ ، ٦٣٥ -

٢٠٤ ، ٢٠٠ ، ٨٦ - ٨٢ ، ٨١ ، ٥٣ - ٥٠ ، ٩ - ٥ : ٢

ونضيف إلى ذلك جماعة علماء الغريب من أمثال الزاهد والخطابي والهروي والرمحشري وابن الأثير الذين كانوا يأخذون ويدعون ، وفق ما يترجح لديهم ، وإن كانوا يدينون لغريبي أبي عبيد وابن قتيبة بأعظم الدين .

٦ - منها يمكن من شيء ، فقد أصبح كتاباً أبي عبيد وابن قتيبة يؤلفان كلاً واحداً متكاملاً في « غريب الحديث » ، استأثرَا باعجاب العلماء وتقديرهم في شرق الأرض العربية ومغاربها ، فكانتوا يئدون إليها ويعولون عليها .

يقول الإمام الخطابي (٣٨٨) في صنيع أبي عبيد وابن قتيبة في غريب الحديث : « وكان أول من سبق إليه ، ودلّ من بعده عليه ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، فإنه قد انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، وصار كتابه إماماً لأهل الحديث ، به يتذاكرُون ، وإليه يتحاكمون ، ثم انتهج نهجه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فتبع ما أفلحه أبو عبيد من ذلك ، وألف فيه كتاباً لم يأتِ أن يبلغ به شأو المبرز السابق ، وبقيت بعدهما صباية لقول » (١) .

ولما أعاد الخطابي القول ، بعد ذلك ، في مقدمة كتابه فذكر الكتب الأخرى المؤلفة في غريب الحديث لم يلبث أن عطف قائلاً ، إن في كتابي أبي عبيد وابن قتيبة غنى ومندوحة عن كل كتاب ذكره قبل ، إذ كانا قد أتيا على جماع ما تضمنت الأحاديث المودعة فيها ، من تفسير وتأويل ، وزادا عليه ، فصارا أحق به وأملأ له ، ولعل الشيء بعد الشيء منها قد يفوتها (٢) .

ثم عرض الخطابي لايضاح الفروق بين كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، وهو في معرض الموازنة بينهما وبين كتب الغريب الأخرى فقال : « ثم انه ليس لواحد من هذه الكتب التي ذكرناها أن يكون شيء منها على

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمة المصحح ، ص(و) ، تأويل مشكل القرآن ،

مقدمة الحق : ١٠-٩ (٢) النهاية (ط الحيرية) ٦ : ١

منهج كتاب أبي عبيد في بيان اللفظ وصحة المعنى وجودة الاستبطاط وكثرة الفقه ، ولا أن يكون من جنس كتاب ابن قتيبة في اشباع التفسير وإراد الحجة وذكر النظائر وتخلص المعاني »^(١) .

— غدا الكتابان مورداً عذباً تراحم عليهما الدارسون ، ومصدراً هاماً يستشهد أئمة اللغة وعلماؤها بما جاء فيها من أقوال ونقول^(٢) . وبلغ من إعجاب الناس بالكتابين أن والوا النظر فيها ورددوه . وأخذ بعضهم نفسه بحفظها أو أحدهما^(٣) ، وانتدب لها من تناولها أو أحدهما بالتهذيب أو الاختصار أو التذليل والزيادة ، أو الشرح : ألف أبو الهيثم الرازي (٥٢٧٦هـ) كتاب ما زاد في الغريب المصنف وغريب الحديث لأبي عبيد^(٤) ، وقام الشيخ الفقيه أبو الفتح سليم بن أبوب الرazi (٤٤٧هـ) فجمع كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، واختصرهما بكتاب : « تقرير الغربيين لأبي عبيد وابن قتيبة »^(٥) ، وصنف أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله الأندلسى الشاطبى (٤٦٥هـ) ، غريب الحديث لأبي عبيد ، على حروف المعجم ، وجعله أبواباً^(٦) ، ثم تعرض أبو الحسن علي بن عبد الله العقيلي (٥٥٤٦هـ) إلى غريب الحديث لأبي عبيد فقفاه على الحروف^(٧) . وأما عبد الطيف البغدادي (٦٢٩هـ) فقد صنف غريب الحديث الكبير ، جمع فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي^(٨) .

— للبحث صلة —

(١) النهاية (ط الخيرية) ١:٦

(٢) الخصص ١:١٢ ، التكملة لصاصاغاني ، المقدمة :

(٣) الصلة ١:١٧ (٤) معجم الأدباء ١٨:١٠٠

(٥) فهرست ابن خير: ١٩٥ ، المعجم العربي ٥٧:١ ، مقدمة النهاية (ح الطناحي)
٦:١ ، وانظر ترجمة أبي الفتح الرازي في وفيات الأعيان ٣٩٧:٢ ، وابناء الرواة ٦٩:٢

(٦) ابناء الرواة ١٨٣:٢ (٧) ابناء الرواة ٢٨٥:٢ ، معجم الأدباء ١٦:١٠

(٨) طبقات الأطباء ١:٢١١ ، ٢٠٤

(*)

مُصْرِعَ الشَّمْسِ

لِلشَّاعِرِ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْفَقِيْهِ حَسَنٍ

لَهِيبُ الْحَزَنِ فِي كَبْدِي
عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الْأَبْدِ
وَأَسْفَقْنَا عَلَى الْجَهَدِ
مِنْ صُبْحٍ غَدِير، فَبَعْدَ غَدِيرِ!
وَقَلْنَا: إِنْ يَفْتَنَا الدَّفَةُ
وَقَلْنَا: يَا رَكَابَ الْمَوْتِ
وَمَا زَلْنَا نَرَاوِغُ فِي اَهْدِ
وَهَبَنَا قَدْ أَطْلَنَا سَاهِنِ
فَهَلْ زَادَ لَنَا التَّسْوِيرِ
وَهَلْ رَدَّ مَطَالُ الدَّفَةِ
نَّمِنْ عَمِيرٍ عَلَى أَهْدِ؟

* * *

لَقَدْ كَانَ هَنَا شَمِسٌ
وَكَانَ هَنَا شَمْسَلٌ
وَكَانَ عَلَى أَشْعَثِهَا
وَكَانَ لَهَا عَلَى الْعَافِيَةِ
إِذَا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ
وَإِمَّا مَيْهُمْ ضُرِّيَّ

(*) القصيدة التي أعدها الشاعر عظو بجمع اللغة العربية المراسل لتلقى في الاحتفال
بذكرى مرور سنة على وفاة عيد الأدب العربي في شهر شباط (فبراير) ١٩٧٥

- ١١١ -

وَفِيهَا لِذُوي الْأَمَانَةِ تَسَاوَتْ عَنْهَا الْأَحَادِيثُ عَلَى أَنَّهَا بِالْفَضْلِ ... لِلْأَخْلَاقِ تَضَعُ ... لِلْمَعْرُوفِ، وَالْجَمْعُ لِلْآلامِ مُتَشَعِّبٌ

* * *

رأيتُ الشمسَ طالعةَ
وقد أحسستُ مصرعاها
وادركتُ على الحالِ
فيم حمدتُ غرتها
وَمَن بالدمع بلئها
وَمَن أنضب - بعد الفِي
وَمَن ثبَّت فوق الفِي
وَمَن عطَّلَ نادِيهَا
وَمَن قَدَّرَ لِي وَأنا

كَ شاهِدتُ صرعاها
كَ أحسستُ مطلعها
نَ مبداهما ، ومرجعها
وَفِيم ذمتُ برقعهـا ؟
وَمَن بالدر رصعها ؟
ضَ والتهطال - منبعها ؟
لَكِ الدوار موقعها ؟
وَمَن فرَقَ مجعها ؟
عَلِيلٌ أَنْ أَدعُها

* * *

لقد وَدَعْتُ فِي « تَشْرِيفِ الْأَطْلَسِ » مِنْ سَمَاوَاتِ الْأَنْهَى
تَخْطَّتْ قَمَّةَ التَّفَكِيرِ عَلَى نُورِ الْبَصِيرَةِ هَلْ كَمْ مِنْ مَبْصُرٍ بِالْعَيْنِ
وَمَاذَا تَنْفَعُ الْعَيْنَ لَقَدْ جَازَتْ مَدَارُ الْعُمُرِ وَإِلَيْنَا



فَا بَالْتِ بِأَسْقَامٍ
وَلَمْ تَأْبِ لِأَوْجَاعٍ
وَمَا زالتْ هُنَّا حَتَّى
نَعَاهُمَا لِلْعُلُّا نَاعِي ..

* * *

هنا قد مالت الشمس الى
أما كانت هنا - والد
أما كان هنا الشيخ ||
وفي «ديكارت» منه ملا
وفي قصة «إسماعيل»
تعالى الله ! عاد الشك * إيماناً ، وقد أثمر
واب ظلامه الدام
أما نمت هنا المعجز
اما كان هنا طفلاً
س بالصبح الذي أسرف
ز الكبيري التي تبهر ؟
خرر العين قد أبصر ؟

卷二

« حديث الأربعاء » اليه
وَمَنْ يَزِجْ فِي النَّقَادِ
وَمَنْ « لِسَيْرَةً » الغُرَا
وَمَنْ « لِفَتْنَةَ الْكَبْرِيِّ »
وَمَنْ يَجْهَرُ بِالرَّأْيِ
وَمَنْ أَخْفَى عَلَى التَّعْلِيمِ
وَمَنْ كَارِيْحَ إِنْ هَفَّتْ
وَمَنْ قَدْ شَغَلَ الدِّنَّا
مَمَّنْ يَسْكُنُهُ صِرَافًا ؟
دَلْطَفًا فِيهِ ، أَوْ عَنْفَا ؟
لَا يَخْرُجُ مِنْهَا حُرْفًا
يَجْلِسُهَا لَنَا وَصْفًا ؟
فَلَا جُنْبُ ، وَلَا خُوفًا ؟
مَمَّنْ كَفِيَهُ مَا أَضْفَى ؟
وَمَنْ كَالْطَّلَ إِنْ رَفَّا ؟
وَفَاقًا فِيهِ أَوْ خُلْفًا ؟

(A) 1

لقد وفَى الشَّعاعُ الْغَا
ربَ الرَّحْلَةَ وَاسْتَوْفَى ...

* * *

وقفتْ على مغيب الشم
أنا ديهما ، وهل يُغنى
وأطمع من وِداعيهما
هنا قال لي الناصـ
ـفـتن راحـ فلا يأتيـ
ـوـمن أدرـكـهـ المـنـزـ
ـفـرـحـتـ أـمـ أـثـوابـيـ
ـأـكـفـهـ النـفـسـ عنـ أـوـهاـ
ـفـكـأسـ الـدـهـرـ لاـ يـُـوـقـيـ

سـ أـدـعـوهـاـ فـلاـ تـسـمـعـ
ـنـداءـ المـوتـ أـوـ يـنـفعـ ؟
ـبـماـ لـيـسـ بـهـ مـطـمـعـ
ـجـعـ يـامـغـرـورـ !ـ لـاـ تـخـدـعـ
ـوـمـنـ وـائـىـ فـلاـ يـرـجـعـ
ـلـهـيـهـاتـ بـأـنـ يـطـلـعـ !
ـمـنـ الـخـزـيـ ،ـ وـأـسـتـرـجـعـ
ـمـهـاـ فـيـ الـحـادـثـ الـمـفـجـعـ
ـوـسـهـمـ الـمـوتـ لـاـ يـدـفـعـ

卷之三

خرجت مع الجماهير
وقد أوهى الضنى جسدي
لعلى أبصر الشمس ||
فللشمس على المغر
وما أروع قرص الشم
هنا ... هان لدى اجا
هنا ... أدركت أن الج
هنا ... أيقنت أن الفا
هنا ... آمنت أن الخا

غداة الدفن أنتجب
وهذا كياني الوصب
مضيئة ، وهي تقلب
بفينا منظر عجب
س ، وهي تكاد تتحجب
ه ، والألقاب ، والرتب
د شىء زائف كذب
نيئين : المال والنشب
لدىن : العلم والأدب...

* * *

محمد عبد الغنى حسن

القاهرة

مع ابن الأزرق في مخطوطته :

بدائع السلوك في طبائع الملوك

وحدثه عن : السفاراة والسفراء

الدكتور عبد الهادي التازري

يوجد عدد كبير من رجالات العلم ، والحديث ، والفقه ، والتاريخ ، والأدب ،
من يحملون اسم الأزرق أو ابن الأزرق أو الأزرقي في الشرق والغرب ...
والأزرق جد قديم من أجداد العرب في الجاهلية ، يتصل ذنبه بالعماقة ،
وكان منازل بيته بالحجاز .. وإليه ينسب في - بعض الروايات - المؤرخ
اليهاني محمد بن عبد الله بن أحمد بن الأزرق من أهل مكة ، وصاحب كتاب
(أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) المتوفى سنة ٢٥٠ ، وقبل مؤرخ
مكة ، نعرف عن أبي راشد نافع بن الأزرق البصري الحنفي رأس الأزراقة ،
وإليه نسبتهم ، الذي صاحب عبد الله بن عباس وكان هو وأصحابه من
أنصار الثورة على سيدنا عثمان وموالاة الإمام علي ، رضي الله عنها ، إلى
أن كانت قضية التحكيم بين علي ومعاوية . قتل على مقربة من الأهواز عام
٦٥ في أعقاب مقاتلة المطلب بن أبي صفرة له ... كما نعرف عن الحافظ
حتماد بن زيد الأزرق شيخ العراق في عصره الذي ولد وتوفي بالبصرة
(عام ١٧٩) وعن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن الأزرق الذي ورد
من مصر على الأندلس وتوفي بقرطبة (سنة ٣٨٥) والمؤرخ عبد الله بن
محمد ابن الأزرق المتوفى عام ٥٩٠ ... هذا إلى الكاتب المعروف محمد
بن هذيل الشهير بابن الأزرق الذي خاطب الملكة فونيا Fona يخبرها

بوصول السفراء المغاربة من حصن القلعة أوائل ذي الحجة عام (٦٤٧) وغير هؤلاء من الأزرق الذين تناهت إلينا أخبارهم وفي صدرهم مترجمتنا اليوم قاضي غرناطة وزيرها وسفيرها أبو عبد الله بن الأزرق ...

ويظهر أنه لا صلة بين أسرة الأزرق هذا وبين الأسر التي تحمل لقب الأزرق ببعض المدن المغربية ، وبفاس على الخصوص ، فإن هذه الأسر ، أو بعضها على الأقل ، وردت للمدينة من الجبال ، وقد كان جدي للأم السيد عبد الرحمن بن عبد السلام الأزرق يذكر أنهم من صناعة السراير ياقلم الحسية من بطن هناك يعرف ببني زرقة ، لقبوا بذلك لأن عيون أغلبهم زرقاء .

وكما أنه ليس بعيداً إطلاقاً أن يكون أصل بعض أسر الأزرق منحدراً من الديار الأندلسية عبر الجبل ، فإن التلقيب بالألوان معروف بال المغرب كما بغيره من سائر الجهات ، كالأخضر ، والأحمر ، والأبيض ، والأسقر ، والأكحل ، على نحو ما عهد من التلقيب بمختلف المهن والحرف كالقاضي والمفتى ، والفقية ، والمؤذن ، والخطيب ، والإمام ، والنجار ، والحداد ، والصباغ ، والمعطار .

ويعتبر القاضي ابن الأزرق من عيون رجال الفقه والأدب والعلم ، الذين عرفتهم القرن التاسع الهجري ، وقد أفاد الاستخاوي أنَّ ابن الأزرق كان من الملازمين للأستاذ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فتوح مفتى غرناطة : في النحو ، والأصولين والمنطق^(١) كما كان من الذين يحضرون

(١) اشتهر الشيخ ابن فتوح هذا بسلوك منهج تربوي خاص مع طلبه ، حيث يفسح لهم المجال كاملاً للبحث والتعليق والتعميق ، بل إنه لا يرضى منهم بالتسليم المطلق والمتاجدة العمياء .. ويأتي هذا المنهج وسطاً بين مذهب العبدوسى =

المجالس أبي عبد الله محمد بن محمد الترقسطي «عمدة غرناطة في العلوم الفقهية»، و المجالس الخطييب أبي الفرج، عبد الله بن أحمد البقني، و المجالس قاضي الجماعة بها أبي العباس أحمد بن أبي يحيى الشريف التلمساني... كما أنه كان من أقرب الناس إلى بلاط بني نصر، فهو لذلك من أقطاب السياسة في ذلك العهد. وإذا ما تبعنا آثاره سواء منها النثرية والشعرية، فسنجد أنه ليس رجل وظيف شرعي، ولكنه رجل دولة، وكاتب ملك، وأن سلطان بني نصر كان يؤثره بأسرار لا يليها إلى قاضي الجماعة، الأمر الذي يدل عليه قوله يخاطب شيخه الحافظ القاضي أبو القاسم بن سراج وقد طلب إليه هذا الأخير أن يجتمع به في ظروف اضطراب، مؤملاً أن يحصل منه على سر من أسرار السلطان... لقد باعده الوزير ابن الأزرق معتذراً بهذه الأبيات البدعة الرائعة لفظاً ومعنى :

قد يتك لاتسأل عن السر كاتبا فتلقاه في حال من الرشد عاطل وتنظره إما لحالة خائن أمانته أو خائن في الأبطال فلا فرق عندي بين قاض وكاتب وشئ ذا بحق أو قضى ذا يباطل وقد كان من أبرز الذين سجّلوا لهم مواقف حاممة عندما اضطربت الأحوال في غرناطة واحتلّت الأمر على الناس، فنكثوا بيعة السلطان أبي الحسن النصري، وبایعوا عوضه ابنه محمدأ، فقد كان من رأي القاضي ابن الأزرق، والمفتي أبي عبد الله المواق، وكذا سائر فقهاء غرناطة أن مثل هذه المبادرة في مثل تلك الظروف إنما تخدم مصلحة المعدو ولا تنفذ الموقف في شيء، وأنّما شبيهه بتبدل الفرس أثناء عبور النهر المائي...

= (ت ٨٤٧) ومذهب المشدالي (ت ٨٦٤) ن المغربي : الرياض تحقيق السقا ، الأبياري ، شلي . طبع المعهد الخليفي تطوان ١٩٣٩ ن ٣٠٤ / ٣ - ٣١٧ ن نفح الطيب تحقيق إحسان عباس طبع دار صادر ١٩٦٨ - ٢ / ٧٠٠ ن التازي : جامع القرويين بفاس طبعة دار الكتاب اللبناني بيروت ٤٢٨ / ٢

وهكذا وقعت فتوى شجب فيها فعل الناكثين أواسط شهر رمضان من عام ٨٨٩ بالرغم من المخاطر التي كانت تحتف به وهو يقدم على هذا الموقف الجريء.

وقد اقتضت منه غيرته على تداعي الديار الأندلسية وقوالي انكسارها أن يفكرا — إثر هذه الفتوى — في السفارة لدى ملوك المغرب والشرق آملاً في إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، وترقباً في الحصول على نجدة من شأنها أن تردع الأعداء المتربيسين ، وتبقى على الوجود الإسلامي بعض تلك الديار.

ولما كانت ظروف المغرب الأقصى آنذاك قد بلغت من الاضطراب والقلق درجة لا تمكنه من الالتفات لما يجري في المدورة الأخرى فقد وفد القاضي إلى تلمسان بعيد التسعين وثمانمائة^(١) وكان يحكمها آنذاك العاشر أبو ثابت الثالث ، ولكن السفير ابن الأزرق ، وقد شعر بانشغال الناس عنه بالتصدي للمناورات والمضايقات التي كانت تحاك ضد "الجزائر" من طرف الأجنبي ، اتجه نحو مصر لدى الملك الأشرف قايتباي محمد بن علي

وهناك لقي كل ترحيب وتقدير ، لكنه فهم من المسؤولين هناك أنهم يدركون أن أمر الأندلس قد انتهى ، وأنه لافائدة ترجى من تدارك المحتضر الذي يسلم نفسه الأخير «فكان كمن يطلب الأنف أو الأبيض العقوق»^(٢). وهكذا فقد اقترحوا عليه أن يغدو أولاً ل القيام ببنائه الحج قبل أن يعطوا له الجواب النهائي ، وكانوا في الواقع الأمر يتوقفون وصول المزيد من الأخبار عن الأندلس ، هذا أيضاً إلى إنشغال الملك بمنازلة السلطان العثماني بايزيد الثاني^(٣).

(١) أزهار الرياض ٣١٨/٣

(٢) فتح الطيب ٧٠٢/٢

(٣) السلطان بايزيد الثاني من أعظم سلاطين آل عثمان ، فتح عدداً من القلاع والمحصون ، وبنى طائفة من المدارس والجوامع والمستشفيات ، وما يزال حيًّا بكماله يحمل باسطانبول اليوم اسم بايزيد ، كان يحاول احتلال بعض الجهات =

وقد قصد القاضي ابن الأزرق الحرمين الشريفين حيث قام بأداء الفريضة ، وعاد أول سنة ٨٩٦ ل القاهرة لمتابعة القيام بمساعيه التي من أجلها رحل ، ولكنه وجد أن الأخبار التي يتوفى عليها السلطان قايتباي كانت تنذر بأن كل شيء بالديار الأندلسية في طريقه نحو النهاية .

لقد بلغت الأخبار الحزينة فعلاً عن سقوط العاصمة غرناطة وأخذها من بد الأمير محمد بن أبي الحسن منذ ربيع الأول من عام ٨٩٥ وكانت للسلطات مع السفير جلسات مهمة أفهمه السلطان فيها أن قضاء الله قد نفذ ، وعرض عليه بهذه المناسبة خطة قضاء القضاة في بيت المقدس تسلية له وتلهية ، عوضاً عن القاضي شمس الدين محمد بن مازن الغزي . ووصل الإمام ابن الأزرق إلى القدس يوم الاثنين ١٦ شوال ٨٩٦ حيث قضى هناك رحمةً من الزمان محاطاً برعاية تلاميذه من صريدي الفقه المالكي ، واحترام معارفه من كان (حي المغاربة) بالقدس^(١) يزورهم ، لا سيما وقد كان يضيف إلى عالمه واطلاعه جمال الشكل ، وإفارة الشيبة ، وسيمة الأبهة والوارق ، والنزاهة والصيانة والطهارة .

التابعة لـ : قايتباي ، فكان هذا منصرفاً بكليته لصد المجرم ، وقد أفق أمواطاً طائلة في هذا القتال الذي حال دون تلبية عدد من ندامات ملك غرناطة ، ولكنه مع ذلك كان يحاول بالطرق الدبلوماسية أن يبلغ قلبه للإبان ، وربما تهديداته كذلك بواسطة القسيسين والرهبان المتواجدين في القدس الشريف .

مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، الطبعة الوهبية مصر ١٢٨٣ م ١٩١٤ هـ . الزركلي : الأعلام مادة قايتباي .

(١) عبد الهادي التازبي : (حي المغاربة بالقدس) شر في مجموعة موسوعة العتبات المقدسة للأستاذ جعفر الخليلي دار التعاون ، بغداد ، المجلد الأول ٩٥ - كما نشر بمجلة مركز الدراسات الفلسطينية المجلد الأول العدد الثالث غشت ١٩٧٢ ٧/٥ وبلحق العلم الأسبوعي الثقافي ١٤ يناير ١٩٧٢ .

لـكـنـهـ كـانـ يـفـصـ "ـ منـ هـوـلـ الـأـبـنـاءـ الـمـتـلـاـحـقـةـ مـنـ الـأـنـدـلـسـ فـتـنـاوـشـتـهـ الـمـمـومـ وـلـمـ يـقـوـ وـ عـلـىـ تـحـمـيلـ الصـدـمـةـ وـالـغـرـبـةـ فـيـ آـنـ وـاحـدـ ،ـ لـمـ يـقـ عـنـهـ بـسـتـانـ وـلـاـ مـرـكـبـ وـلـاـ مـسـكـنـ عـلـىـ مـاـ يـقـولـ فـيـ نـوـنـيـتـهـ الـمـعـرـوـفـةـ ،ـ وـهـكـذـاـ توـعـكـ وـلـمـ تـبـثـ أـنـقـاسـهـ أـنـ فـاضـ بـعـدـ نـحـوـ مـنـ شـهـرـيـنـ مـنـ تـوـلـيـهـ الـقـضـاءـ حـيـثـ توـقـيـتـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ ١٧ـ مـنـ ذـيـ الـحـجـةـ الـحـرـامـ ٨٩٦ـ بـعـدـ الـفـرـاغـ مـنـ الـصـلـاـةـ ،ـ وـصـلـيـ عـلـيـهـ فـيـ يـوـمـهـ بـعـدـ صـلـاـةـ الـمـصـرـ بـالـمـسـجـدـ الـأـقـصـىـ ،ـ وـحـسـنـ إـلـىـ جـانـبـ حـوشـ الـبـسـطـامـيـ مـنـ جـهـةـ الـفـرـبـ .

* * *

لـقـدـ خـلـفـ الـقـاضـيـ اـبـنـ الـأـزـرقـ تـرـاثـاـ أـدـبـيـاـ فـاـخـرـاـ تـجـلـيـ فـيـ هـذـهـ الـمـقـطـعـاتـ الـشـعـرـيـةـ الـجـيـدةـ الـتـيـ نـقـلـتـهـ عـنـهـ الـمـوسـوعـاتـ الـأـنـدـلـسـيـةـ الـأـدـبـيـةـ ،ـ فـنـ تـلـكـ الـقـطـعـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ الـتـيـ نـظـمـهـ عـنـدـ نـزـولـ طـاغـيـةـ الـنـصـارـىـ بـمـرـوجـ غـرـنـاطـةـ ،ـ وـالـتـيـ تـعـبـرـ عـمـاـ كـانـ يـحـسـ بـهـ مـنـ الـآـلـامـ ،ـ وـهـوـ يـعـيـشـ الـأـيـامـ الـأـخـيـرـةـ بـالـأـنـدـلـسـ (١)ـ :

تـذـكـرـهـ نـجـدـ وـتـغـرـيـهـ لـعـامـ فـلـمـ يـقـ للـسـلـوـانـ فـيـ الـقـلـبـ مـوـضـعـ وـمـنـ لـيـ بـجـفـنـ تـهـمـيـ فـيـهـ أـدـمـعـ وـخـلـ الـذـيـ مـنـ شـرـهـ يـتـوـقـعـ وـيـافـوزـ مـنـ قـدـكـانـ لـاـصـبـرـ يـرـجـعـ فـأـلـطـافـهـ مـنـ لـحـةـ الـعـيـنـ أـسـرـعـ فـسـوـفـ تـرـاهـ فـيـ غـدـعـنـكـ يـرـفـعـ فـلـيـسـ لـنـاـ إـلـاـ إـلـىـ اللـهـ مـرـجـعـ	مـشـوقـ بـخـيـمـاتـ الـأـجـبـةـ مـوـلـعـ مـوـاضـعـكـ يـالـأـمـيـنـ عـلـىـ الـهـوـيـ وـمـنـ لـيـ بـقـلـبـ تـلـتـظـيـ فـيـهـ زـفـرـةـ رـوـيـدـكـ فـارـقـ لـاـطـافـ مـوـضـعـاـ وـصـبـرـاـ فـإـنـ الصـبـرـ خـيـرـ غـنـيمـةـ وـبـتـ وـأـنـقـاـ بـالـلـطـفـ مـنـ خـيـرـ رـاحـمـ وـإـنـ جـاءـ خـطـبـ فـاـنـتـظـرـ فـرـجـاـ لـهـ وـكـنـ رـاجـعـاـ اللـهـ فـيـ كـلـ حـالـةـ
---	---

وـمـنـ نـوـنـيـةـ خـيـفـيـةـ تـنـسـبـ إـلـيـهـ بـلـفـتـ زـهـاءـ الـمـائـةـ بـيـتـ ،ـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ

(١) النـفـحـ / ٢٠٤

التي تمسك مشاعره وروحه المرحة وهي على ما يظهر من نظمه في المجر :

إن لم أُبرد شجني	لا أم لي لا أم لي
ن والتتسابي رَسَّانِي	وأخلعنَّ في المحو
أرداك شربُ البن !	يا عاذلي في مذهبِي
ناً إن تختلف مهني	أعطيت في البطن سنا
ومذهبِي وتهنى	وإن تُسفه نظري
نعم، وتف الدفن	فالصفع تستوجبه
لواسط أو عدن !	والنفي تستوجبه

* * *

بنفسه يـــعلـــني	أـــفـــدي حـــدـــيقـــاً كـــانـــ لي
وتـــارـــة يـــتصـــحـــني	فـــتـــارـــة أـــنـــصـــحـــه
وتـــارـــة يـــلـــعـــثـــني	وـــتـــارـــة أـــعـــنـــه
ورـــبـــما يـــصـــفـــعني	وـــرـــبـــما أـــصـــفـــه

* * *

عني كـــطـــيف الـــوـــمـــن	دـــهـــرـــقـــولـــســـي وـــانـــقـــضـــي
وليـــتـــه لـــم يـــرـــنـــي	يـــا لـــيـــتـــنـــي لـــم أـــرـــه
وـــمـــلـــبـــســـي بـــالـــدـــرـــن	دـــنـــســـتـــ فـــيـــه جـــانـــي
لـــكـــنـــ يـــخـــســـ الشـــمـــنـــ !	وـــبـــعـــتـــ فـــيـــه عـــيـــشـــتـــي
ريـــالـــآنـــ ماـــكـــأـــنـــيـــ !	كـــأـــنـــي وـــلـــســـتـــ أـــدـــه

* * *

أـــخـــرـــجـــيـــ مـــنـــ وـــطـــنـــيـــ !	لـــو أـــنـــصـــفـــ الدـــهـــرـــ لـــا
وـــلـــيـــ لـــيـــ مـــنـــ مـــســـكـــنـــ	وـــلـــيـــ لـــيـــ مـــنـــ جـــنـــةـــ

لِي دَمْنَةُ فِي الدَّمْنَ
وَلَيْسَ لِي مِنْ سُكُنٍ !
يَا لَيْتَ أَنْ تَنْفَعْنِي

أسرّح الطرف وما
وليس لي من فرس
ياليت شعري وعسى

卷之三

إليه؟ قد شوقي
لقد دائم يطربني
طبعه باللبن
 فهو شريف وسنّي
نوعاً بفتى حسن
بهن تدويني أذنّي
أطعمة في الوطن
ت بالجبن الممكّن
أنتي في التسّمن
تي هنا تطربني
اف حسب أهل البطن^(١)

ومن شعره في مدينة بسطة:
في بسطة حيث الأباطح مشرقة

وله أيضاً فهـا :

قوله "ليس بها من حرج" وإن في بسطة باب الفرج (٢)

فَرِجَ الْهُمَّ بِسْكُنِي بَسْطَة
قُلْ لَمْ رَامَ النُّوَى عَنْ وَطْنِ

٢٩٨/٣ (١) النفح

(٢) النفح ٦/٤٤٧

ومن نظمه سينية بديعة من نحو أربعين بيتاً في مدح شيخه العلامة أبي حبيبي ابن عاصم هذا مطلعها :

خضعت لمعرفة الفصون الميسُ^١
ورنا فهام بقلتية النَّرْ جسُ

بأك مجلس الأنس اطمأنَّ وباين عا
صم اطمأن من الرياسة مجلس

غيث باشتات الندى متجلس^(١)
بدر بأنوار المدى متطلع

ومن نظمه قوله في الجنات :

ورب محبوبة تبدت
كأنها الشمس في حلها

فاعجب حال الأنام من قد
أجها منهم قلاها !

ومن شعره في جمال الربيع قوله :

تملت من حسن الربيع نضارة وقد غردت فوق الفصون البلايل

حكت في غصون الدوح قسماً فصاحة لتعلم أن النبت في الروض باقل

ومن شعره في الرثاء قوله في والدته :

تقول لي ودموع العين واكفة ما أفعع بينَ والترحال يا ولدي

فقلت أين السرى؟ قالت: لرحمة من قد عز في الملك لم يولد ولم يلد

غير أن ما تركه الإمام ابن الأزرق من مؤلفات قيمة طغى على سائر مناحي
نشاطه الفكري فقد تحلى فيما دبرته برأته في مختلف العلوم والفنون ما جعله
مثار إعجاب الذين كتبوا عنه أو قرأوا أو سمعوا .. وقد كان منها كتاب
(الإبريز المسبوك في آداب الملوك) و (روضة الإعلام بعنزة العربية من علوم

(١) أزهار الرياض ٣٢٢/٣ ، وقد تشكيك في النفح في نسبة هذه السينية
لابن الأزرق ، هذا كما نسب الآيات الثلاثة الماضية (فديتك لا تسأل عن السر)
لابن عاصم . النفح ١٥٢/٦

الإسلام) و (شفاء الغليل في شرح مختصر خليل)^(١) هذا إلى ما ثر عنده من فتاوى نقلها عنه صاحب المعيار في جامعه^(٢). وقد رأيت أن أقدم بين يدي الباحثين اليوم عرضاً عن مخطوطته الفريدة «بدائع السلك في طبائع الملك» التي لخص فيها كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخه وكلام غيره ولكن مع زوائد كثيرة^(٣) . . .

(١) وقف الإمام المقرئ على جملة من هذا الشرح يتلمسان تتالف من ثلاث مجلدات ويقدر صاحب النفح أن يصل الكتاب إلى عشرين مجلداً حيث أن المجلد الأول لم يكمل مسائل الصلاة . قال المقرئ : « لم أر في شروح الخليل - مع كثرتها - مثله » .

(٢) كان منها فتواه باستنكار تكث بيعة أبي الحسن النصري .

(٣) وقفت في المكتبة العامة بالرباط على أربع نسخ من المخطوط المتحدث عنه علاوة على ما يوجد منه في خزانة جامعة القرويين والخزانة الملكية الأولى رقم ج ٦٤ / ٦٤ كمل نسخها في أوائل صفر عام ٩٩٨ ، عدد صفحاتها ٥٢٩ تحتوي الورقة على واحد وعشرين سطراً من قياس ٢٥٥ س على ١٨٥ بينما النسخة الثانية رقم ج ٩٣ عدد صفحاتها ٣٩٧ تحتوي الصفحة على خمسة وعشرين سطراً قياس ٢٢٥ / ٢٢٥ و الثالثة رقم ٥٨٢٥ عدد صفحاتها ٥١٢ قياس الصفحة ٣٠ / ٢١٥ وقد نسخت في جمادى الأولى عام ١٢٩٣ - أما النسخة الرابعة فتحمل رقم د ١٣٤٠ / ٦٤٨ عدد صفحاتها ٦٤٨ تحتوي كل صفحة على واحد وعشرين سطراً قياس الصفحة ٢٢٥ / ٢٢٥ . . .

وبينديء الكتاب هكذا : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . قَالَ الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْحَطِيبُ الْبَلِيغُ الْبَارِعُ الْعَالَمُ الْمُتَفَنِّنُ الْمُتَجَرِّدُ الْإِمَامُ الْأَوَّلُدُ فَخْرُ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ فِي عَصْرِهِ فِي الْعِلُومِ وَسِيدُ وَقْتِهِ فِي الْعِلُومِ قَاضِيُّ الْجَمَاعَةِ السَّيِّدُ أَبُو عِبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْأَزْرَقِ الْأَصْبَحِيِّ وَصَلَّى اللَّهُ عَزَّ ذِيَّهُ وَحْفَظَ فِي الْأَعْلَامِ الْعُلَمَاءَ رَتِيقَتِهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ إِبْجَادًا وَتَدْبِيرًا وَمُبْدِعًا مِنْ فِيْضِ جُودِهِ عَلَيْهِ بَأْسَارٍ وَجُودَهِ خَيْرًا . . .

وينتهي بالصلوة على النبي الكريم « وعلى آله وألبار الصحابة الناصحين في الإعلان والإسرار مانعاقب الزمان يوماً وغداً ، وراح إليه مشتاق الوصول وغداً . . .



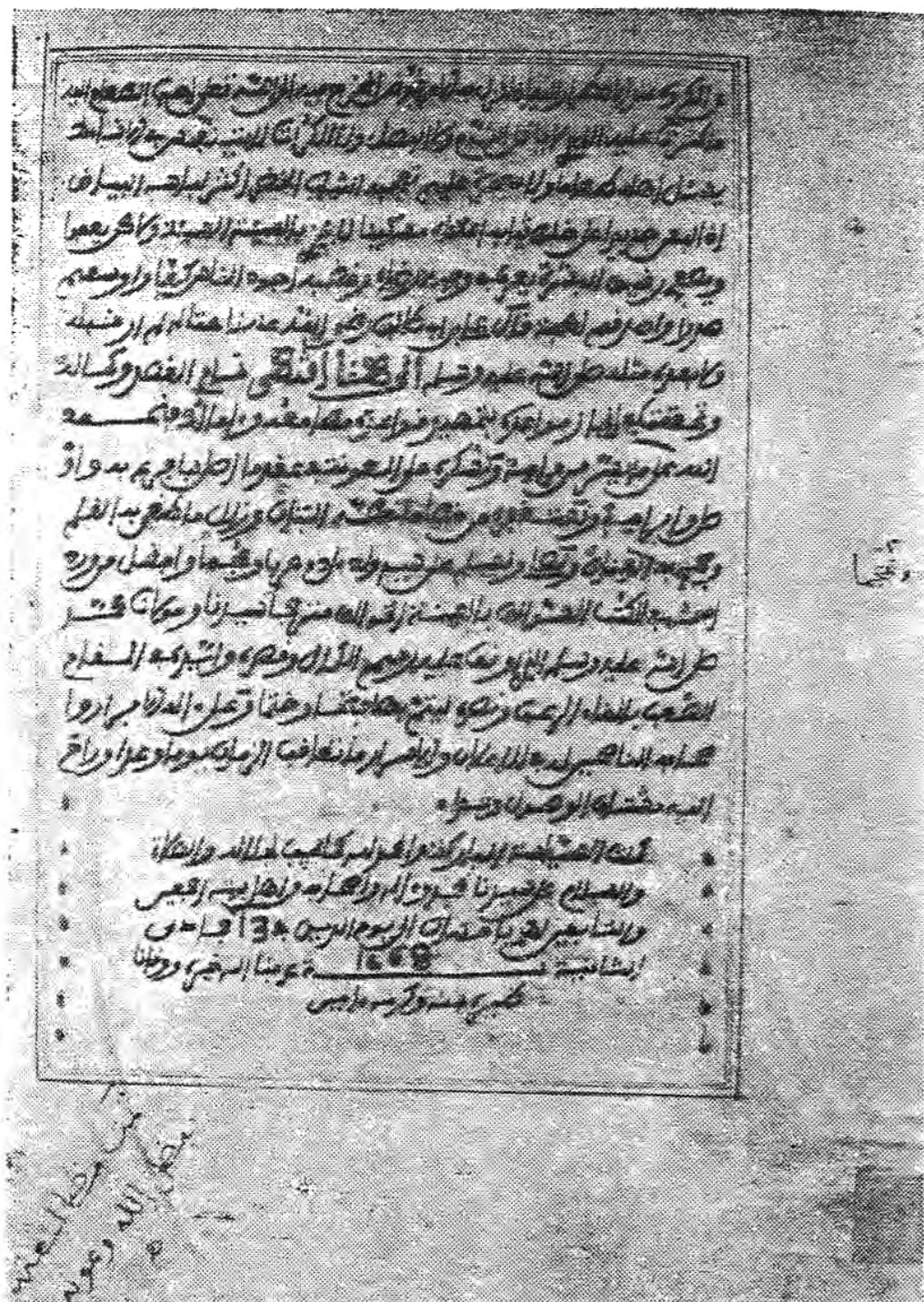
(النسخة ج/٦٤) الصفحة الثالثة «سيته بداع السلك في طبائع الملك» وفي النسخة

٣٢ كتابة العنوان هكذا: «بداع السلك في طبائع الملك» يقول: لو «اختت السياسة بالحظ جانبها المرعى النمام ، وأعمل في فائدة عملها، بعتبرها في التصريف ومعملها، واجب العناية بها والاهتمام لناسب أن يسمى بتحبير السياسة في تدبير السياسة، فهي العلم الذي لا يستغني عنه سوقه ولا ملك ، ولا من نجح به في التقويم سبيل الرشد القوم وسلك ، فمن ساء بذلك فوجهه وضاح الأسرة مشرقا ، ولحظه في الاعتبار المناسب أصيل المناسب معروقا .

التسخة ج/٩٣ . أشتهر عن القاضي ابن الأزرق أنه كان في كتابه « بدائع السلوك » متأثراً جداً بابن خلدون ، بل إنه يكتفي أحياناً بنقل كلامه حرفاً ... وهذه الصفحة من المخطوطة ، حول أن الدول أعماراً محدودة كالأشخاص ، تعطي فكرة عن مدى صحة هذا القول الذي يظهر أن له نصيباً ، من النظر ولو أن ابن الأزرق حرص كثيراً على أن يدللي برأيه فيها بملخصه ، الأمر الذي يدل على أنه ليس مجرد ناقل .. لاحظ هنا يعقب : قلت : تقدم له قبل هذا أن طول أمد الدول على نسبة « الفائلين » في القلة والكثرة ، واستظظر على ذلك بشادة الواقع من طول أمد كثير من الدول ، ثم هو هنا يقدر عمرها بما ذكر ويجعله طبيعياً ، فانظر فيه متاماً :

三

النسخة ٥٨٢/د ، كما يحكي ابن رضوان أن الوزير الشهير أبا عبد الله بن الحكم (صوابه : الحكيم) لما وفد رسولاً عن سلطانه ملك الأندلس على السلطان أبي يعقوب ملك المغرب ، قال له : ما طلب سلطانك بعد أن فعلنا له كذا وأسعقناه بكذا .. وعدد ما قدمه إليه من الصنائع الحسنة ، فقال له : نعم يا مولانا رضي الله عنكم ، كل ذلك كان ولم ينكره مولاي ولا جهله ، لكن لسان حاله ينشد : أيا ملبي .. « البيت » .



النسخة د/ ١٣٤٠ آخر ورقة من الخطوط التي تعالج، كمسكاة الختام ،بيان ما يدل من الأخبار على فضل النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا نزل به الأمر فوْض المخرج فيه إلى الله تعالى . أحب الطعام إليه ما كثُرَ عليه الأيدي .. أكثر لباسه البياض .. لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يغفو ويصفح ... أجود الناس كفانا ، وأوسعهم صدرآ ، وأصدقهم لمحجة ... صلى الله عليه وسلم ... وعلى آله الأبرار وأصحابه الناصحين له ، في الإعلان والإسرار ، ماتعاقب الزمان يوماً وغدا ، وراح إليه مشتاق الوصول وغدا ». وبلاحظ أن هذه النسخة كملت يوم ١٣ جمادى الثانية ١٢٦٨ م (٩)

وبخاصة أربيد سوق كلامه عن (الرسالة والوفود) وما أثار انتباذه مما قيل عن الموضوعين في المؤلفات التي سبقته، وذلك تنويعها بالكتاب وإشادة، وتدعيلًا عليه، تكميلًا للفائدة التي قدمها إلينا، لحد الآن، سائر الذين عنوا بابن الأزرق.

رتب الكتاب ابن الأزرق مؤلفه ترتيباً دقيقاً، وتفصيلاً متقناً، أمكن معه أن نستخلص للمخطوط فهرساً تقريرياً يستوعب سائر مادته ويعطي فكرة عن محتوياته، سواء منها رؤوس الأقلام أو ما يندرج أو يتفرع عن تلك الرؤوس. ولعل من المفيد أن تتحمل استعراض هذا الفهرس أمامنا لتشويق الباحثين لمراجعة المخطوط واستشارته، وذلك قبل أن نقدم الفصل الذي وقع عليه اختيارنا . . .

يستهل الكتاب بعقدتين ، الأولى في تقرير ما يوطن للنظر في الملك عقلاً وفيه عشرون سابقة . . . بينما تعالج المقدمة الثانية تمييز أصول من الكلام في الملك شرعاً وفي هذه عشرون فاتحة .

وبعدها يجزئ المخطوط إلى كتبٍ أربعة وخاتمة .

الكتاب الأول : في حقيقة الملك والخلافة وسائر أنواع الرياسات وفيه بيان : الأولى في حقيقة ذلك وفيه ثلاثة أنظار : النظر الأول في حقيقة الملك وفيه خمس مسائل . . . النظر الثاني في حقيقة الخلافة وفيه خمس مسائل . . . النظر الثالث في مسائل أنواع الرياسات . . . أما الباب الثاني فهو في سبب وجود الملك وشرطه ، والنظر في طرف سببه وما به قضى الله ذلك الشرط وهو الحرب والقتال وفيه ثلاثة أطراف : الطرف الأول في سبب وجود الملك ، الثاني في شرط وجود الملك وهو العصبية أو ما يقوم مقامها ، الثالث في الحروب التي تفضي إليها العصبية في طلب الملك أو الدفاع عنه أو غير ذلك، وفيه ذكر الأمم في ترتيبها وما يلزم في تدريبيها من الأدب والمكائد .

الكتاب الثاني : في أركان الملك وقواعد بناء ضرورة وكالة وفيه باباً : الأول في الأفعال التي قام بها صورة الملك وجوده وهي عشرون ركناً : الركن الأول نصب الوزير وفيه مقدمتان وثلاثة مطالب - الثاني إقامة الشريعة - الثالث إعداد الجند - الرابع حفظ المال - الخامس تكثير العمارنة فيه مقدمتان وثلاثة مقاصد - السادس إقامة العدل - السابع توقيع الخطط الدينية - الثامن ترتيب المراتب السلطانية - التاسع رعاية السياسة - العاشر مشورة ذوي الرأي وفيه مقدمات ومقامات - الحادي عشر بذل النصيحة - الثاني عشر في أحكام التدبير - الثالث عشر تقويم الولاة والعمال - الرابع عشر كثرة اتخاذ البطانة وأهل البساط - الخامس عشر تنظيم المجلس - السادس عشر تقدير الظهور والاحتجاب - السابع عشر رعاية الخاصة وبالبطانة - الثامن عشر ظهور العناية لمن له الحق - التاسع عشر مكافأة ذوي السوابق - العشرون تخليد مفاخر الملك وما ثر . أما الباب الثاني ففي الصفات التي تصدر منها تلك الأفعال على أفضل نظام ، والمقرر منها عشرون قاعدة ومقدمات . القاعدة الأولى العقل وفيها مسائل - الثانية العلم وفيها مسائل - الثالثة الشجاعة وفيها نظران - الرابعة العفة وفيها مسائل - الخامسة السخاء والجود ولانظر فيها منهاجاً - السادسة الحليم وفيها مسائل - السابعة كظم الغيظ والغضب ، وفيها طرقان - الثامنة العفو وفيها مسائل - التاسمة الرفق وفيها مسائل - العاشرة التلذين - الحادية عشرة التثبت وفيها مسائل - الثانية عشرة الوفاء بالعهد وبالوعد وفيه طرقان - الثالثة عشرة الصدق والكذب وفيها مسائل - الرابعة عشرة ستر السر وفيها مسائل - الخامسة عشرة الحزم ، وفيها مسائل - السادسة عشرة الدهاء والتغافل وفيها نظرات - السابعة عشرة التواضع وفيها ثلاثة مطالب - الثامنة عشرة سلامـة الصدر من الحقد والحسد وفيه طرقان - التاسمة عشرة الصبر وفيه مسائل - العشرون الشكر وفيه مسائل ...

الكتاب الثالث : فيما يطالب به السلطان تشييداً لأركان الملك وتأسيساً لقواعد وفديه مقدمة وباباً - المقدمة في التحذير من محظورات تخلّه بذلك شرعاً وسياسة . الباب الأول : في جوامع ما به السياسة المطلوبة من السلطان ومن يليه وفيه ثلاثة فصول : الفصل الأول ، في سياسة السلطان ويندرج تحته سياسات ، الأولى سياسة الرعية . الثانية سياسة الأمور العارضة التي هي الجماد والسفر والشداد في النازلة والرسالة والوفود - الفصل الثاني في سياسة الوزير وفيه ثلاثة سياسات ... الفصل الثالث في سياسة سائر الخواص والبطانة في صحبة السلطان وخدمته - أما الباب الثاني ففي واجبات يلزم السلطان سياسةً القيام بها وفاء بعهدة ماتحمله وطلب منه .

والواجب الأول حفظ الدين ، والواجب الثاني تنفيذ الأحكام بين المستشارين وقطع الخصم بين المتنازعين ، والواجب الثالث إقامة الحدود وفيه مسائل ، والواجب الرابع في عقوبة المستحق وتعزيزه - الواجب الخامس رعاية أهل الذمة وفيه مسائل .

الكتاب الرابع : في عوائق الملك وعوارضه وفيه بابان : الأول في عوائق الملك المانعة من دوامه ، وفيه ثلاثة أنظار : النظر الأول في التعريف بالعواائق ، العائق الأول حصول الترف والتبعيم لقبيلة - الثاني لحاق المذلة لقبيل - الثالث استحكام طبيعة الملك - الرابع إرهاف الحد - الخامس الحجاب الواقع دليلاً على المرم - السادس حجر السلطان والاستبداد عليه - السابع استظهار السلطان على قومه - الثامن انقسام الدولة الواحدة بدولتين . النظر الثاني في التعريف بكيفية طروع الخلل إلى الدول . النظر الثالث في التعريف بأن مقتضى الإنذار يمنع دوام الملك .

أما الباب الثاني ففي عوارض الملك اللاحقة لطبيعة وجوده ، وفيه

أربعة فصول :

الفصل الأول في عوارض الملك من حيث هو وفيه مسائل - الثاني في اختيار المنازل الحضرية وفيه مسائل - الثالث في اكتساب المعاش بالكسب والصنائع وفيه مسائل - الرابع في اكتساب العلوم وفيه مسائل . . . الخاتمة في سياسة المعيشة والناس وفيها مقدمتان وسياسة ، المقدمة الأولى في التقوى ، والثانية في حسن الخلق وفيها مسائل - السياسة الأولى: سياسة المعيشة ، وفيها ثلاثة مطالع : المطلع الأول في كليات مما تدبر به المعيشة من جانب الوجود وفيه إثارات . . . المطلع الثاني في أمميات مما تحفظ به من جانب العدم وفيه إضاءات ، المطلع الثالث : في مهارات دينية يعتبر بها حفظ المعاش من جانبي الوجود والعدم وفيه لوامع . . . السياسة الثانية: سياسة الخلق وفيه مقدمات وست مسائل : الأولى في ملك اللسان - الثانية ملك الحواس - الثالثة في صورة الإنسان ظاهراً وباطناً - الرابعة في أحوال الإنسان الخارجة عنه - الخامسة في الإخوان والصديق - السادسة في المعارف . . .

وضمن الكتاب الثالث حول ما يطالب به السلطان تشيداً لأركان الملك وتأسياً لقواعده يوجد الباب الأول في جوامع السياسة المطلوبة من السلطان . . . وهذا الباب يتفرع إلى ثلاثة فصول : الأولى في سياسة السلطان وتحت هذا سياسته كما أسلفنا . . . وفي بحث السياسة الثانية نجد تفصيلاً عن الأمور العارضة كما تقدم . وقد عالج العارض الرابع موضوع الرسالة ، كما عالج العارض الخامس موضوع الوفود ، وكلا العارضين الرابع والخامس تقترب على القراء مطالعهما معنا تأكداً من أسلوب الكتاب وعلو نفس مؤلفه وبعض المصادر التي يعتمدتها أو يتاثر بها . . . مؤملين من ذلك مزيد إلفات نظر لهذا المؤلف الجميل :

قال ابن الأزرق تحت عنوان العارض الرابع :
 « . . . ولو قها - أي الرسالة - من الملوك عند مَس الحاجة إليها تختص بها رعایات من السياسة سابقة ولاحقة » .

● الرعاية الأولى : تحقق أن موقع الرسول من السلطان موقع الدليل من المدلول ، والبعض من الكل ، ففي سياسة أرسسطو^(١) : اعلم أن الرسول يدل على عقل من أرسله ، إذ هو عينه فيها لا يرى ، وأذنه فيها لا يسمع ، ولسانه فيها غاب عنه . وقلوا : الرسول قطعة من المرسل . قلت : ومن المشهور قولهم ثلاثة دالّة على صاحبها : الرسول على المرسل ، والهتيبة على المهدى ، والكتابة على الكاتب .

● الرعاية الثانية : اختيار من يرضى لها لأجل هذا الموقع ففي بقية كلام أرسسطو المتقدم مقررًا لما يترتب عليه : « فيجب أن تختاره أرفع من في حضرتك عقلاً وبصيرة وهيبة وأمانة تجنبًا لجميع الريب » .

إذا ما كنت متخدداً رسولاً
فلا ترسل سوى رجل نبيل
فإن النجع في الحاجات يأتي
لطالها على قدر الرسول

● الرعاية الثالثة : تقسيم الأرسال بحسب اتصالهم بما يطلب منهم إلى ثلاثة كما يظهر من كلام أرسسطو : أولهم الكامل الانتصاف بما شرط فيه وهو المفوض إليه بعد المعرفة بفرض مرسله ، ولذلك لا يوصى لاحتمال أن يرى عند المشاهدة أن الصواب في غير ما وصي به ، قال :

إذا كنت في حاجة مُرْسلاً
فأرسل حكيمًا ولا توصيه
وإن باب أمرٍ عليك التوى
شاور ليماً ولا تعصيه^(٢)

(١) ألف أرسطاطليس كتابه السياسة في تدبير الرياسة لتعليم الملك الاسكندر ابن فيليبس اليوناني ، وفي مكتبة برلين نسختان منه ، وقد نقله إلى العربية يوسفنا البطريق .

(٢) البيت لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب . راجع كتاب رسول الملوك تأليف ابن الفراء تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ٨ ، الفخرى في الآداب السلطانية

الثاني المتوسط الاتصاف اقصاراً على الثقة والأمانة والتيقظ ، وهو المقصور على مألفي إليه من غير زيادة ولا نقص ليؤدي الجواب عليه كما سمعه .

الثالث المقتصر على الأمانة فقط ، وهو الموجه بكتاب ليأتي بجوابه .
قلت : والمعرف الآن أنه لا يعد من الأرسال وإنما يُسمى رقاضاً ورتبته مختلفة عنهم بكثير .

• الرعاية الرابعة : اجتناب تحصيص الوزير بها وإن كان المتصف بأكمل الصفات وأجملها ، ففي سياسة أرسطو : «إياك أن ترسل وزيرك ولا تخرجه من حضرتك ، فإن في ذلك فساد ملوكك» ، قلت : لأن منزلة الوزير من السلطان منزلة السلطان من الرعية فكما لا تستغني الرعية عن السلطان لا يستغني هو عن الوزير . وقد تقدم تقريره ..

• الرعاية الخامسة : اعتماد التلطف في الوصول إلى المقصود بها والتيقظ لوجوه التصدي إليه تحصيلاً واستجلاباً كما حكى ابن رضوان^(١) أن الوزير الشهير أبي عبد الله بن الحكيم^(٢) لما وفد رسولًا عن سلطانه ملك الأندلس

(١) هو رئيس الكتاب الصدر البليغ أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخاري من أهل مالقة كان من أعيان كتاب السلطان المستعين بالله سالم المربي .

النفح ٦/١٠٧

(٢) أجمعت النسخ المخطوطة التي أشرنا إليها على تسميتها هكذا : ابن الحكيم والصواب ابن الحكيم . وهو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى الخمي الرندي وأصل سلفه من أعيان إشبيلية ثم انتقلوا إلى رonda في دولة بني عباد . ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطبه ، وقد قدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر إثر عودته من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبي عبد الله بن رشيد الفهري فألحقه السلطان بكتابه إلى أن توفي هذا السلطان وتقلد الملك بعده ولـي عهده أبو عبد الله المخلوع فقلده الوزارة والكتابة =

على السلطان أبي يعقوب ملك المغرب قال له : مامطلب سلطانك بعد أن فعلنا له كذا وأسعفناه بكلذا ، وعدّد ما قدمه إليه من الصنائع الحسنة فقال له : نعم يا مولانا رضي الله عنكم ، كل ذلك كان ولم ينكره مولاي ولا جعله لكن لسان حاله ينشد :

أيا ملبي النعما التي جل قدرها
لقد خلقت تلك الشياطين فجددوا
قال فأكمله مطالبه ، ووفي بحسن تلطيفه مآربه .

● الرعاية السادسة : اتقاء التساهل في اختيار الرسول لما يؤدي إليه من عظيم الضرر مع المولى والمعادي ، فمن بعض الحكماء : « اختير رسول في الحرب والمسالمة فإن الرسول يلين القلوب وينخسها ، ويبعد الأمور ويقربها ويصلح الود ويفسده ». وكان أردشير يقول : كم من دم سفكه الرسول بغير حق ، وكم من جيوش قد قتلت ، وعساكر قد انتهكت ، وما قد نهب ، وعهد قد نقض ، بخيانة الرسول وكذبه ^(١) .

= ثم لقبه بذى الوزارتين ولكن السياسة لم تشغله عن المطالعة والدرس ... إلى أن توفي بحضورة غرناطة قتيلاً غدوة يوم الفطر شوال سنة ثمان وتسعمائة يوم خلع سلطانه ، ومن شعره :

فقدت حياتي بالمرار ومن غدا
بحال نوى عن يحب فقد فقد
ومن أجل بعدي عن ديار ألفتها جحيم فؤادي قد تلظى وقد وقد
وقد ورد ابن الحكيم سفيراً على السلطان أبي يعقوب يوسف عام ٧٠١
صحبة الوزير عبد العزيز الدافني لإحكام عقد المواراة بين الأندلس والمغرب وقد
تم اللقاء بضواحي تمسان ، مما قيل في رثائه :

قتلوك ظلماً واعتدوا في فعلم حد الوجوب
ورموك أشلاء ، وذا أمر قضته لك الغيوب
إن لم يكن لك سيدى قبر فقبرك في القلوب

الإحاطة ١٨٠ / ٢ ، النفح ٦١٨ / ٥ ، ٩٩٨ / ٥ ، الاستقصاء ٣ / ٨٢

(١) التازي : تاريخ المغرب الدبلوماسي ، طبعة فضالة ، ص ٨ - ٩

● الرعاية السابعة : امتحان الرسول عند ترشيحه للرسالة ، قال الجاحظ : « من الحق على الملك أن يتتحقق رسوله محنـة طويلة قبل أن يخلفـه رسولاً » ثم حكـي عن ملوك الأعاجـم أنها كانت تتحققـ من تختارـه للرسـالة بحملـه رسـولاً إلى بعض خاصـته مع جعلـ عينـ عليهـ ، فإذا طابـ ما أحـصـاه العـينـ عـلـيهـ وـعـلـمـ صـدقـ لـهـ جـمـلـهـ رسـولاً إلى عـدوـ لهـ مع بـعـثـ العـينـ عـلـيهـ ، فـإـنـ اتفـقاـ فـيـهاـ رـجـمـاـ بـهـ وـعـلـمـ أـنـ قدـ صـدـقـهـ صـيـرـهـ رسـولاً إلى مـلـوكـ الـأـمـمـ وـوـقـقـ بـهـ وـأـقـامـ بـعـدـ ذـلـكـ خـبـرـهـ مـقـامـ الـحـجـةـ . اـتـهـىـ مـلـخـصـاـ .

● الرعاية الثامنة : إـرـدـافـ الرـسـولـ بـشـانـ أوـثـالـثـ أوـرـابـعـ ، وـإـنـ كـانـاـ اـثـيـنـ فـذـلـكـ مـاـ أـخـذـ بـهـ بـعـضـ حـكـمـاءـ الـمـلـوكـ مـبـالـغـةـ فـيـ التـحـفـظـ مـنـ خـيـانـةـ الرـسـولـ أـوـ تـقـصـيرـهـ . فـعـنـ أـرـدـشـيرـ أـنـهـ كـانـ يـقـولـ : « يـجـبـ عـلـىـ الـمـلـكـ إـذـاـ وـجـهـ رسـولاً إلى مـلـكـ آـخـرـ أـنـ يـرـدـهـ بـآـخـرـ . وـإـنـ وـجـهـ رـسـوليـنـ أـنـ يـتـبعـهـماـ بـأـثـيـنـ فـإـنـ أـمـكـنـهـ أـنـ لـاـ يـجـمـعـ بـيـنـ رـسـوليـنـ فـيـ طـرـيقـ وـلـاـ مـلـاقـةـ وـلـاـ يـتـرـاـفـقـاـ فـيـتـوـاـفـقـاـ فـعـلـ » (١) . قـلـتـ : وـهـذـهـ مـبـالـغـةـ يـصـرـ الـعـمـلـ بـهـاـ وـمـلـيـسـورـ مـنـهـ لـاـ يـتـرـكـ .

● الرعاية التاسعة : تـرـبـصـ الـعـمـلـ بـعـقـضـيـ ماـ وـرـدـ بـهـ الرـسـولـ حتـىـ يـوـقـفـ عـلـىـ حـقـيـقـتـهـ مـنـ جـهـةـ آـخـرـ ، ذـكـرـ الجـاحـظـ قـائـلاـ (٢) : عـلـىـ السـلـطـانـ إـذـاـ عـادـ إـلـيـهـ رـسـولـهـ بـكـتـابـ أـوـ رـسـالـةـ مـنـ مـلـكـ ، فـيـ خـيـرـ أـوـ شـرـ ، أـنـ لـاـ يـحـدـثـ فـيـ ذـلـكـ أـمـرـاـ حـتـىـ يـكـتـبـ إـلـيـهـ مـعـ رـسـولـ آـخـرـ بـحـكـيـةـ كـتـابـهـ الـأـوـلـ حـرـفـاـ ، فـإـنـ الرـسـولـ رـبـاـ أـحـرـمـ بـعـضـ مـاـ أـمـلـ فـاقـتـلـ الـكـتـابـ وـحـرـضـ الـمـرـسـلـ عـلـىـ الـمـرـسـلـ إـلـيـهـ وـأـغـرـىـ بـهـ كـذـبـاـ عـلـيـهـ . ثـمـ حـكـيـ ماـ اـتـفـقـ لـرـسـولـ عـنـ الإـسـكـنـدـرـ لـمـ أـمـرـ بـخـلـعـ لـسـانـهـ مـنـ قـفـاهـ حـيـنـ وـقـفـ عـلـىـ زـيـادـةـ مـنـهـ تـعـرـفـهـ بـيـاعـادـهـ الرـسـولـ إـلـيـهـ مـنـ كـذـبـ عـلـيـهـ ذـلـكـ الرـسـولـ . قـلـتـ : « الـوـقـوعـ فـيـ

(١) رـسـلـ الـمـلـوكـ صـ ٢٥ـ (٢) النـاجـ فـيـ أـخـلـاقـ الـمـلـوكـ .

ذلك نادر ، والتحفظ منه بهذه المبالغة ربما يتعدى فلاتوقف لما ذكر ، والصواب ما يقتضيه الحال والله تعالى المرشد إليه ، والمعين لمن شاء عليه» .

● الرعاية العاشرة : تعلم الرسول ما يجب عليه شرعا وسياسة ، فقد قال النّووي في فضل معرفة ما يحتاج إليه المسافر حسبما تقدم عنه : « إن كان رسولا عن سلطان أو نحوه أهتم بتعلم ما يحتاج إليه من آداب المخاطبات وأوجوبة المخاورات ، وما يحل من الضيافات والمهدايا ، وما يجب عليه من رعاية النصيحة وتوقي الغش والخداع والنفاق والخذلان ، ومن التسبب في مقدمات العذر ، إلى غير ذلك مما يتمين عليه » انتهى . من مستحسن ما وافت به الأرسال من حقوق مرسلها في الثناء عليه بحسن السيرة على أبلغ بيان ما حدث به الجاحظ عن الفضل بن سهل قال : كانت رسول الملك إذا جاءت بالهدايا للمأمون يجعل اختلافهم إلى ، فكانت أسأل رجلاً منهم عن سير ملوكهم وأخبار عظمائهم ، فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملوكهم فقال : بذل عرقه ، وجبرد سيفه ، فاجتمعت عليه القلوب رغبة وريبة ، لا يطير جنده ، ولا يحوج رعيته ، سهل النوال ، حزن النkal ، الرداء والخوف معقودان في يده ، قلت : وكيف حكمه ؟ قال : يرد الظلم ويردع الظالم ويعطي كل ذي حق حقه ، فالرعاية اثنان : راض ومحبب ، قلت : وكيف هيبيتهم له ؟ قال : يتصور في القلوب فتضفي له العيون . قال : فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصعائي له وإنقالي عليه ، فسأل ترجمانه : ما الذي يقول الرومي ؟ قال له : يذكر ملوكهم ويصف ميرته . فتكلم مع الترجمان بشيء فقال لي الترجمان : إنه يقول : إن ملوكهم ذو آناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة عند المقابلة ، وذو عقوبة عند الاحترام ، وقد كسر ارعيته جميل نعمته ، وخوّفهم عنيف عقوبته ، فهم يتراوونه ترايي الهلال خيالا ، ويخافونه مخافة الموت نكالا ، وسمهم عدله

وردعهم سطوته ، فلا تنهه مزحة ولا توهنه غفلة ، إذا أعطى أوسع ، وإذا عاقب أوجع ، فالناس اثنان : راج وحائف ، فلا الراجي خائف الأمل ، ولا الخائف بعيد الأجل . قلت : فكيف هيئتهم له ؟ قال : لا ترفع العيون إليه أجنفها ، ولا تتبعه الأ بصار إنسانا ، كأن رعيته قطا رفرت عليهم صور صوائد^(١) . فحدث المؤمن بهذين الحديثين فقال : كم قيمتها عندك ؟ قلت : ألفا درهم . قال : يفضل إن قيمتها عندي أكثر من الخلافة ، أما علمت قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قيمة كل أمرىء ما يحسن فتعرف أحداً من الخطباء البلغا يحسن أن يصف أحداً من خلفاء الله الراشدين المهدىين بثل هذه الصفة ، فقد أمرت لها بعشرين ألف دينار ، وأجعل العذر مادة بيني وبينها في الجائزة ، فلولا حقوق الإسلام وأهله لرأيت إعطاءهما ما في بيت مال العامة والخاصة دون ما يستحقانه .

وبعد هذا مباشرة ينتقل ابن الأزرق للفصل التالي تحت عنوان (العارض الخامس الوفود) . ولسياسة الفاضلة بهم عنایات :

- **العنابة الأولى** : احتفال السلطان للقائمين بإظهار زينة الملك وجماله ، فقد كان النبي ﷺ حلة يتجمل بها للوفود والعظاء ، قال القرافي : وذلك أهيب وأوقع في النفوس وأجدر لحصول التعظيم في الصدر ، قال ابن رضوان : فهو أمر عادي شرعي .

- **العنابة الثانية** : إكرام من يرد منهم من ذوي النبايات في قومه ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ لما وفد عليه زيد الخيل بسط له رداءه وأجلسه عليه وقال : إذا أناكم كريم قوم فاكرموه .

- **العنابة الثالثة** : حسن الإقبال عليهم بالتلطف لهم في الخطاب

(١) رمل الملوك ص ٣١

تأنیساً لهم وإدلاً ، ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان رفِيقاً بالوفود ، قلت : كقوله ﷺ لوفد عبد القيس : مرجحاً بالوفد غير خزاباً ولا ندامى .

● **المنية الرابعة :** الإذن في الكلام مان هو أهل في المقام السلطاني لئلا يتجاوز عليه من لا يستحقه ، ففي وفادة قريش على سيف بن ذي يزن قوله عبد المطلب جد النبي ﷺ إذ كان لا يعرفه وأراد أن يتكلم : « إن كنت بين يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك » ، وفي وفادة الحجازيين على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوله للغلام الذي تصدر للكلام : (ليتكلّم من هو أمنٌ منه) .

● **المنية الخامسة :** إفاضة الإحسان على وفد التهنئة مبالغة في البر بهم وإدخال السرور عليهم ، قال ابن رضوان : وهي من سنن الملوك الحسنة وكأنها في معرض شكر الله تعالى بإدخال المسرة على خلقه على النعمة المها بها .. انتهى .

شرح إشارة تقدمت بحكايتين فيها جمل من آداب هذا المقام .

الحكاية الأولى : قضية وفادة قريش على سيف بن ذي يزن : يروى عن ابن عباس رضي الله عنه أتاه وفد العرب وأشرافهم وشمراؤهم لتهنئه وتمدحه ، وأتاه وفد قريش منهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وخويلد بن أسد ، في عدد من وجوه قريش ، وأهل مكة ، وأنوه بصناعة وهو في قصره الذي يقال له غمدان ، فاستأذنوا عليه وهو متضمخ بالعنبر يبخس المسك من مفارقه ، وعن يمينه ويساره الملوك وأبناء الملوك ، فاستأذن عبد المطلب في الكلام وكان أجل القوم قدرأ ، وأعظمهم فخرأ ، وأعلامهم نسباً ، وأكرمهم حسباً . ولم يكن سيف يعرفه فقال له : إن كنت بين يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك ، فقال عبد المطلب : أهـا الملك إن الله عز وجل قد أحلـك محلاً رفيعاً ، صبيـاً منيعاً ، شاعـخاً باذخـاً ، وأبـتك

بناً طابت أرومنه ، وأعزت جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن . وأنت رأس العرب وربيعها الذي به تتحصب ، وعمودها الذي عليه العهد ، ومعقلها الذي يلجم إليه العباد ، مسلفك خير سلف ، وأنت فيما خير خلف ، ولن يحمل ذكر من أنت خلفه . أيها الملك نحن أهل حرم الله وسدنه بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا بك ، فنحن وفد التهنئة لا وفد التعزية . قال : فأيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم ، قال : أدن . فأدناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم ، وقال : مرحاً وأهلاً ، وناقة ورحلة ، وأمناً ومناخاً سهلاً ، وملكاً فحلاً ، يعطي عطاء جزاً ، قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسائلكم ، لكم الكراهة ما أقتم ، والجاء إذا ظعنتم ، فأخبره بعثة النبي ﷺ من قومه ، وأمر لكل واحد منهم بجذبة من الإبل ، وعشرة أبوعبد وعشرين إماماً ، وعشرة أرطال ذهباً ، وعشرة أرطال فضة ، وكرش عنبر .. وأصر عبد المطلب بشارة أمثل ما أمر لهم .

الحكاية الثانية : خبر وفد الحجازيين على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : يُروى أنه لما ولي الخليفة وفَدَ عليه الوفد من كل بلد ، فوفد عليه الحجازيون فتقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن فقال له عمر : ليتكلم من هو أحسن منك ، فقال له : أصلح الله أمير المؤمنين إغما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منع الله عبداً لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام ، وعرف فضله من سمع خطابه من الأنعام . ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين باستثن لكان في مجلسك هذا من الأمة من هو أحق منك . فقال : نعم صدقت ، قل ما بدا لك ، فقال الغلام : أصلح الله أمير المؤمنين نحن وفد تهنئة لا وفد تعزية ، وقد أتيتناك لحق الله الذي منْ علِيْفَا بك ، لم يقدمنا إليك رغبة ولا رهبة ، أما الرغبة فقد أتتنا منك ، وأما الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك ، فقال له عمر : عظاني

ياغلام فقال : أصلح الله أمير المؤمنين إن ناساً من الناس غرّهم حلم الله تعالى وطول آمالهم وكثرة ثناء الناس عليهم فنزلت أقدامهم فهوَا في النار ، فلا يغرنك حلم الله تعالى ، وطول أملك ، وكثرة ثناء الناس عليك ، فنزل بك ودمك فتلحق بالقوم ، فلا جعلك الله منهم ، وألحوافك بصالح هذه الأمة ، ثم سكت . فسأل عمر عن سن الغلام فإذا هو من ثمانين عشرة سنة ثم سأله عن نسبة فإذا هو من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتمثل بقوله .

تعلّم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل
فإنَّ كبارَ الْقَوْمَ، لَا يَعْلَمُونَهُ، صَفِيرٌ إِذَا تَفَتَ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ
وَإِنَّ صَفِيرَ الْقَوْمَ - وَالْعِلْمُ عِنْهُ - كَثِيرٌ إِذَا رَدَتْ إِلَيْهِ الْمَسَائِلُ

لعل جولة القاريء في كل تلك الرعایات والعنایات والسياسات تعطيه نظرة عن مخطوطة ابن الأزرق التي كانت محل اهتمام وتتبع من سائر الملوك والقادة الذين وجدوا فيها سلوى لهم عند الأذكار ، ومرشدًا لهم وقت الاختيار ، وإذا كانت الاستطرادات في بعض الأحيان مما لا يستسيغه التسلسل ، فإن استطرادات ابن الأزرق على العكس من ذلك ، تشعرك وأنت تتنقل في ثناياها وبين رحلتها بأنك فعلًا في بستان مبهج بزهوه المتنوعة ، وثرائه الملذة ومناخه المنعش ، وإن الذي زاد في قيمة الكتاب وزنه أن مؤلفه معدود من الخبراء بالسياسة ، المارقين بأحوالها ، عرف الوزارة والسفارة ، كما زاول مهنة الخطباء والقضاء ، فهو لذلك خير من يقدم لنا مثل هذا العطاء ، وأصدق من يحدثنا عن السياسة والريادة .

الرباط

عبد الهادي التازي
مدير مركز البحث العلمي

التغيرات التارخية والتركيبة للأصوات الملغوية

الدكتور رمضان عبد التواب

أصبح من المسلم به عند العلامة ، أن اللغة ليست من صنع فرد أو أفراد ، وإنما هي نتيجة حتمية للحياة في مجتمع ، يجد أفراده أنفسهم مضطرين إلى اتخاذ وسيلة معينة ، للتفاهم والتعبير عما يحمل بالنفس ، وتبادل الأفكار . تلك الوسيلة هي اللغة .

ومن المسلم به كذلك عندهم أن هذه الوسيلة عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها : أصواتها وصيغها ودلائلها ونظام جملها ، شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى .

ويهمنا في هذه المقالة تلك التغيرات التي تعتور أصوات اللغة . وتنقسم هذه التغيرات عموماً إلى قسمين كبيرين ، أولهما : التغيرات التارخية ، والثاني : التغيرات التركيبة . ونعني بالتغييرات التارخية تلك التغيرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة ، بحيث يصير الصوت اللغوبي في جميع سياقائه ، صوتاً آخر . أما التغيرات التركيبة فهي التي تصيب الأصوات ، من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها بعض في كلمة واحدة .

● ومن أمثلة التغيرات التارخية في الأصوات : تطور الباء المهموسة (p) في اللغة السامية الأم إلى « فاء » في اللغات السامية الجنوبيّة ، وهي العربية والجشية ، وقد بقي الأصل كما هو في اللغات السامية الشماليّة ، وهي العبرية والأرامية والأكادية ؟ مثال ذلك كلامة : *لَهُمْ (لَهُنْ)*

في العربية^(١) ، التي صارت في العربية : « فول » ، وفي الحبشية : . (٤٨) *fāl*

ومثال ذلك أيضاً: *mēm* (ميم) في العربية = *mēm* (ميم) في الآرامية = *mēm* في الأكادية = « فو » في العربية [إلى جوار : فـم ، بالتميم الذي تُسْيِ أصله ، فعدّ] أصلاً من أصول الكلمة ، وأضيف إليها التنوين الذي يقابل التميم ، وفتحت الفاء قياساً على بعض أسماء الأعضاء في الجسم ؛ مثل : يد ، عين ، رأس .. الخ] = . (٤٩) *af* في الحبشية .

ومثال ذلك أيضاً : *plāg* (فلج) في العربية = *plāg* (فلج) في الآرامية يعني : « شق » فيها = *palgu* في الأكادية يعني : « قناة » = *Falag* (٤٨٧) في الحبشية يعني : « جدول » = « فلنج » و « فلنج » في العربية يعني : « شق ». وتطور هذه الإياء (p) المهموسة في العربية والآرامية إلى « فاء » مسألة خاصة بالسياق الصوتي فيها ؛ فإن هذا الصوت مع خمسة أخرى ، يطلق عليها أصوات : (بجد كبت) ، الأصل فيها أن تكون انفجارية ، إلا إذا جاءت بعد حركة ، فإنها في هذه الحالة تحول إلى أصوات احتكاكية دون أن يتأثر المعنى بذلك ؛ فشلاً : كلمة « فتح » في العربية ، تقابل في العربية : *pātah* (فتح) كا تقابل في

(١) انظر : سفر صوبيل الثاني ٢٨/١٧ وسفر عزرا ٤/٩

الآرامية : *ḥbtm (هَبْتَم)* ، غير أن المضارع من هذا الفعل في العربية هو : *yiftah (يُفِتَّح)* وفي الآرامية : *ḥbṭm (هَبْتَم)* ، فلم تنطق « الباء » فيها : « فاء » إلا لوقوعها هنا بعد حركة .

● ويعد صوت الجيم في العربية مثلاً طيباً للتغيرات التاريخية في الأصوات ؛ فإن مقارنة اللغات السامية كلها ، تشير إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت ، كان بغير تعطيش ، كـ *ḥlm* القاهرة تماماً ؛ فكلمة : « جمل » مثلاً ، هي في العربية : *gāmál* (جَمَل) وفي الآرامية : *gamla (حَمْلَا)* وفي الحبشية : *Gamal* (ጌማል). أما العربية الفصحى فقد تحول فيها نطق هذا الصوت من الطبق إلى الغار ، أي من أقصى الحنك إلى أوسطه ، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج ، يبدأ بـ *dal* من الغار ، ثم ينتهي بـ *shin* مجحورة .

ومن التغيرات التاريخية لهذا الصوت انحداره إلى أحد عنصريه المكونين له ، في اللهجات العربية الحديثة ؛ إذ ينطق كالـ *dal* في صعيد مصر ، فترى أهالي مدينة « جرجا » مثلاً ، يسمون مدینتهم : « دردا » ، كما يقولون : « دـَمـَل » و « دـَمـَوـَسـَة » في : « جـَمـَل » و « جـَامـَوـَسـَة » وغير ذلك . والمكون الثاني للجيم ، وهو الشين المجحورة ، نسمعها جيداً في نطق الشاميين لهذا الصوت ، وهو مانسميه : « بالجيم الشامية » .

ويبدو أن انحدار الجيم العربية الفصيحة إلى العنصر الأول من عنصرها ، قد حدث منذ وقت مبكر في اللهجات العربية ؛ فقد ذكر (١٠٢)

ابن مكي الصقلي (المتوفى سنة ٥٠١ هـ) في كتابه : « تقييف اللسان وتلقيح الجنان » أن الناس في عصره كانوا يقولون : « دشيش » في : « جشيش »^(١) ، ومثل ذلك رواه أبو بكر الزبيدي (المتوفى سنة ٣٧٩ هـ) عن عوام الأندلس في كتابه : « لحن العوام »^(٢) ، كما ذكر ابن هشام الأخمي (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) إلى جانب هذه الكلمة كذلك : « تدشيشت » في : « تجشيشات »^(٣) .

وأقدم من هذا انحدارها إلى العنصر الثاني وهو الشين المجهورة ، وقد ضاع منها الجهر ، فصارت شيئاً مهموساً ، كالشين الأصلية في العربية ، فقد روی عن قبيلة تميم أنهم كانوا يقولون في المثل : « شر ما أشاءك إلى سخنة عرقوب » بدلاً من : « أجاءك » أي : « أجاك »^(٤) .

وقال زهير بن ذؤيب العدوبي^(٥) :

فِي الْتَّمِيمِ صَابِرُواْ قَدْ أَسْعَمُواْ إِلَيْهِ وَكَوْنُواْ كَأَخْرَجَةِ الْبُسْلِ

كما قال الراجز^(٦) :

إِذْ ذَاكَ إِذْ حَبَلَ الْوَصَالُ مُدْمَشٌ

أي : « قد أجهمت » يعني : « أجهتم » و « مدمج » .

ويروي لنا أصحاب كتب لحن العامة بعض أمثلة هذه الظاهرة عبر

(١) انظر : لحن العامة والتطور الغاوي ٢٠٦

(٢) لحن العوام للزبيدي ٢٠

(٣) انظر : لحن العامة والتطور الغاوي ٢٤١

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ١٦٤/٢ ، والصحاح (شيئاً) ٥٩/١

(٥) الصحاح لجوهري (شيئاً) ٥٩/١

(٦) سر صناعة الإعراب ٢١٥/١ وألف باه للبلوي ٤٣٢/٢

عصور العربية ، وفي أصقاعها المختلفة ؛ فقد رروا لنا مثلاً : « استرّت الدابة » في : « اجترّت » و « فلان مشتهد » في : « مجتهد » و « استرأ على فلان » في : « اجترأ عليه » و « سخّ الصبي » في : « جخّ » و « فشّر » في : « فجّر » و « وِشّ »^(١) في : « وجه » ، وغير ذلك .

وهناك تغيير تاريخي ثالث للجم في المهجات العربية ، وهو تحولها إلى « ياء » . وقد حدث في لهجة قيم كذلك ؛ فقد روی أن بنی قيم يقولون في : « الصریح » ، وفي جمعه : « الصراریح » وهو الذي يجتمع فيه الماء : « الصری » والصراری » ، كما روی أبو زيد أن بعض بنی قيم قال : « شیرة » للشجرة . وعلى ذلك أنسدت أم الهيثم : إذا لم يكن فيكنْ ظل ولا جنى فابعد كنْ الله من شـیرات ترید : « شجرات » .

وهذه الظاهرة تشيع في عصرنا الحاضر ، في بعض قرى جنوب العراق ، وبعض بلدان الخليج العربي ؛ إذ يقولون في « مسجد » مثلاً : « مسید » ، وفي « دجاج » : « دیای » وغير ذلك^(٢) .

● وصوت القاف كذلك من الأصوات التي عانت كثيراً من التغيرات التاريخية في العربية ؛ فإن مقارنة اللغات السامية تدل على أنه صوت شديد مهوس ، ينطق برفع مؤخرة اللسان والتصاقها باللهبة ، لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق ، ثم يزول هذا السد فجأة ، مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية ؛ ففي العبرية مثلاً : *Kol* (كل) يعني: « صوت » وفي الآرامية: *Kôdâm* (صُور)

(١) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢٠٦، ٣١٥، ٣٣٥.

(٢) انظر في كل ذلك : فصول في فقه العربية ١١٣

يعني : « قدام » ، وفي الحبشية : Kōma (خمة) يعني : « قام » ، وفي الأكادية : pakad يعني : « بحث » . وهذا النطق المهموس هو الذي نسمعه الآن من أفواه بحريدي القراءات القرآنية في مصر .

وقد دعى قدماء اللغويين العرب « القاف » من الأصوات المجهورة ، فإن حدق وصفهم هذا ، كان ذلك النطق من التغيرات التاريخية في العربية القديمة ، وقد بقي هذا النطق المجهور في أغلب البوادي العربية في الوقت الحاضر .

غير أن هناك تغيرات تاريخية أخرى كثيرة ، طرأت على هذا الصوت في البلاد العربية ، فهو في كلام كثير من أهل مصر والشام : « همزة » ، وقد روي لنا في القديم مثل هذا النطق في كلمة : « القفز » و « الأفز » (١) ، كما ينطق في السودان وجنوبي العراق « غينأ » ، فنسمعهم يتحدثون عن « الاستغلال » وهم يقصدون بذلك : « الاستقلال » . وفي لهجة مصر كلمتان من هذه الظاهرة ، هما : « يغدر » ومشتقها بدلًا من : « يقدر » ، وكلمة : « زغزغ » يعني حرك يده في خاصرة الصبي ليضحكه ، ولها صلة « بالزفقة » المروية لنا عن العرب ، يعني ترقيس الطفل (٢) . كما ينطق صوت القاف صوتاً مزدوجاً ، كالجيم الفصيحة ، في بعض بلدان الخليج كالبحرين ؛ إذ يقولون مثلاً : « الجِيلَة » ، بدلًا من : « القبلة » . كما نسمعها في مدينة « الرياض » وما حولها بالسعودية ، صوتاً مزدوجاً كذلك ، غير أنه مكون من دال وزاي

(١) انظر الإبدال لأبي الطيب ٥٦٢/٢

(٢) انظر اللهجة العامية المصرية في القرن الحادى عشر ١١٥

(dz) في مثل : « زبلة » في : « قبلة » ، و « المزيرة » في : « المقيرة » وغير ذلك . وهناك أخيراً تطور للقاف لدى كثير من الفلسطينيين ، بنطقتها كالكاف ، فهم يقولون مثلاً : « كال » في : « قال » و « كتله » في : « قتله » ، وغير ذلك .

* * *

هذه هي بعض أمثلة التغييرات التاريخية للأصوات في اللغات السامية ، والערבية ولهجاتها . أما التغييرات التركيبة فهي مشروطة بتجمع صوتي معين ، وليسـت عامة في الصوت في كل ظروفه وسياقاته اللفظية .

وأهم قوانين التغييرات التركيبة للأصوات قانونان هما : قانون الماءلة Assimilation وقانون المخالفة Dissimilation . أما الأول فيدعـو صوتين مختلفين إلى التمايل أو التقارب ، في حين يدعـو الثاني صوتين متـابلين إلى التـخالف والتـبـاعد . وتفصلـ فيها يـلي القـول في هـذـي القـانـونـين :

١ - قانون الماءلة :

تأثير الأصوات اللغوية بعضـها بعضـ عند النطق بها في الكلمات والجمل ، فتغيرـ مخارج بعضـ الأصوات أو صفاتـها ، لـكي تـتفقـ في المخرجـ أوـ في الصـفةـ ، معـ الأصواتـ الأخرىـ المحيطةـ بهاـ فيـ الكلـامـ ، فيـ حدـثـ عنـ ذـلكـ نوعـ منـ التـسـاقـقـ والـانـسـجـامـ بينـ الأصـواتـ المـتـافـرـةـ فيـ المـخـارـجـ أوـ فيـ الصـفـاتـ ؛ ذـلكـ أنـ أـصـواتـ الـلـغـةـ تـخـلـفـ فـيـ بـيـنـهـاـ - كـماـ نـعـرـفـ - فـيـ المـخـارـجـ ، وـالـشـدـةـ وـالـرـخـاوـةـ ، وـالـجـهـرـ وـالـهـمـسـ ، وـالـتـفـخـيمـ وـالـتـرـقـيقـ ، وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ ، فـإـذـاـ التـقـىـ فـيـ الـكـلـامـ صـوتـانـ مـنـ مـخـرـجـ وـاحـدـ ، أوـ مـنـ مـخـرـجـينـ مـتـقـارـبـينـ ، وـكـانـ أـحـدـهـماـ مـجـهـورـاـ وـالـآـخـرـ مـمـوـساـ مـثـلـاـ ، حـدـثـ بـيـنـهـاـ شـدـدـةـ

وَجْدَب ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَحْاولُ أَنْ يَجْذِبَ الْآخَرَ نَاحِيَتَهُ ، وَيَجْعَلُهُ يَتَأَشَّلُ مَعَهُ فِي صَفَاتِهِ كَمَا أَوْ فِي بَعْضِهَا .

وَهَذَا التَّوَافُقُ كَمَا يَحْدُثُ بَيْنَ الْأَصْوَاتِ الصَّامِتَةِ يَحْدُثُ كَذَلِكَ بَيْنَ الْحُرْكَاتِ ، كَمَا يَحْدُثُ أَيْضًا بَيْنَ الْأَصْوَاتِ الصَّامِتَةِ وَالْحُرْكَاتِ .

وَهُنَاكَ اصطلاحاتٌ لِعُلَمَاءِ الْأَصْوَاتِ ، فِي أَنْوَاعِ التَّأْثِيرِ النَّاتِحةِ عَنْ قَانُونِ الْمَهَاذَلَةِ ، فَإِنْ أَتَيَ الصَّوتُ الْأَوَّلَ فِي الثَّانِي فَالْتَّأْثِيرُ (مَقْبِلٌ) ، وَإِنْ حَدَثَ الْعَكْسُ فَالْتَّأْثِيرُ (مَدْبِرٌ) ، وَإِنْ حَدَثَتْ مَهَاذَلَةٌ تَامَّةٌ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ فَالْتَّأْثِيرُ (كُلِّيٌّ) ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَهَاذَلَةُ فِي بَعْضِ خَصَائِصِ الصَّوتِ فَالْتَّأْثِيرُ (جُزِئِيٌّ) . وَفِي كُلِّ حَالَةٍ مِنْ هَذِهِ الْحَالَاتِ الْأَرْبَعِ ، قَدْ يَكُونُ الصَّوْتَانِ مُتَصَلِّيْنِ تَامَّاً ، بِحِيثُ لَا يُفَصِّلُ بَيْنَهُمَا فَاصْلُ مِنَ الْأَصْوَاتِ الصَّامِتَةِ أَوِ الْحُرْكَاتِ ، وَقَدْ يَكُونُ الصَّوْتَانِ مُنْفَصِلِيْنِ بَعْضُهُمَا عَنْ بَعْضٍ ، بِفَاصْلُ مِنَ الْأَصْوَاتِ الصَّامِتَةِ أَوِ الْحُرْكَاتِ .

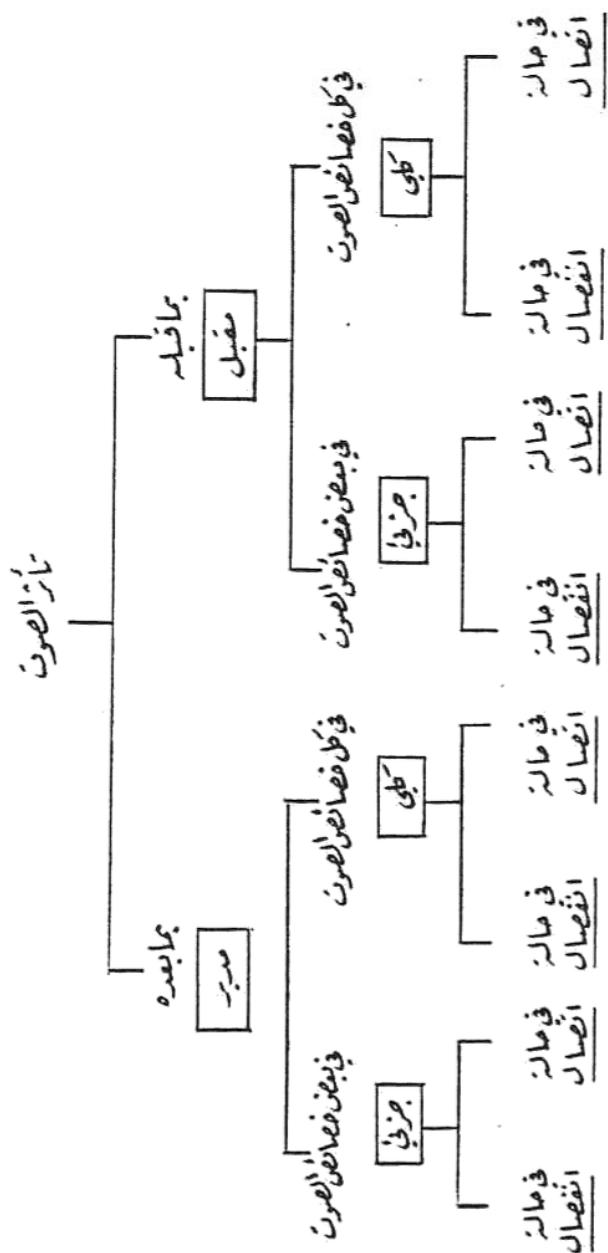
وَيُكَنْ تَلَخِيصُ بَيَانِ أَسْكَالِ التَّأْثِيرِ الصَّوْتِيِّ ، عَلَى النِّحوِ الْمَبِينِ فِي الصَّفَحَةِ الْمُقَابِلَةِ .

وَقَبْلِ أَنْ تَنْتَرِبَ الْأَمْثَالُ الْمُخْتَلِفَةُ عَلَى ذَلِكَ ، نَحْبُ أَنْ نَشِيرَ هَنَا إِلَى أَنَّ الصَّوتَ لَا يُكَنِّ أَنْ يَنْتَرِبَ إِلَى صَوتٍ آخَرَ بَعِيدٍ عَنْهُ فِي الْخُرُجِ جَدًا ، فَلَا يَنْتَرِبُ صَوتٌ مِنْ أَصْوَاتِ الشَّفَةِ أَوِ الْأَسْنَانِ مُثُلًا ، إِلَى صَوتٍ آخَرَ مِنْ أَصْوَاتِ الْحَلْقِ ، وَكَذَلِكَ الْعَكْسُ .

وَقَدْ فَطَنَ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْعَلَمَةُ ابْنُ جَنِيِّ فَقَالَ (١) : « فَمَا قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي قَوْلٍ تَأْبِطُ شَرًا :

كَأَنَّمَا حَتَّخُوا حُصُّلًا قَوَادِمُهُ أَوْ أَمَّا خَشْفَ بَذِي شَتَّ وَطَبَاقَ
إِنَّهُ أَرَادَ : حَتَّخُوا ، فَأَبْدَلَ مِنَ الثَّاءِ الْوَسْطَى حَاءَ ، فَمَرْدُودٌ عِنْدَنَا

(١) سُرْ صَنَاعَةُ الْإِعْرَابِ / ١٩٧



وإنما ذهب إليه البغداديون وأبو بكر [بن السراج] معهم ، وسألت أبا علي عن فساده ، فقال : العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف ، إنما هو فيها تقارب منها ، وذلك : الدال والطاء والباء ، والذال والظاء والباء ، والهاء والمهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك بما تدانت مخارجها . فاما الحاء بعيدة عن الباء ، وبينها تفاوت يمنع من قلب إحداها إلى آخرها . قال : وإنما (حثث) أصل رباعي ، و (حشش) أصل ثلاثي وليس واحد منها من لفظ صاحبه ، إلا أن (حنحث) من مضاعف الأربعة ، و (حشش) من مضاعف ثلاثة » .

كما يقول ابن سيدة : « ما لم يتقارب مخرجاه أبته ، فقييل على حرفين غير متقاربين ، فلا يسمى بدلاً ، وذلك كابدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق ^(١) » .

وفيها يلي نضرب الأمثلة لكل نوع من أنواع التأثير السابقة :

(١) التأثر الم قبل الكلي في حالة الاتصال : من أمثلة ما يلي :

ا - تأثر تاء الافتعال دائمًا بالدال أو بالطاء قبلها ، فتقلب دالاً أو طاء ؛ وذلك مثل :

ادرك < ادْرُك ؛ ادْهَن > ادْهَن ؛ اطلب < اطْلِب ؛ اطلع > اطْلَع ؛ اطّرد < اطْرَد .

ب - تأثر تاء الافتعال غالباً بالذال أو بالصاد أو بالضاد قبلها ، فتقلب ذالاً أو صاداً أو خادداً ؛ مثل : اذتكرا < اذْتَكَر ؛ اضجعوا > اضجع ؛ اصبروا < اصْبَر .

ج - تأثر تاء الفاعل بلام الفعل ، إذا كانت طاء ، فتقلب طاء في بعض

(١) الخصص ٢٧٤/١٣

اللهجات القدية . وعلى هذه اللغة أشد قول علامة بن عبد التميمي :
وفي كل حيٍ قد خبطَ بنعمة فحقُّ لشأن من نداكَ ذنوب
ويقول سيبويه : « وأعرب اللغتين وأجودهما أن لا نقلبها طاء ، لأن هذه التاء علامة الإضمار ، وإنما تجيء معنى ، وليس تلزم هذه التاء الفعل ، ألا ترى أنك إذا أخبرت غائبًا قلت : (فعل) فلم تكن فيه تاء » (١) .

(٢) التأثر المسبق الكلبي في حالة الانفصال : من أمثلته ما يلي :

ا - تأثر حركة الضم في ضمير النصب والجر الغائب المفرد المذكر (-ه) والجمع المذكر (-هُم) والجمع المؤنث (-هُن) والمتثنى (-هُمَا) با قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة ، أو ياء ، فتقلب الضمة كسرة ؛ مثل : بوجلِهِ > بوجلِهِ ؛ فِيهِ > فِيهِ ؛ عَلَيْهِ > عَلَيْهِ ؛ ضربَتِهِ > ضربَتِهِ ؛ بِصَاحِبِهِمْ > بِصَاحِبِهِمْ ؛ قاضِيَهُمْ > قاضِيَهُمْ ؛ بِهِنْ > بِهِنْ ؛ بِهِمْتَا > بِهِمْتَا ، وغير ذلك . وأصل حركة هذا الضمير موجود في القراءة القرآنية المروية عن حفص في قوله تعالى :

« وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره » وقوله تعالى : « ومن أوفى بما عاهد عليه الله (٢) » ، وهذا الأصل هو لغة أهل الحجاز ، وقد روي عنهم أنهم كانوا يقرأون : « فخشنا بهو وبداره الأرض » (٣) .

ب - روى أبو بكر الزبيدي أن عامة الأنداش في القرن الرابع المجري كانت تقول : خيزران وسيكتران ، وهو بنت تدوم خضرته في القيظ (٤) ، بدلاً من خيزران وسيكتران .

(١) كتاب سيبويه ٤٢٣/٢

(٢) التيسير للداني ١٤٤

(٣) المقتضب للبرد ٣٧/١

(٤) لحن العوام للزبيدي ٥٤ ، ١٢٤

(٣) التأثر المسبق الجزئي في حالة الاتصال : من أمثلة ما يلي :

ا - تأثر تاء الافتعال بالصاد أو بالضاد أو بالزاي قبلها ، فتقلب طاء في الحالتين الأوليين ، ودالاً في الحالة الثالثة ؟ مثل : اصبع \rightarrow اصطبغ ؛ اضطبع \rightarrow اضطبع ؛ ازتحر \rightarrow ازدجر .

ب - تأثر تاء الافتعال بالجيم إذا كانت قاء للفعل ، فتقلب دالاً في بعض اللهجات القديمة ؟ مثل : اجتمع \rightarrow اجدمع ؛ اجتر \rightarrow اجدز .

ويقول ابن جني (١) : « وقد قلبت تاء افتعل دالاً مع الجيم في بعض اللغات ؛ قالوا : اجدمعوا في اجتمعوا ، واجدز » في اجتر ، وأنشدوا :

فقلت لصاحبِي لا تحبساني بنزع أصوله واجدز شيخا
ولا يقاس ذلك إلا أن يسمع ، لا تقول في اجترأ : اجدرأ ، ولا في
اجترح : اجدرح !

ج - تأثر الثناء بالأصوات المجهورة قبلها ، فتقلب ذالاً في بعض اللهجات القديمة ؟ مثل : يجثو \rightarrow يجذو ؛ تلعم \rightarrow تلعدم .

وإن كان ابن جني ينكر أن يكون ذلك قلباً ويدعى أنها لغتان ؛ فيقول (٢) : « وأما قولهم : جذوت وجثوت ، إذا قمت على أطراف أصابعك . وقرأت على أبي علي :

إذا شئت غنتي دهاقين قرية وصناعة تجذو على كل منسَم
فليس أحد الحرفين بدلاً من صاحبه ، بل هما لغتان ، وكذلك قولهم
أيضاً : فرأ فما تلعم ، وما تلعدم » .

(٢-١) سر صناعة الإعراب ٢٠١/١

د - تأثر تاء الفاعل بلام الفعل إذا كانت صوتاً مفخماً ، فتقلب الظاء طاء في بعض اللهجات القديمة ، وهي تلك التي يقول أصحابها : فَحَصْنُطُ بِرْجِلِي ، بدلاً من : فَحَصْنَتُ (١) .

ه - روى أبو الطيب اللغوي (٢) أنه يقال في « نَشْرٌ » : « نَشْسٌ » ، كما يقال في « رَجْبٌ » للرجل الذي : « رَجَبٌ » ؟ ففي المثال الأول تأثر الزاي المجهورة بالثين المهموسة قبلها ، فقلبت إلى نظيرها المهموسة وهو السين ، وفي المثال الثاني تأثر السين المهموسة بالباء المجهورة قبلها فقلبت إلى نظيرها المجهور ، وهو الزاي .

(٤) التأثر المسبق الجزئي في حالة الانفصال : من أمثلته ما يلي :

أ - تأثر السين المهموسة بالراء المجهورة قبلها ، فتقلب إلى نظيرها المجهور ، وهو الزاي في كلمة : مِهْرَاسٌ ، التي صارت : مِهْرَازٌ في لهجة الأندايس العربية في القرن السادس المجري ، كما روى لنا ذلك ابن هشام اللخمي (٣) .

ب - تأثر الذال بالقاف قبلها ، فتقلب إلى نظيرها المفخم وهو الظاء ، في بعض اللهجات القديمة ؛ يقال لشاة التي تضرب بخشبة حتى تموت : وَقِيدٌ وَوَقِيْظٌ . ويقول ابن جنفي (٤) : « يقال : تركته وَقِيداً وَوَقِيْظاً . والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلاً من الذال ؛ لقوله عز اسمه : (والموقوذة) بالذال ، ولقولهم : وقد يقنه ، ولم أسمع : وَقِظَه ، ولا مُوْقَوْذَة ؛ فالذال أعم تصرفاً ، فلذلك قضينا بأنها الأصل ».

(١) انظر كتاب سيبويه ٤٢٣/٢ ، وسر صناعة الإعراب ٢٢٥/٢

(٢) الإبدال لأبي الطيب ١١٨/٢ (٣) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٤

(٤) سر صناعة الإعراب ٢٣٣/١

ج - تأثر الدال بالراء قبلها في لجة الأنداس العربية في القرن الرابع الهجري ، فتُنقلب إلى نظيرها المفخم ، وهو الضاد ؛ لأن الراء صوت ذو قيمة تفخيمية ؛ مثل : معربد < معرِبَد^(١) .

(٥) التأثر المدبر الكلبي في حالة الاتصال ؛ من أمثلته ما يلي :

ا - في مضارع صيغتي : تفعّل وتفاعل ، تأثر التاء بعد تسكينها للتخفيف بفاء الفعل إذا كانت صوتاً من أصوات الصفير أو الأسنان ، ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي ؛ مثل :

يَتَذَكَّر < يَتَذَهَّبَ كَثُر < يَذْكُر < اذْكُر (في الماضي)
 يَتَطَهَّر < يَتَطَهَّر < يَطَهَّر < اطَّهَّر (في الماضي)
 يَسْدَارَا < يَسْدَارَا < يَسْدَارَا < اسْدَارَا (في الماضي)
 يَتَسَاقِل < يَتَسَاقِل < يَسْقِل < اسْقِل (في الماضي)

وقد حدث ذلك في اللغة العربية القديمة ، وجاء ذلك في القرآن الكريم ، جنباً إلى جنب مع الصيغة الأخرى ، التي لم يحدث فيها تطور ؛ كقوله تعالى : « اشاقلتم إلى الأرض » (التوبه ٣٨/٩) « وإذا قتلتم نفساً فادْارُتم فيها » (البقرة ٧٢/٢) « بل ادْارُك عالمهم في الآخرة » (النمل ٦٦/٢٧) « وما يذَكَّر إلا أولو الأنباب » (البقرة ٢٦٩/٢) « وما يدرِيك لعله يَرَكَّسْتَيْ أَو يَذَكَّرَ فتنفعه الذكرى » (عبس ٤٠/٣-٤) « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيَّنتَ » (يونس ٢٤/١٠) .

ولعل هذه الظاهرة كانت في سبيل التطور في العربية الفصحى ، عندما جاء الإسلام ؛ ولذلك نجد أمثلتها في القرآن الكريم - كما قلنا - جنباً إلى جنب مع الصيغة القديمة ، التي لم يحدث فيها تغيير للأصوات ،

(١) لحن العوام للزبيدي ٢٩٦

ك قوله تعالى : « لولا أن تداركه نعمة من ربك » (القلم ٤٩/٦٨) « وما يتذكر إلا من ين Hib » (غافر ٤٠/١٣) « قالوا إنا طيرنا بكم » (يس ٣٦/١٨) ، وهو يقول في آية أخرى : « قالوا طيرنا بك وبين معك » (النمل ٢٧/٤٧) . بل إن الآية الواحدة لتحتوي في بعض الأحيان على الصورتين معاً ، ك قوله تعالى : « ليذبروا آياته وليتذكّر أولو الألباب » (ص ٣٨/٢٩) .

وقد ظل هذا التطور سائراً في طريقه في لهجات الخطاب ، حتى صاد وحده ، وقضى على الظاهرة القدィة ؛ ففي اللهجة العامية المصرية نقول مثلاً : « فلان أصدقت دماغه » ، و « اسرع في كلامه » ، و « شئ الأكل » ، و « اصبوّر » ، و « اطّوّع في الجيش » . ولا أثر للصيغة القدیة في لهجات الخطاب ؛ إذ لا يقال فيها مثلاً : « فلان تصدقت دماغه » ، و « تسرع في كلامه » ، و « شئ الأكل » ، و « تصوّر » ، و « تطوع في الجيش » .

وكذلك الحال في صيغة (تفاعل) ؛ إذ ماتت هي الأخرى ، وحلت محلها صيغة : (اتفاعل) التي شاهدنا مولدها في عصر نزول القرآن الكريم ؛ إذ نقول الآن في لهجات الخطاب : « فلان اطّاول على فلان » ، و « شئتم هو وهو » ، و « شاهل معاه » ، و « أشّاخوا سوا » ؛ بدلاً من : « تطاول عليه » ، و « شائم » ، و « تساهل » ، و « تصالح » .

بل لقد سادت صيغتا (اتفعش و اتفاعل) في اللهجة العامية المصرية ، حتى ولو لم يكن في الأصل صوت من أصوات الصفير أو الأصوات الأسنانية ، كقولنا مثلاً : « اتفرج » و « اتبديل » و « اتزازيل عليه » ، وغير ذلك .

ب - تأثير النون في : « إن » و « وأن » و « من » و « عن » ، باليم واللام التي تليها ،

فتقلب ميماً أو لاماً ؛ مثل : إِمَّا وَأَمَّا وَإِلَا وَأَلَا وَهُمَا وَعُمَا ،
وَمَا إِلَى ذَلِكَ .

ج - في العربية القديمة ، تتأثر لام التعريف بما بعدها ، من أصوات الصفير والأسنان والأصوات المانعة (الراء واللام والنون) ، وهي ماتسمى عند اللغويين العرب بالحروف الشمية ، فتدغم فيها . وقد جمعها بعض الشعراء في أوائل كلامات البيت التالي :

طُبْ ثُمَّ صَلْ رَحْمًا تَفَزْ ضَفْ ذَا نَعْمَ دُعْ سَوْءَ ضَنْ زَرْ شَرِيفًا لِّلْكَرْم

د - روى لنا اللغويون في « وَتِدَ » : « وَدَّ » ، وقالوا : « الأصل : وَتِدَ ، وهي اللغة الحجازية الجيدة ، ولكنَّ بني تميم يسكنون التاء ويبدغونها في الدال » ^(١) .

ه - تتأثر اللام في الكلمة : (بل) بالراء في أول الكلمة التي تأتي بعدها ؛ فتقاب راء ؛ كقول الشاعر :

عافت الماء في الشتاء فقلنا بل ردِّيه تصادفيه سخينا
فإنها تنطق : « بِرَدِّيه » . وكان ذلك هو السبب الذي أوقع قطرياً
النحووي المشهور في الخطأ ، حين زعم أن « بِرَدَّ » من كلمات
الأضداد ، تأتي يعني : بِرَدَ وسخن ، اعتماداً على هذا البيت ، ولم
يدر أن الراء منقلبة عن اللام في « بل » . وقد عابه بذلك أبو الطيب
اللغوي ، في كتابه الأضداد (٨٦/١) . ومن أمثلة ذلك أيضاً
 قوله تعالى : « كَلَا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ » (المطففين ٨٣/١٤) .
وهذا هو السر في أن بعض القراء يسكت بعد اللام سكتة لطيفة ،
حتى يوجد فاصلاً بين اللام والراء بعدها ، فلا تتأثر بها .

(١) الجمل للزجاجي ٢٨٠

و - تتأثر الراء في بعض قراءات القرآن باللام بعدها ، في مثل قوله تعالى : « يغفر لَكُمْ » فقلب لاماً ، وإن كان ابن جني ينكر ذلك ويقول : « واعلم أن الراء لما فيها من التكبير ، لا يجوز إدغامها فيها يليها من الحروف ؛ لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكبير . فأما قراءة أبي عمرو : « يغفر لَكُمْ » ، يادغام الراء في اللام فمدفوع عندنا ، وغير معروف عند أصحابنا ، إنما هو شيء رواه القراء ولا قوة له في القياس » (١) .

ز - أورد سيبويه شواهد على تأثر لام (بل) بالشين والثاء والباء بعدها ؟ مثل قول طريف العنبري :

تقول إذا استملكت مالاً بـلـذـة فـكـيـة هـشـيـة بـكـفـيـك لـاقـ يـريـد : هل شيء ... وقرأ أبو عمرو : هـشـوـبـ الـكـفـارـ ، يـريـد : « هل ثـوـبـ الـكـفـارـ ... » وقد قرئ : بـتـؤـثـرـونـ الـحـيـاةـ الدـنـيـاـ ، يـريـد : « بل تـؤـثـرـونـ » . وقال مزاحم العقيلي : فـدعـ ذـاـ وـلـكـنـ هـتـشـعـيـنـ مـتـيـمـاـ على ضـوءـ بـرقـ آخرـ اللـيلـ نـاصـ يـريـد : هل تعـيـنـ » (٢) .

(٦) النّاثر المدبر الكلي في حالة الانفصال ؟ من أمثلة ما يلي :

ا - كلمة : *emza* (همزة) في الجبائية تقابل كلمة : « مُنْذَهٌ » العربية ، وهي في الجبائية مركبة من : *em* (هم) يعني « من » و *za* (زا) يعني اسم الموصول (ذو) الطائفة . وهذا كله يدل على أن أصل (« مُنْذَهٌ ») العربية : (« من » + ذو) ،

(١) سر صناعة الإعراب ٢٠٦/١ .

(٢) انظر : كتاب سيبويه ٤١٧/٢ .

فقلبت كسرة الميم ضمة تأثراً بضمة الذال بعدها . وقد بقي هذا الأصل عند بنى سليم ، فقد حكى عنهم أنهم يقولون : « مِنْذُ » بكسر الميم (١) . وينطلي السيوطي حين يرى أن الذال في « مِنْذُ » و « ضَمَّتْ » إتباعاً لحركة الميم ، ولم يعتقد باللون حاجزاً (٢) .

ب - تطورت كسرة الميم إلى فتحة في صيغتي اسم الآلة : مفعَل و مفعَلة ، وذلك مطرد تماماً الأطراد في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري (٣) ؛ إذ تتأثر حركة الميم بحركة العين ، وذلك من نوع التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال ؛ مثل : مَقْوَد ، وَمَسَنَّ ، وَمَقْنَع للثوب الذي يغطي به الرأس ، ومَطْرُد للرمح الصغير ، وَخَدَّة ، وَمَزْدَعَة للوسادة . وقد استمر ذلك في لهجة الأندلس في القرون التالية ، فقد روى لنا ابن هشام المخمي (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) أن الأندلسيين كانوا يقولون : مَصِيدَة ، وَمَطْرَقَة ، وَمَغْرِفَة ، وَمَرْوَد ، وَمَشْرَط ، وَمَنْجَل ، وَمَنْبَر ، وَمَكْنَسَة ، وَمَرْوَحة ، وَمَلْعَقة (٤) .

وهذا هو الاتجاه العام في تطور هاتين الصيغتين في لهجات العربية الحديثة ؛ وفيها يسود التأثر المدبر ، كما في الأمثلة السابقة . أما التأثر المُقْبِل فيها ، فلم أعثر له على مثال إلا فيما رواه ابن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) من قول العامة في عصره : (مِكْنَسَة) بدلاً من « مِكْنَسَة » (٥) .

(١) انظر : لسان العرب (منذ) ٤٧/٥

(٢) الآشاء والنظائر للسيوطى ٧/١

(٣) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ١٩١ - ١٩٠

(٤) المصدر نفسه ٢٣٧ - ٢٣٨

(٥) قويم اللسان لابن الجوزي ٤٤

(٧) التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال ، من أمثلة ما يلي :

١ - في العربية القديمة تحول الصاد قبل الدال إلى زاي ؛ مثل : « يَزْدَقُ » في « يَصْدِقُ » ، واتصال الصاد بالدال هنا شرط لتحقيق التأثر السابق ؛ قال ابن السكري : « والعرب تقول : اَزْدَقُ بمعنى : اَصْدُقُ ، ولا يقولون : زَدَقُ »^(١) . ولم يعین اللغويون القبيلة التي ينتمي إليها هذا الإبدال ، وأغلبظن أن الزاي هنا كانت مفخمة ، غير أنهم كتبوها بالزاي المرفقة ، لعدم وجود رمز للزاي المفخمة في الكتابة العربية . وقد روی لنا هذا الإبدال كذلك في المثل العربي : « لم يحرم من فزده »^(٢) .

وقد زعم أبو الطيب اللغوي أن طيئاً تقلب كل صاد ساكنة زاياً ، ولم يقيدها بوقوعها قبل الدال ، فقال : « ويقال : هي المزدعة والمصدغة ، للمىخدة . وطيء تقلب كل صاد ساكنة زاياً . قال الأصمعي : كان حاتم الطائي أسيراً في عنزه ، فجاءته النساء بناقة وميفضداً ، وقلن له : اقصد هذه الناقة ، فأخذ المفضد قلتيم في سبلتها ، أي نحرها ، وقال : هكذا فزدي أنه ، أي فضدي أنا ثم قال :

لا أقصد الناقة من أنها لكتني أوجرها العالية .

وقد قريء : حتى يَصُدُّ الرِّعَاء وَيَزْدُرُ الرِّعَاء . ويقال : هو كثير القرذلك والقصدلك »^(٣) .

(١) انظر : القلب والإبدال لابن السكري

(٢) انظر : لحن العوام للزبيدي ١٩٤

(٣) الإبدال لأبي الطيب ١٢٦ / ١٢٨

وكل هذه الأمثلة وقعت فيها الصاد قبل الدال مباشرة ، وهي السبب في هذه المثلثة ، فلا يقال - كما في هذا النص - : « وطبيه تقلب كل صاد ساكنه زاياً » ، بل تزاد عبارة : « قبل دال » ولعلها ساقطة من أصل الكتاب .

ب - تأثر النون الساكنة بالياء التالية لها ، فتقلب إلى صوت من خرج الياء ، وهو صوت الميم ؟ إذ هو شفوي كالباء ، وهذا هو ما سماه علماء القراءات العرب بالإقلاب في مثل قوله تعالى : « من بعد ما جاءهم » ، وقوله تعالى : « عالم بذات الصدور » ، وقوله : « إذ أبعث أشقاها » . ومثل ذلك قول عامة الناس اليوم : « مئمير » في مينبر إلى جانب التأثر المدبر الكلبي في حركة الميم ، كما سبق أن عرفنا .

ج - تقول العامة في عصرنا الحاضر : « يسْجَفْ » بدلاً من « يَزِّحْ حَفْ » (١)؛ فقد تأثرت الزاي في هذا المثال ، وهي صوت مجرور ، بالياء التالية لها وهي صوت مهموس ، فقلبت الزاي إلى نظيرها المهموس وهو السين .

(٨) التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال ؟ من أمثلته ما يلي :

ا - الصاد قبل الراء تقلب زاياً في بعض قراءات القرآن الكريم ؟ مثل : « زرات » في : « صرات » أو لعلها كانت تنطق مثل الظاء العامة ؛ إذ يقول صاحب « مقدمتان في علوم القرآن » (١٤٧) : « غير أن الذي يُسمّ بالصاد زاياً يحافظ على بقاء الإطباقي في الصاد ». وهذا ما سبق أن ذكرناه من ترجيح أن تكون الزاي مفخمة في مثل هذه الكلمات .

(١) انظر : تذكرة الكاتب لأسعد داغر ٨٥

ب - روى ابن هشام اللخمي أن الناس كانوا في الأندلس والمغرب في القرن السادس الهجري يقولون في : « سردار » : « زرداد »^(١).

ج - الناس في مصر وبعض البلاد العربية ، يطلقون على : « السعتر » ، « زعتر »^(٢).

د - بنو أسد يقولون في « الدِّفَتِرُ » : « تِفَتِرُ »^(٣).

ه - تميل الراء إلى تفخيم الأصوات المجاورة لها ، ومن هذا الأثر قولنا في مصر : « طور » في : « ثور » المتقلبة عن « ثور » ، كما نطق كلامة : « الضرب » على « الدرب » بمعنى الطريق المسدود.

و - السين قبل الطاء تقلب صاداً في بعض قراءات القرآن ؟ فقد روی « عن ورش عن نافع : ألم هم المصيطرون ، و : فلست عليهم بعسيطر ، بياخلاص الصاد . وروى محمد بن الجهم عن الفراء قال : الكتاب وخط المصحف بالصاد في: مصيطر ، والمصيطرون ، والقراءة بالسين »^(٤).

٢ - قانون الخالفة :

هناك قانون صوتي آخر ، يسير في عكس اتجاه قانون المثلثة ، وهو ما يعرف عند علماء الأصوات باسم : « قانون الخالفة » ؟ فقد عرفنا أن قانون المثلثة ، يحاول التقريب بين أصوات يبنها بعض الحالات . أما قانون الخالفة ، فإنه يعمد إلى صوتين متباينين تماماً في كلمة من الكلمات ،

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٤٣

(٢) انظر : تهذيب الألفاظ العامة للشيخ الدسوقي ٦٦

(٣) انظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١٠٩/١

(٤) انظر : مقدمة في علوم القرآن ١٤٨

فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة ، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة المعروفة في اللاتينية باسم : Liquida وهي : اللام والميم والنون والراء .

ويقول فندريس : « ينحصر التناقض ، وهو الملك المضاد للتشابه »، في أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة ، وكان من حقها أن تعمل مرتين ؟ فمن الكلمة اللاتينية : Arborem (أرْبُورِم) بمعنى : شجرة ، نشأت الكلمات : الأسبانية Arbol (أربُل) والبروفنسية Albre (ألبُر) ، فالذى حدث في كلتا الحالتين ، مع اختلاف الترتيب ، هو أن المتكلم اقتصر على القيام بحركة واحدة فقط من الحركات ، التي يتطلبها إنتاج الراء (r) بدلاً من أن يقوم بحركاتتين ، واستمراض عن الأخرى بحركة من الحركات التي تنتجه اللام المائعة »^(١) .

ومثال الخالفة بين السامية والأم والعربية : الكلمة « شمس » ، فهي في السامية الأولى : « شمش » كما في الأكادية والعبرية والآرامية . والمعروف لدى علماء الساميات أن الشين في السامية الأم ، قلبت في العربية « سيناً » ، وهذا من التغييرات التاريخية التي سبق أن تحدثنا عنها من قبل ، ومقتضى ذلك أن تصير الكلمة في العربية : « سمس » ، غير أن الخالفة بين السينتين ، أدت إلى قلب الأولى شيئاً .

و كذلك كالماتا : « سنبلة » و « قنفذ » حدثتا بطريق الخالفة بين الصوتين من كلمتين كانت الباء فيها مشددة ؛ « فسنبلة يوافقها في العبرية : šibbolet (شِبْبُولَت) وقنفذ يوافقه في العبرية :

^(٢) Kippōd (كِبِّود) (جفون) .

(١) اللغة لفندرис ٩٤

(٢) دروس في علم أصوات العربية لكتابينو ٤٦

ومثال ذلك في العربية: «قيراط» و«دينار» بدلًا من: «قِيراط» و«دِينَار» بدليل الجمع: «قراريط» و«دانانيير». و«أملل» و«أملّي»، وفي القرآن الكريم: «وليملل الذي عليه الحق» (البقرة ٢٨٢/٢).

وكان الناس في القرن الثاني المجري في العراق يقولون في: «إيجاص»، للكثيري: «إنجاص»، وفي: «أترج»؛ «أترنج»، وفي: «إيجانة»؛ «إنجانة»؛ فقد ذكر الكسائي (المتوفى سنة ١٨٩ هـ) أن الناس كانوا في عصره يزيدون النون في هذه الكلمات فقال: «ويقال: أترج» وإيجانة وإيجاص. هذه الأحرف ياسقط النون»^(١).

كما كان أهل الأندلس في القرن الرابع المجري يقولون: «كرنasse» في: «كراسة» كما كانوا يطلقون على الأسد كلمة: «عدنبس» بدلًا من الكلمة القديمة: «عدبُش»، وكان يقولون: «تقعور» بدلًا من الفعل: «تقعّر»^(٢).

كما روى أبو منصور الجواهري (المتوفى سنة ٥٣٩ هـ) عن عامدة عصره أنهم كانوا يقولون: «مِنْطَر» في: «مطر»، كما كانوا يقولون: «خَرْمَش» في: «خَمَش»^(٣).

والكلمة الأخيرة يستعملها العامة اليوم مع القلب المكاني، فيقولون: «خرشم» ومثل ذلك في كلامهم لفظة: «لُبْط» التي حدث فيها قلب مكاني من: «خلبط» التي تجت بطرق المخالفة الصوتية من الفعل القديم: «خلط».

(١) انظر: ما تلحن فيه العوام للكسائي ٣٥، وانظر كذلك: إصلاح المنطق ١٧٦

(٢) انظر: لحن العوام للزيدي ٣٥؛ ٤٦١؛ ٤٦٤

(٣) انظر: تكلمة ما تلحن فيه العامة للجوهري ١٣٤؛ ١٣٩

كما تقول العامة في عصرنا الحاضر : « قرنبيط » في : « قنبيط » و « مهردم » في : « مهدم »^(١) و « فرتك » في « فرك » و « ضرفة الباب » بدلاً من : « دفقة » ، وقد فحمت الدال بتأثير الراء ، كما سبق أن ذكرنا ذلك ، كما يقولون : « كعبد » بدلاً من « كبُّل »^(٢) . ويقولون كذلك : « سنكر الباب » بدلاً من « سكتُّر » المستعارة من الآرامية : (ضفَّ)^(٣) .

وقد حكى ابن هشام الأخمي (المتوفى سنة ٥٧٧هـ) بعض الأمثلة التي يمكن أن تفسّر بقانون المخالفة ، عن طريق إبدال أحد المترافقين حرف مدّ ؟ مثل : « عايرت الموازن » في : « عيّرت » و « عوش الطائر » في : « عشّ » و « مصافهم » في : « مصفهم » و « خارة المرأة » في « ضرّة » و « موخ » في : « مخّ »^(٤) . ومثل ذلك ما حكاه ابن السكينة عن العرب أنهم يقولون : « الدمّ » و « الذّام » للعيب^(٥) . ولعلنا ، بقانون المخالفة ، نستطيع أن نفسّر ذلك الإبدال الظاهري في كلمتي : « زُحْلُوفة » و « زُحْلُوقة » في قول الأصمعي : « الزحاليف والزحاليق » : آثار تزييج الصياغ من فوق طين أو رمل أو صفا ، فأهل العالية يقولون : زحلوبة وزحاليف ، وبنو تميم ومن يليهم من هوازف يقولون : زحلوبة وزحاليق^(٦) ، فالظاهر أن الكلمة الأولى : « زحلوبة » مأخوذة من الفعل : « زحلف » الناتج بطريق المخالفة الصوتية من « زحف » كما أن الكلمة الثانية : « زحلوبة » مأخوذة من الفعل : « زحلق » الناتج بطريق

(١) انظر : أصول الكلمات العامية لحسن ترقيق العدل ٣٩

(٢) انظر : الحكم في أصول الكلمات العامية ، للدكتور أحمد عيسى ١٨٨ : ٨٣

(٣) انظر : فصول في فقه العربية ٢٩٠

(٤) انظر : المدخل إلى تقويم اللسان ٤٢ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٥٤ ، ٤٣

(٥) القلب والإبدال لابن السكينة ٢٦

(٦) الإبدال لأنبي الطيب ٣٣٧/٢

الخالفة الصوتية كذلك من الفعل : « زلت » ، فانظر إلى اختلاف الأصول وتشابه الفروع الجديدة :

وليس من اللازم أن يكون الصوتان متجاورين ؛ فكلمة : « عنوان » تطق في بعض اللهجات عندنا : « علوان » ، وكلمة : « لعل » فيها عشر لغات مشهورة^(١) . ومن هذه اللغات : « لعن » ، وهي أثر من آثار قانون المخالفة .

وقد فطن قدماء اللغويين العرب لهذه الظاهرة ، وكانوا يعبرون عنها أحياناً « بكراهية التضييف » أو « كراهة اجتماع حرفين من جنس واحد » أو « اجتماع الأمثال مكرروه » أو « استقلوا اجتماع المثلين » وغير ذلك ؛ فقد عقد سيبويه لذلك باباً في كتابه بعنوان : « هذا باب ما شد فأبدل مكان اللام الياء ، لكراهية التضييف ، وليس بمطرد »^(٢) .

وقال أبو عكرمة الضي : « أنشدني أبو العالية بعض بنى أسد : إذا برحت فنفع مستكف وإن تُقْنِي فسِلَعْنَدْ عَذُومْ » تقني : صارت في قنان من الأرض ، وهي إكلام ذات حجارة ، الواحد قنة . وكان الأصل : تُقْنِين ، فأبدل النون الأخيرة ياء ، كراهة اجتماع حرفين من جنس واحد ، كما قالوا : تظننت ، والأصل : تظننت ، وكقول العجاج :

تَقْضِيَ الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسْرٌ

أراد : تقضض . وهذا أمثال كثيرة^(٣) .

ومن قواعد الصرفين في العربية ، أن الواو تقلب همزة إذا تصدرت

(١) شرح الأشوعي على ألفية ابن مالك ٢٧١/١

(٢) كتاب سيبويه ٤٠١/٢

(٣) الأمثال لأبي عكرمة ٨٤ - ٨٥

قبل واو متحركة مطلقاً ، أو ساكنة متصلة الرواية ، نحو : « أواصل » و « أواق » ؛ فإن الأصل فيها : « وواصل » ، وكذلك : « وواق » ؛ لأنها جمعان لكتمي : « واصلة » و « واقية » ؛ ففاء كل منها واو . وبجري مثل ذلك في أتشي : « الأول » و « جمعها » ؛ فإن الأصل فيها أن يكونا : « وُولى » و « وُولَّ » ، ولكنها في العربية : « أولى » و « أولَّ » ، وليس ذلك كله إلا آثار قانون المخالفة .

والسبب في المخالفة من الناحية الصوتية ، هو أن الصوتين المترافقين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة ؛ ولتسير هذا الجهد العضلي ، يقلب أحد الصوتين صوتاً آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجدهداً عضلياً ، كاللام والميم والنون .

ويرى « برجشتراسر » أن العلة في التخالف « نفسية حضة » ، نظيره الخطأ في النطق ، فإنما نرى الناس كثيراً ما يخسرون في النطق ، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه ، وأكثر ما يكون هذا إذا تابعت حروف شبيهة بعضها البعض ؛ لأن النفس يوجد فيها - قبل النطق بكلمة - تصورات الحركات اللاحقة على ترتيبها ، ويصعب عليها إعادة تصور بعئنه ، بعد حصوله بعده قصيرة ، ومن هنا ينشأ الخطأ إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتتابع فيها حروف متشابهة ^(١) ، وذلك مثل الكافات في عبارة : « كريم الكركشني دبع كبس » ، وعمل على كرش الكبس كشك ، يا ما أحلى كشك كرش كبس كريم الكركشني ! ومن المخالفة الصوتية المؤثرة في العربية كذلك : المخالفة بين حركتي الفتح المتاليتين ، إذا كانت الأولى منها طويلة ؛ إذ تحول الثانية منها في

(١) التطور النحوي ٢١

هذه الحالة إلى كسرة ، فالأصل في نون المثنى هو الفتح ، غير أنها كثيرة تبعاً لهذا القانون ؛ بدليل أنها لا تزال مفتوحة في نظيرتها في جمع المذكر ، ودليل بعض الأمثلة التي بقيت على الأصل القديم ، وهي ما نسميه نحن « بالركام اللغوي » ؛ مثل : « شتان » في مثل قوله : « شتان أخوك وأبوك » أي هما متفرقان ؛ فهو ثانية شت ، والشت : المتفرق^(١) .

ومن لم يقنعه هذا المثال ، فلينظر في نون التوكيد المشددة ، وهي مفتوحة - كما نعرف - في : « يضرَّبَنَّ » و « تضرَّبَنَّ » وما إلى ذلك ، غير أنها مكسورة في مثل : « يضرِّبَانَّ » بسبب المخالفة المذكورة . وهذه النون التي تسمى بنون الرفع في الأفعال الحمزة ، هي مفتوحة في : يفعلون وتعلون وتعلين ، ولكنها مكسورة في : ي فعلات وتعلان ، بسبب هذا القانون نفسه .

بل إن نصب جمع المؤنث بالكسرة ليُفسَّر كذلك بهذا القانون ، أي أن الأصل هو نصب هذا الجمجم بالفتحة ، بدليل ما رواه الكوفيون عن العرب من قوله : سمعت لغاتهم ، وقول الرياشي : سمعت بعض العرب يقول : أخذت إراثهم^(٢) ، غير أن أثر هذا القانون ، هو الذي أدى إلى تناقض الفتحة إلى كسرة ، فيما نعتقد .

وليس المخالفة هي الطريق الوحيد في اللغات ، للفرار من ثقل اجتماع الأصوات المتراثة أو المتقاربة في الكلمة ؛ فقد تنشيء اللغة فاصلاً بين الصوتين ، يخفف من ثقل اجتماعها ، كما هو الحال في توكيد الفعل المسند إلى نون النسوة ؛ إذ تزيد اللغة العربية فيه ألف مدي بين نون

(١) لسان العرب (شت) ٣٥٥/٢ .

(٢) منهج السالك لأبي حيان ص ١١

^(١) النسوة ونون التوكيد، وهذه الألف يسمى الصرفون « بالآلف الفارقة ».

ويقول فندريس : « هناك مسلك ثالث ؛ وذلك بأن لا يتجه الصوتان المتماثلان إلى التوافق بين عناصرهما بزيادة المشابهة التي بينها ، تلك المشابهة التي تصل أحياناً إلى التمايز التام ، ولا أن يتحصن كل منها ضد الآخر ، بوضع نوع من العازل ، يكون عقبة في سبيل التأثير المتبادل بينها ، بل على العكس من ذلك بأن يستغلا ما بينها من فروق فيعمقاها إلى حد ألا يبقى بينها شيء مشترك ، ثم يزيل كل نقطة للتشابه ، وتلك هي عملية المفارقة »^(٤٢) .

ويقصد فندريس بالتوافق ما سبق أن سميـاه : « المـائـلة » ، كـما يقصد بالـفارـقة ما سـميـاه : « الـمخـالـفة ». أما « العـازـل » الـذـي يـتـحدـثـعـنـهـفـوـهـالـذـيـسـبـقـأـنـمـثـلـاـلـهـبـالـأـلـفـالـفـارـقةـفـيـالـعـرـبـيـةـ.ـوـقـدـمـثـلـ(ـفـنـدـرـيـسـ)ـلـهـذـهـالـاتـجـاهـاتـالـتـطـوـرـيـةـالـثـلـاثـةـ،ـبـعـامـلـةـبعـضـالـمـغـاتـلـمـجـمـوـعـتـيـنـالـصـوـتـيـتـيـنـ:ـAtnaـوـAktaـعـلـالـنـحـوـالتـالـيـ:

attā	توافق	anna	توافق
akta ← aketa	عازل	atna ← atena	عازل
achta	مفارقة	atra	مفارقة

وتحيل العربية إلى التخلص من تواли الأمثال في أبنيتها ، عن طريق آخر ، إلى جانب طريق المخالفة الصوتية ، ووضع العازل بين الأصوات، ذلك هو طريق الحذف . ومن أمثلة ذلك فيها : صيغ « تفعّل » و « تفاعل » و « تفعّل » مع تاء المضارعة ؛ مثل : « تقدّم » و « تقاتل »

(١) انظر في طرق التخلص من تواي الأمثال : الأشباء والنظائر لسيوطى ١٨/١

(٢) الأغة لفندريس ٩١

و « تتبخر » ، فالكثير في العربية الاكتفاء بباء واحدة . وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة لذلك ؛ ففيه مثلاً : « تذكرون » ١٧ مرة بالحذف ، في مقابل : « تندكرون » ٣ مرات بلا حذف ، كما يقابلنا فيه مثلاً : « تكاد تغتَّر من الغيظ » بدلاً من : « تميِّز » و « فأنت عنه تلمَّس » ، بدلاً من : « تلهَّى » و « ناراً تلظَّى » بدلاً من : « تتلظَّتني » وغير ذلك .

ومن أمثلة ذلك أيضاً : نون الأفعال الخمسة مع نون الواقية ، قبل باء المتكلم ، أو مع ضمير المتكلمين المتصوب ، وكذلك الفعل المسند إلى نون النسوة ، قبل هاتين الحالتين ، كقول الأعشى :

أَبْلَمُوتُ الَّذِي لَا بَدْ أَنْتَيْ مَلَاقُ لَا أَبَاكَ تَخْوِيفِنِي (١)

أي « تخويفني » . وكقول عمرو بن معدىكرب :

تَرَاهُ كَالْغَامِ يُعَلَّ مَسْكَا يَسُوءُ الْفَالِيَّاتِ إِذَا فَائِيْنِي (٢)

أي « فليني » . وكقول جيل :

أَبَا رِيحِ الشَّمَالِ أَمَا تُرِبِّنِي أَهِيمُ وَأَنِي بَادِي النَّحُولِ (٣)

أي « ترينني » .

وليس ضرورة الشعر هي المتسبة في هذا الحذف ، كما قد يتسوَّه ، إذ ورد في النثر كذلك ؛ فقد ورد في سيرة ابن هشام : « ما الذي تهشونا به » (٤) ، وفيها كذلك : « أفلأ تعطوني » (٥) . وفي الأغاني

(١) أمالى ابن الشجري ٣٦٢/١ ، والكامل للبرد ١٤٢/٢ ، والنصف لابن

جني ٣٣٧/٢ (٢) كتاب سيبويه ١٥٤/٢ والنصف لابن جني ٣٣٧/٢

(٣) الأغاني ١٠٩/٨ (٤) سيرة ابن هشام ٤٥٨ (٥) المصدر نفسه

لإصفهاني : « فأخبراه أنها لا يعرفاني »^(١) . وفي عيون الأخبار لابن قتيبة : « لم تزعجوني من جواركم »^(٢) . وفي تفسير الطبرى : « كنا نعطيهم في الجاهلية ستين وسبعين ، وقتل منهم ولا يقتلونا »^(٣) .

ومن أمثلة الحذف لكراءه توالى الأمثال كذلك : إن وآن ولكن وكان ، مع نون الواقية قبل ياء المتكلم ، أو ضمير المتكلمين المنصوب . واحذف مع هذه الأحرف هو الشائع في القرآن الكريم ؛ ففيه مثلاً : « إني » ١٢٤ مرة ، في مقابل : « إني » ٦ مرات ، كما ورد فيه : « وإننا » ٣٣ مرة ، في مقابل : « وإننا » مرة واحدة ، وغير ذلك.

ولعل المسؤول عن منع كلمة : « أشياء » من الصرف ، وقوعها في القرآن الكريم ، في سياق توالى فيه الأمثال لو صرفت ، في قوله تعالى : « لا تأسوا عن أشياء إن تبد لكم تؤكم » (سورة المائدة ٥ / ١٠١) ؛ إذ لو صرفت لقيل : « عن أشياء إن » ولا يخفى ما فيه من تكرار المقطع : (إن) .

ولبست العربية بداعاً في سلوك طريق الحذف ، للتخلص من توالى الأمثال ؛ ففي الآرامية مثلاً : (ܙܼܼܼ) يعني « ليث » أصلها الاستيقافي

، وفي الألمانية مثلاً كلمة der Beamte يعني : « الموظف » ، هذه الكلمة أصلها الاستيقافي : Der Beamtete وغير ذلك من الكلمات^(٤) .

رمضان عبد التواب

القاهرة

(١) الأغاني ١٢٦ (٢) عيون الأخبار ١/٢٩٣ (٣) تفسير الطبرى ٨/٥١٠

(٤) انظر في تفصيل ذلك : مقالتنا « كراهة توالى الأمثال » مجلة الجمع العلمي

العربي ١٩٦٩/١٨ م

التعریف والنقد

مروان بن محمد

وأسباب سقوط الدولة الأموية

دار لسان العرب «بيروت» ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م

الأستاذ عارف النكدي

هذا الكتاب هو تاريخ للعهد الأخير من الدولة الأموية في الشرق . وضعه القاضي سعدي أبو جيب ، وقدم له الدكتور شاكر مصطفى ، فأحسن كلامه : الدكتور في مقدمة ، والمولف في كتابه ، أحسنا معنى ومبني ، فليس من حق ما يكتب عن بني أمية ، واللغة العربية كانت في المنزلة التي كانت ، أن يكتب عنها بغير الأسلوب الذي كتبت فيه المقدمة ووضع فيه الكتاب .

ينفي صاحب المقدمة عن مروان (ظلم التاريخ له حين يجعل نهاية الدولة الأموية على يديه ومن عمله ، وما له في الأمر يدان ، وإنما جنى الشوك الذي كان زرعه الآخرون) وهو القول الحق . فالدولة الأموية كانت تختصر قبل مروان ابن محمد ، وهذا ما أثبتته المؤلف فيما عدده من فساد في الداخل وتزاحم على الخلافة وتقاول في سبيلها ، وما أحاط بها من قتن وثورات واضطرابات على ما يقوله المؤلف ، وهو الواقع .

نقول : حال لا يقوى خليفة على دفعها ولا القضاء عليها ، أكان مروان بن محمد ، أم غيره .. حتى ولو كان عمر بن عبد العزيز الذي ذهب المؤلف إلى أنه لها ...

دولة متراحمية للأطراف ، مختلفة الشعوب ، متباعدة المذاهب .. السياسية والدينية ، كانت تجتمعها جامحة من الدين ، ففتررت حدتها ، وغلبت عليه المطامع

والأغراض فالتفت الناس إلى وجه جديد يغيرون معه ما كانوا فيه، جاهلين ماعسى أن يقع لهم، مثلهم مثل من هم أن يخرج مما هو فيه، ولا يبالي على أي جنبه وقع.

ويدخل بك المؤلف إلى كتابه في مدخل يقول فيه : «التاريخ ، قصة حكاية ودرس ، هو تصوير للحياة بواقعها ، بكلّ ما فيها من خير وشر ... في تاريخ الدولة تجد تصوير حياتها في عزها وذلها ، وفي انتصارها وهزيمتها ، وتتجدد وصف أيام شبابها وكيف هوت وما هي أسباب كل ذلك » .

وبعد هذا المدخل ، يحدثك المؤلف في خطبة الكتاب : عن مروان كيف اعتلى عرش الخلافة ، ثم ما كان من الأحداث في عصره وكيف عالج ماعالج منها ، وكيف عجز عما عجز عنه ، إلى أن سقطت الدولة الأموية ، وقامت الدولة العباسية. ومن زايا مروان كثيرة ، وأخطاؤه قليلة قلّ أن يسلم من مثلها عظيم من العظام .

والكتاب ، على ما فيه من اختصار وإيجاز ، يعطيك الصورة الصادقة لـ «ما كان» ، وـ «ما كان يمكن أن يكون» .

وللدولة - على ما قال ابن خلدون - أعمار (فإذا جاء أحدهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون) .

عارف النكدي

غمائم الخريف

ديوان جديد للشاعر رياض ملوف

زحلة «لبنا» أيلول ١٩٧٤

الأستاذ شفيق جبرى

في عصرٍ مثل عصرنا الذي نعيش فيه ، في عصرٍ شاعت في أكثره حضارة المادة ، وغلبت الآلة على مظاهر هذه المادة ، ألم ينبعي لنا أن نرحب بالذين يشتدد إيمانهم بسلطان الشعر؟ . والأستاذ رياض ملوف صاحب «غمائم الخريف» من المؤمنين بهذا السلطان ، وقد أيدَ إيمانه باستشهاده بعض أقوالِ المقدسى وابن خلkan : «يُشرف أبقى من شرفٍ يبقى بالشعر ، وإن امرأ القيس كان من أبناء الملوك ، وكان من أهل بيته وبني أبيه أكثر من ثلاثين ملكاً ، فبادروا وباد ذكرهم وبقي ذكره إلى القيمة ، وإنما أمسك ذكره شعره ، وإن تحت العرش كنوزاً مفاتيحها لألسنة الشعرا». .

لست أشك في أن شاعرية رياض ملوف أصيلة ، وأعتقد أن الإنسان إذا لم يخلقه الله تعالى شاعرًا ، لن يبلغ من الشعر مبلغًا مما تكن لغته وصوره فالشاعرية هي روح الشعر ، لم يبالغ صاحب «غمائم الخريف» لما قال في مقدمة ديوانه : وكل قطعة منها ، أي من قصائده ، هي فلذة اقتطعها من حشاسي وقلبي قبل تسطيرها ... فشعره ابن قلبه وروحه ، وما يشتمل عليه هذا الشعر من لغة وصورٍ وشعورٍ إنما هو ابن طبعه ، خلقه الله فيه .

تتجلى شاعرية رياض ملوف في مواطن كثيرة من شعره ، تتجلى هذه الشاعرية في وصف الطبيعة ، ومحبة ولده ووالده ، ووصف جلالات الآثار ، مثل وصف قلعة بعلبك ومغاربة مجعيتا ، كما تتجلى في البكاء على

شابه ، وفي إيمانه بالله تعالى ، وفي وصف وطنه زحلة ، ولست أرمي إلى الإيتان على هذه المواطن كلها ، لقد مرت عليها فلم أجد فيها مانجده من المعミニات في بعض شعر هذا العصر ، بما لا نفهمه ولا نظن أن أصحابها يفهمونه . فلا يشتمل شعره على صورٍ غامضة ، ليس إلى فهمها من سبيل ولا على ألفاظ متنافرة ، تستوحش الواحدة من أخرى ، وإنما خياله مصقول وذوقه مصفيٌ ولغته واضحة ، ولا يحتاج رياض معـلوف إلى أكثر من ذلك ليكون شاعرًا أصلـاً .

«شفيق جبرى»

المعجم الفلسفي
تأليف الدكتور جمیل حلیبا

الجلد الأول ٧٦٥ صفحة + الجلد الثاني ٧١٦ صفحة
دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧١ - ١٩٧٣

الدكتور محمد كامل عياد

الزميل الصديق الدكتور جمیل حلیبا مازال ، منذ خمسين عاماً ، يشتغل بالفلسفة . فهو ، بعد أن نال شهادة الدكتوراه من جامعة الصوربون على أطروحته الأنسامية عن « فلسفة ابن سينا فيما بعد الطبيعة » وعلى أطروحته المتممة عن « النظرية الاجتماعية في المعرفة » ، تولى منذ سنة ١٩٣٧ تدريس الفلسفة في المدارس الثانوية ودور المعلمين أولأ ثم في الجامعة السورية وأخيراً في الجامعة اللبنانية . وقد نشر خلال هذه المدة الطويلة عدداً كبيراً من الكتب الفلسفية والتربوية والأدبية التي ألفها أو حققها أو ترجمها مثل : « علم النفس » و « المنطق » و « من أفلاطون إلى ابن سينا » و « من الخيال إلى الحقيقة » و « الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث » و « مقالة الطريقة » لديكارت و « الرسالة الجامعية » للمجريطي و « المنقد من الضلال » للفزالي و « حي بن يقطان » لابن طفيل و « منتخبات من ابن خلدون ومن ابن سينا » و « مستقبل التربية في الشرق العربي » و « الدراسات الفلسفية » و « اتجاهات النقد الحديث في سوريا » و « تاريخ الفلسفة العربية » أضف إلى ذلك كثيراً من المقالات والمحاضرات والأحاديث في الجلidas والأندية والإذاعة .

وهكذا كان له أكبر الفضل في تثقيف الأجيال المتعاقبة منذ نصف قرن وفي توجيه الحياة الفكرية وإشاعة الوعي الفلسفي بين المتعلمين .

- ١٧٧ -

(١٢) م

ولاشك في أن تجاربه الطويلة في التعليم قد كشفت له عن أهمية المصطلحات العلمية والفلسفية وأثرها في الفهم والتفاهم . ذلك أن الطلاب الذين يقرأون النصوص الفلسفية من دون أن تشرح لهم ألفاظها يصعب عليهم فهم معانها فيقتصرن على ترداد الألفاظ الفارغة كالبيغواوات وبالتالي يحمدون تفكيرهم وتحجرون عقولهم . كذلك في المجتمع لا سبيل إلى التفاهم بين الناس إذا هم لم يتكلموا « بلغة واحدة » أي : إذا لم تكون الألفاظ التي يستخدمونها دالة على معانٍ واحدة ، محددة تحديداً واضحاً .

ومن المعروف أن لكل علم لغة فنية خاصة تعتمد على مصطلحات متفق عليها . ويشترط في هذه المصطلحات أن تكون ألفاظها مطابقة للمعاني المقصودة ، وأن لا يستعمل اللفظ إلا فيما وضعت له ، فلا يعبر عن المعنى الواحد إلا بلفظ واحد . على أن في اللغة العربية ، كما في غيرها ، ألفاظاً كثيرة متباعدة ومتقدمة ومتراوحة ، وربما وجدت فيها ألفاظ مختلفة دالة على معانٍ متقاربة . وهذه المرونة في دلالة الألفاظ ، رغم فائدتها ، لا تخلي في بعض الأحيان من الالتباس والإشكال .

وإذا كنا نفاخر بأن اللغة العربية قد استطاعت في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية أن تستوعب الفلسفة اليونانية وأن تضع المفاهيم الفلسفية مصطلحات عربية ، في حين عجزت اللغات الأوروبية الحديثة عن ذلك وأخضطرت إلى اقتباس المصطلحات اليونانية ، فلا نفس أن بعض المفاهيم القدمة قد تبدلت وأن هناك كثيراً من الموضوعات والمعاني الجديدة التي تحتاج إلى ألفاظ تعبّر عنها .

وقد دأب الدكتور جميل صليبا ، منذ سنِّ حداثته ، كما يقول ، على ترجمة المصطلحات الفلسفية من الفرنسية مستعيناً بالألفاظ التي يجدها في

مؤلفات الفلاسفة العرب . وهكذا نراه يلحق بكتابه « علم النفس » في طبعته الأولى (سنة ١٩٣٦) فهرساً للألفاظ الفلسفية يشتمل على ما يقارب (٣٦٠) كلمة قد احتفظ الآن بعضها في معجمه .

ومن الطريف أنه في مقابل لفظة (Raisonnement) أي الاستدلال في المعجم كان ذكر في الفهرس لفظة (محاكمة) ، وذلك حسباً تعاملناها من آنساتذتنا في سوريا إذ ذلك الذين نقلوها عن اللغة التركية - العثمانية . وكان المؤلفون الأتراك - العثمانيون يعتمدون في وضع المصطلحات العلمية عامة والفلسفية خاصة على اللغة العربية ، ولكنهم كانوا في الغالب يتصرفون بالألفاظ وصيغ تكوينها ومعانها . وقد أطلقوا لفظة (محاكمة) على العملية الفكرية التي تنظر في الأدلة وتصدر الحكم . كذلك اقتبسنا عنها لفظة (فرضية) مقابل (Hypothèse) .

وقد تمسك الدكتور صليبا بهذه اللفظة في المعجم على الرغم من أن بجمع اللغة العربية في مصر وضع عوضاً عنها كلمة (فرض) التي يريد الدكتور صليبا إطلاقها على مفهوم (التجويز العقلي) بوجه عام مقابل كلمة (Supposition) بينما يختص اصطلاح (فرضية) من جهة الأوليات والمسئيات التي يستند إليها العالم الرياضي في البرهان . ومن جهة أخرى لافتيرات المؤقة لحوادث الطبيعة في العلوم التجريبية .

وهنالك مصطلحات أخرى في الفهرس قد استبدل بها غيرها في المعجم مثل (المختمية) عوضاً عن (مذهب التقىد) ، ولفظة (المثالية) محل (المذهب الخيمي) ، و (الماصدق) مكان (الشمول) = (Extension) .

وقد استمر الدكتور صليبا بعد إصدار كتابه (علم النفس) في التنقيب

عن المصطلحات الفلسفية ودراسة مدلولاتها ، كما شارك في وضع عدد كبير منها ؛ ثم أخذ ينشر تلك المصطلحات تباعاً في هذه الجلة فلقيت استحساناً عظيمـاً وظل القراء يتذمرون بفارغ الصبر إقامـها وإخـراجـها في شـكل كتاب .

يشرح لنا الدكتور جميل صليبا في مقدمة كتابه القواعد الأربع التي يجب اتباعها عند وضع المصطلحات المثلية وهي :

أولاً: البحث في الكتب العربية القدمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المقصود. مثال ذلك لفظ (جوهر) الذي يطلق على ماءدل عليه اليوم كلمة (Substance)، أو لفظ (المقولات) مقابل (Categories) التي ترجمها العرب عن اليونانية، في حين اقتبسها الأوروبيون كما هي. ويمكن أن نجد أمثلة هذين المصطلحين في المعاجم القدمة الخاصة مثل (تعريفات الجرجاني) و (كليات أبي البقاء) و (كتاب اصطلاحات الفنون للبهانوي) بالإضافة إلى كتب الفلسفه العرب.

ثانياً : إذا عرنا على لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث فإنه يمكننا استخدامه بعد تبديل معناه قليلاً وتحديده تحديداً جديداً . وينذكر الدكتور صليباً مثالاً على ذلك لفظة (الحدس) مقابل . (Intuition)

ثالثاً : اشتقاق لفظ جديد لمعنى جديد مثل لفظة (استبطان) للدلالة على التأمل الباطني (Introspection) ، ولفظة « الموضعية » مقابل (Objectivité) بمعنى مسلك الذهن الذي يرى الأشياء على ما هي عليه ، فلا يشوّهها بنظرية ضيقية أو يتجزّر خاص .

رابعاً : تعرّب المفهوم الأجنبي مثل الكلمة (ديموقراطية) . ويعكّن

أن نذكر أيضاً كلمة (ايديولوجية) التي لم ترد في معجم الدكتور صليبا الذي يedo أنه لا يميل مبدئياً إلى التعرّف ، ولذلك فضل مثلاً استخدام كلمة (العرفانية) عوضاً عن (الغنوسيّة) (Gnosticisme) المذكورة في معجم المصطلحات الفلسفية لجمع اللغة العربية في مصر .

إن معجم الدكتور جميل صليبا الذي يقع في مجلدين كبيرين يمتاز على المعاجم الفلسفية القليلة الموجودة بين أيدي الناس بأنه ، من جهة ، يشتمل على عدد أكبر من المصطلحات ، وأنه ، من جهة ثانية ، لا يكتفي بوضع كلمات في تعريف المصطلح بل يتسع في شرح كل لفظ فيرجع إلى أصله في اللغة ويشتت إلى جانبه ما يقابلها من الألفاظ الفرنسية والإإنكليزية واللاتينية ، ثم يستعرض المعاني الخاصة التي يدل عليها في الفلسفة القدية أو في مختلف المذاهب من الفلسفة الحديثة ، ويورد نصوصاً فلسفية قديمة وحديثة تبين وجوده استعمال كل مصطلح .. وإذا لاحظنا أن اصطلاح (جدل) مثلاً أو (عقل) أو (وجود) أو (علة) أو (طبيعة) أو (اشتراكية) يختلف معناه اختلافاً كبيراً عند الفلاسفة القدماء وفلاسفة القرون الوسطى والمفكرين العرب وعند كل واحد من أصحاب المدارس الحديثة من (ديكارت) إلى (كنت) ومن (هيغل) إلى (سارت) و (هайдغر) ، إذا لاحظنا ذلك ندرك السبب الذي دفع الدكتور صليبا إلى أن يخصص صفحات عديدة لتفسير هذه المصطلحات وبيان معانيها الكثيرة المختلفة . وهكذا جاء كتابه أقرب إلى الموسوعات الفلسفية منه إلى مجرد معجم ألفاظ .

وقد تقيد الدكتور جميل صليبا ، على وجه العموم ، بالتفسير الموضوعي لكل لفظ . إلا أنه لم يستطع أحياناً ، كما يعترف في المقدمة ، أن يتنع عن إبداء بعض التفسيرات الذاتية المتفقة مع وجهة نظره الخاصة . وهذا

طبيعي في الموضوعات الفلسفية التي تتصل بأهم القضايا الكونية والمشاكل البشرية والتي يصعب إصدار أحكام نهائية مطلقة فيها. وما يزيد في صعوبة المصطلحات الفلسفية أن المعاني التي يراد التعبير عنها تتصف بالإحاطة والشمول، وتتضمن فروقاً دقيقة، وفيها احتفالت كثيرة لكل قضية.

وفيما يتعلق بالمصطلحات الفلسفية في اللغة العربية فإن الحاجة ما زالت ماسة إلى البحث والاجتياز وإعادة النظر دوماً في النتائج التي نصل إليها والتي لا بد أن تكون مؤقتة قابلة للتتعديل والتبدل. لذلك لم يتردد الدكتور جميل صليبا في مخالفة بعض المصطلحات التي أقرها جمع اللغة العربية في مصر مثل ترجمة كلمة (emotion) بلفظ (الانفعال). وهو يقول: إن هذه الترجمة لا تخلي من الالتباس، لأن الانفعال لفظ عام يشمل الحساسية واللذة والألم والعاطفة والميل والهوى في حين أن كلمة (emotion) يقصد بها الحالات المفاجئة من غضب وخوف وخجل وما أشبه ذلك، ويفضل أن تترجم بلفظ (هيجان). ثم إن معجم جمع اللغة العربية يستخدم لفظة (انفعال) أيضاً مقابل لفظة (passion) التي يترجمها الدكتور صليبا بكلمة (هوى). كذلك كلمة (axiome) التي وضع جمع اللغة العربية مقابلها كلمة (مبدأ) قد استعمل الدكتور صليبا في ترجمتها لفظة (بدائية).

ومن الغريب أن نجد ترجمة لفظي (deduction) و (inférence) بصورة معكوسية، فالأولى تقابل في مصطلحات مجمع اللغة العربية كلمة (استنباط)، والثانية كلمة (استنتاج)، بينما الأمر على عكس ذلك في معجم الدكتور صليبا. وفي الواقع فإن الألفاظ (استنباط) و (استنتاج) و (استدلال) و (قياس) متقاربة جديداً في معانها. لذلك لا بد من الاتفاق على تحديد كل واحدة بمصطلح معين. كذلك يجب الاتفاق

على ترجمة كلمتي (essence) و (substance) اللتين تقابلان في المعاجم المتدالوة لفظتي (جوهر) و (ذات) أو بالعكس .

ومما يكن الأمر فإن معجم الدكتور جميل صليبا يعتبر إنجازاً قيماً وخطوة هامة في سبيل وضع المصطلحات العلمية التي تحتاج إليها اللغة العربية في الوقت الحاضر ، ونحن على يقين بأن هذا المعجم الفلسفى سوف يشير اهتمام الباحثين والدارسين ويساعدهم على متابعة جهودهم .

محمد كامل عياد

دمشق

الشاب الظريف

تأليف الدكتور زكي المحسني

١٩٧٦ صفحة من القطع المتوسط - دمشق

الدكتور عدنان الخطيب

أديب دمشق الراحل الدكتور زكي المحسني غني ، بأدبه الرفيع وشهرته الواسعة في مختلف الأقطار العربية ، عن أي تعريف . لقد دفع إلى التشر في أوائل سنة ١٩٧٢ كتاباً له عن « الشاب الظريف » وهو لا يعرف أن موعده مع القدر كان قريباً . لقد انتقل إلى الرفيق الأعلى قبل أن يشهد كتابه مطبوعاً ، وقبل أن يقدمه لقارئه كما عودهم . لقد فاته تقديم الكتاب ، غير أنه كتب لمحه موجزة عن حياته فألحقتها الناشر بما طبع . عدد الدكتور المحسني في ترجمته لنفسه الأعمال التي تولاها ، مشيراً إلى أن آخرها كان أستاذآ محاضراً للأدب بكلية الآداب والتربية في الجامعة اللبنانية منذ عام ١٩٦٦ إلى آخر عام ١٩٦٩ م .

وقال الدكتور المحسني ، وهو يترجم لنفسه : نشرت من الآثار الأدبية المطبوعة ما يأتي :

١٦ - « الشاب الظريف » بالدراسة والتاريخي الأدبي - محاضرات في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية ١٩٦٩ / ١٩٧٠ - إصدار المكتبة العباسية بدمشق لعام ١٩٧٣ .

وهكذا عرفنا أن كتاب « الشاب الظريف » يضم مجموعة محاضرات ألقىت في كلية الآداب اللبنانية عام ١٩٦٩ ، وكان مقدراً له الصدور في عام ١٩٧٣ ، غير أنه صدر في نهاية عام ١٩٧٢ بعد وفاة المؤلف رحمه الله .

- ١٨٤ -

لقد اشتهر الدكتور المحسني بعربيه مشرقة وبأسلوب رصين ، ينتقي الأفاظه انتقاءً يدل على سعة اطلاع وذوق جمالي عميق . وبهذا الأسلوب الذي تعودناه من المؤلف بدأ محاضراته عن عصر الشاب الظريف شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان التلمساني الذي ولد - على حد تعبيره : « ودنيا العرب تعج بالأحداث الجسام ، في السياسة المروعة والغلاب المستديم » فقد كانت جراحات بغداد لا تزال دائمة ، وقد وضع العفاء ميامي السود عليها بعد أن غربت عنها شمس بنى العباس . ولم تكن سائر البلاد العربية أحسن حالاً وبخاصة مصر إذ كثُر فيها الظلم وعظم الجور ، إلى أن آل حكمها إلى الملك الظاهر بيبرس البندقداري الذي كان يرعى الحرم ، وبيني المدارس ، ويشجع رجال العلم ، وكانت ولادة الشاب الظريف في عهده بصر سنة ٦٦١ ، ثم مات في عنفوان شبابه وله من العمر سبعة وعشرون ربيعاً .

ويحدثنا المؤلف بعدها عن الحياة الفكرية في ذلك العصر ، والأسباب الداعية إلى وصف المؤرخين له مع عصور تلته بالانحطاط ، ويعقب على ذلك بالكلام عن الحياة الأدبية ، متمثلًا بما يعطي صورة واضحة عنها ، مشيراً إلى ما اعتبر تلك الحياة من أدوات مبيرة أفسدت حلاوة الشعر العربي يادخال الألغاز والأحاجي فيه ، كما أفسدت رواء اللغة بالتزام السبع قاترة وبإكثار من المحننات الفوضية تارة أخرى .

وخص المؤلف الفصل الثاني من كتابه بالكلام عن الشاب الظريف في عصره ، محدداً شخصيته ، مبيناً نشأته ، متجرياً عن ثقافته ومصادرها ، مخططاً للنهج الذي يجب أن يسلكه لدراسة الشاعر من آثاره الباقيه .

وفي الفصل الثالث درس المؤلف ما وصل إلينا من شعر الشاب الظريف وبين براعته في الصناعات البدوية في كل من غزله ومدحه ووصفه ، معدداً

ما تفرد به من ضروب الصور والتشبيهات ، متناولاً بالتحليل والنقد الفنون التي طرقها في شعره ، ثم أنهى الكتاب بفصل حوى منتخبات من هذا الشعر.

إن محاضرات الدكتور زكي المحسني عن الشاب الظريف ، ليست موفقة في اختيار موضوعها وطريقة عرض مباحثها فحسب ، بل إنها لصورة رائعة تحمل طابع مؤلفها الفذ بلغته ابتسنة وألفاظه الجزلة ، وهي تمثل في أسلوبها حيوية وقدفقة في الحديث الممتع الدال على سعة ثقافته العربية والأجنبية ، وتطلعه الدائم إلى حمل سامعه على مشاركته في التمتع بلذة المقارنات الأدبية الرفيعة .

رحم الله الدكتور زكي المحسني بما أسداه للعربية من خدمات جلائى ، وحفظ الله زوجته الكريمة الأديبة الكبيرة السيدة وداد السكافيني ، ووقفها لإتمام ما شرعت به من نشر ماتركه فقيد الأدب الراحل من آثار أدركه الموت قبل أن يتمكن من دفعها لطبع .

عدنان الخطيب

كتاب الرياضيات لطلاب
كلية العلوم الاقتصادية

الأستاذ وحـيـه السـيـان

أهدت جامعة حلب ، مشكورة ، بعض الكتب العالمية من مطبوعاتها إلى بجمع اللغة العربية ، وهي تبحث في العلوم الرياضية والفيزياء والهندسة الكهربائية .

فاما كتب الرياضيات فهي مجموعة مؤلفة من أربعة أجزاء يدرسها طلاب السنة الأولى في كلية العلوم الاقتصادية للدكتور عبد القادر الأفندي وكتاب في الجبر والتحليل للصف الإعدادي العام ، للأستاذ أحمد علوظي .
وكتب العلوم الأخرى هي : كتاب في القياسات الكهربائية ، وكتاب في الميكانيك الفيزيائي ، وقد أفردنا لكل من هذين باباً خاصاً من الملاحظات .

أما كتب الرياضيات فقد لفت نظرنا عند تصفحها ما يلي :

في المجموعة الأولى :

١ - Fonction Hyperbolique : تابع قطعي . ومن المعلوم أن المنحنيات من الدرجة الثانية التي تتجسد عن قطع السطح الخروطي الدائري بحسب يمكن أن تكون قطعاً زائداً ، وهو المقصود هنا ، أو قطعاً مكافئاً Parabole ، أو قطعاً ناقصاً Ellipse ، أو دائرة Cercle ، أو أن تكون مجرد مستقيمين متقطعين في ذروة الخروط .

فإذا اقتصرنا على الإشارة إلى المنحنى الأول بكلمة قطع فقط تكون

قد أدخلنا التباساً أكيداً على تعريفنا . وإذا كان الدافع إلى ذلك هو التخلص من المصطلح المركب ، وهو القطع الزائد ، لعدم إمكان إضافته ، فالأولى أن نختصره بقولنا الزائد ، ويصبح التابع الذي تكلم عنه هو التابع الزائدي لا التابع القطعي . وكذلك شأن الخطوط المثلثية القطعية التي وردت : جيب قطعي ، جيب تمام قطعي ، ظل قطعي ، يفضل أن تسمى بالجيب الزائدي ، تمام الجيب الزائدي ...

٢ - Fonction Implicite : ترجم بتابع مستتر ، والأولى أن يترجم بالتتابع الضمني ،عكس التابع الصريح الذي هو Fonction Explicite

٣ - Binôme de Newton : ترجم بثنائي نيوتن ، وقد درجت تسمية Binôme بذى الحدين لا بالثنائي .

٤ - Chainette : ترجمت بالسلسلة ، والأفضل أن تسمى السلسلة على وجه التصغير ، لأن السلسلة هي Chaîne .

٥ - Nombre Opposé : ترجم بعدد متناظر ، ولا مجال هنا لتسميته بمتناظر ، ولو قيل المتناظر لكان له وجه من الصواب ، والأفضل أن يسمى بالعدد المقابل .

٦ - Différence : ترجم بالفضل ، والأفضل هو أن يترجم بالفرق .

٧ - Puissance : ترجمت بالقوة ، والأفضل أن تسمى: الأُس ، لكيلا تختلط بكلمة Force .

٨ - Restriction : ترجمت بقصور ، ويفضل أن تترجم بقييد أو تقنين ، أو حصر ، أو تحديد .

في كتاب الخبر والتحليل :

- ١ - Implicit : ترجم بظاهري ، وقد ذكرنا أنه ترجم في كتب الدكتور عبد القادر الأفendi بمشتر ، واقتربنا أن يسمى : ضئي .
- ٢ - Module : ترجم بطويلة ، وأعلم أنها شانعة الاستعمال عند بعض الأساتذة ، وقد سميتا (شخصياً) الطول ، وأتنى أن يجد لها أساتذة الرياضيات مقابلاً أحسن من هذا .

القياسات الكهربائية وأجهزتها

لطلاب السنة الثالثة من كلية الهندسة (فرع الكهرباء) بجامعة حلب
تأليف الأستاذ ميشيل منصور

يقع هذا الكتاب في ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير . وهو يعالج دراسة أجهزة القياس الكهربائية وطرائق استعمالها ومبادئ القياس فيها . وتشمل هذه الأبحاث القياسية شدة التيار الكهربائي وكمونه (توتره) وذبذبته ، وعلى التفريغ الكهربائي والتدفق المغناطيسي ، وعلى قياس المقاومة الكهربائية والاستطاعة الكهربائية في التيارات المستمرة والمتناوبة ، بما في ذلك الاستطاعة الفعلية والتفاعلية - الردية (ويسمى المؤلف بالرد فعلية) .

ثم يدرس الكتاب قياس المقاومة والطور والتواتر (ويسمى المؤلف بالتردد) والتوافت ، وعامل الاستطاعة ، ويدرس أجهزة القياس العائنة لكل ذلك .

ثم ينتقل إلى أجهزة قياس التحرير المغناطيسي والمقادير المغناطيسية والتضييع وأجهزة القياس ذات المغناطيسية الحديدية .

وفي الختام يتكلم المؤلف عن المحوّلات التي تستعمل في عمليات القياس المختلفة .

والكتاب محرر بلغة سهلة واضحة ومطبوع طبعاً جيداً ، وهو ثمرة جديدة تضاف إلى المكتبة العلمية العربية ، ويشاهد المطالع ما بذله المؤلف من جهد في تأليفه .

والذي استرعى انتباهي في هذا الكتاب أن المصطلحات المستعملة فيه لم توضع على نظام واحد . فأسماء أجهزة القياس (وهي في أغلب الأحيان أسماء مركبة) جاءت أحياناً معرية كلها مثل :

الفولتمتر Voltmètre

الفلفافومتر Galvanomètre

البرميامتر Perméamètre

الميغومتر Megohmètre

الواطمر Wattmètre

اللوغومتر Logomètre

الأميرمر Ampermètre ٠٠٠ . الخ

وجاءت أحياناً في هيئة مصطلحات عربية على وزن مفعّل مثل :

مصفاح : Phasemètre

مرداد : Fréquencemètre

مدقاق : Fluxmètre

وجاءت حيناً آخر على وزن مُفعّل مثل :

موقعت : Chronomètre

وفي رأيي أن بالإمكان اتباع قاعدة واحدة في تسمية أجهزة القياس .
لقد كان المجمع اللغوي في القاهرة قد وضع قواعد لتسمية مثل هذه الأجهزة . فالي تنتهي بالكاسعة Mètre تسمى على وزن مفعول ، والتي تنتهي بالكاسعة Scope تسمى على وزن مفعوال ، والتي تنتهي بالكاسعة Graphe تسمى على وزن مفعلة . وقد بينت في عدة مناسبات أن هذه القواعد لا تصلح للتطبيق العام لأنه ليس في هذه الأوزان ما يدل على وظيفة الجهاز كا هو وارد في الكاسعة الأجنبية ، ولأنها تؤدي أحياناً إلى استحالات ، إذا كان اسم الظاهرة التي يراد قياسها أو كشفها أو تسجيلها مركباً مثل :

Electrodynamomètre

ويتعذر أحياناً تطبيق أسماء الأعلام مثل أمير وواط لكي تشتق منها أسماء آلات القياس ، فنقول مثلاً من أجل Ampèremetre وموط من أجل Voltmètre وميلاط من أجل Wattmètre .

وفي رأيي أن أحسن طريقة لتسمية هذه الآلات هي التي جربنا عليها في جامعة دمشق واقتصرت في مؤتمر التعرّب في الجزائر عام ١٩٧٣ وتلخص كما يلي :

تكون أسماء الأجهزة مؤلفة من اسمين مضافين إلى بعضها .
فاما المضاف :

١ — فهو كلمة مقياس من أجل أجهزة القياس ، وهي التي تنتهي بالكاسعة ، فنقول مثلاً مقياس الأمير ل mètre .

٢ — كلمة مرسام أو راسم من أجل أجهزة الرسم أو التسجيل ، وهي التي تنتهي بالكاسعة Graphe ، فنقول مثلاً : مرسام الطيف أو راسم الطيف الكلمة Spectrographe .

ـ - كلمة مكشاف أو كاشف من أجل أجهزة الكشف ، وهي تنتهي بالكلامحة Scope ، فنقول مثلاً : مكشاف الطيف أو كاشف الطيف لكلمة Spectroscope .

وبذلك نضمن التوحيد في تسمية الأجهزة التي تعمـل لنوع واحد من الخدمات ، مع ضمان الدلالة على وظيفة هذه الأجهزة .

ويكون المضاف إليه هو الاسم العلمي الذي سميت به واحدة القياس مثل مقياس الأمبير ، مقياس الفولت ... أو اسم الظاهرة كالتدفق أو التواتر أو شدة الضوء ، الخ ...

هذا وهناك ملاحظات على بعض المصطلحات الأخرى ، فالمؤلف يسمى جهاز phasemètre بالصفاح على أساس تسميته Phase صفحة تارة ، وطوراً تارة أخرى ، وقد درج استعمال المصفاح للدلالة على الآلة التي تحمل المعادن إلى صفائح وهي Laminoir ، أما الجهاز الذي نحن بصدده فتسميه وفق القواعد السابقة بقياس الطور .

وعرب المؤلف الجهاز الكاشف للتواتر فـماه سنكروفوسكوب ، ولا حاجة لنا بهذا التعريب لأننا وفقاً لقاعدة تسمية كاشف التواتر ، كذلك نسمي الروتور Rotor بالدوّار .

وأما تسميتها لـ Bande passante بالشريط الساري ، فأفضل أن يستعمل لها كلمة النافذ بدلاً من الساري .

وفي جامعة دمشق ، وفي كتب التعليم الثانوي المقررة ، يسمى التردد بالتواء ، تجنبأ لما في كلمة التردد من تردد ، وإن كان هذا المصطلح شائعاً بسبب تفضيل القطر المصري له .

وكذلك نجد أن أسماء عدة أجهزة يمكن أن يستبدل بها أحسن

منها ، وهي :

موقت : Chronomètre : مقياس الزمن

مدفأق : Fluxmètre : مقياس التدفق

غوصتمتر : Gaussmètre : مقياس الغوص

فارمتر : Varmètre : مقياس الفار (مقياس فولت امير الردي)

واطمر : Wattmètre : مقياس الواط

ونرى أن المؤلف قد ترجم Wattheuremêtre بعداد الطاقة الفعلية

ولم يعرّبه تعریباً .

أما ميفومتر وقد وردت Mègohmètre فينبغي أن تكتب بـ m

مضاعفة ونترجمها بـ مقياس المقاومة العالية أو مقياس الميغوم .

وقد عرب برمامتر Perméamètre تعریباً وكان الأولى تسميتها

حسب القاعدة بـ مقياس النفوذية .

الميكانيك الفيزيائي

من منشورات كلية العلوم في جامعة حلب

تأليف الدكتور حسن سمات

أعد هذا الكتاب لطلاب شهادة الميكانيك الفيزيائي والاهتزازات ،
وهو يقع في ٤٣٠ صفحة من القطع الكبير الذي تنشر فيه جامعة حلب
كتبها الجامعية . ويعالج المواضيع التالية :

حركة النقطة المادية والجسم الصلب – القوانين العامة في تحريك
النقطة المادية .

الحقن المركزي والنظريات العامة في تحريك الجمل المادية .

م (١٣)

مجموعة النقط المقيدة ، عزم العطالة وتحريك الجسم الصلب .
حركة الكتل المتغيرة ، الاصطدام – المبادئ الأساسية للنظرية النسبية ،
ميكانيك النظرية النسبية .

حركة جسم مشحون في حقل كهرومغناطيسي – المرونة – المواد المرنة .
ميكانيك الموائع .

وفي ذيل الكتاب معجم صغير بالمصطلحات العلمية التي استعملت فيه .

وقد عرضت مواضيعه عرضاً واضحاً وطبع طبعاً جيداً ، وجاءت
عناوين فصوله بالعربية والإنجليزية ، وحتى عنوان بعض فقراته وبعض
المصطلحات الواردة في داخل النص .

ومما يؤسف له أن الأخطاء المطبعية فيه كثيرة جداً ، ولا سيما في
الدساتير ، وقد عزا المؤلف ذلك إلى أسباب قاهرة ، وأورد في آخر
الكتاب جدولًا بتصحيح بعضها جاء في ٦ صفحات .

ومن دواعي المسرة أن يكون بين أيدي الطلاب كتب علمية ألفت
بالعربية يرجعون إليها في مطالعة دروسهم ، ولا سيما إذا ذكرنا الأيام
الخواли التي كان الطلاب ينسخون فيها الأتمالي التي كان يدها لهم الأستاذ .
فباركَتْ هذا الجهد الذي إذا هو استمر بعنانة أغنى المكتبة العلمية العربية
بزاد قيم من المؤلفات .

وقد أجلت النظر مليأً في معجم المصطلحات الذي أورده المؤلف
مرتبًا على العربية ثم على الانجليزية فرأيت فيه مالاغنى عن التعليق عليه .

لقد أورد المؤلف في قائمة مراجعه منشورات مكتب تنسيق التعرير
بالرباط ، ويبدو أنه قد استقى من معجم الفيزياء (الذي هو أحد هذه
المنشورات) استقاءً غزيراً ، ولم يخطر بياله أن هذا المعجم موّقت وأنه

ليس معجماً بالمعنى الصحيح ، بل هو مجموعة مصطلحات رتبها المكتب مما ورد عليه من مختلف الأقطار العربية ليقدمها إلى مؤتمر التعریب ليقوم بمناقشتها و اختيار الأصلح منها ، وهذا هو السر في أن المؤلف أورد أكثر من مرادف للمصطلح الواحد .

ومما يكن من أمر ، فإن الملاحظات التالية تستحق النظر :

١ - استعمل المؤلف مصطلحي : الذبذبة والاهتزاز بدون تفريق بينها ، فترجم Amplitude of Vibration بـ سعة الذبذبة و سعة الاهتزاز ثم ترجم Center of Oscillation بـ مركز التذبذب و Damped Vibrations بالاهتزازات المخادمة ، ثم عاد فترجم Free Vibrations بالذبذبات الحرة والاهتزازات الحرة . وترجم Natural Vibration بالاهتزازة الطبيعية و Steady-State Oscillation بالذبذبة المستقرة .

فهو تارة يجعل الذبذبة والاهتزاز متادفين ، وتارة يخصص الذبذبة لـ Oscillation والاهتزاز لـ Vibration .

ولما كان ينبغي التفريق بين هذين المصطلحين وتخصيص كل منها بمعنى واحد ، فإن كلمة vibration تقييد الاهتزاز السريع مثل ذبذبة الأوتار والصفائح ، فإن من المقول ترجمتها بالذبذبة وترك الاهتزاز لـ Oscillation مثل اهتزازات النواس .

٢ - استعمل المؤلف كلمة جيد لترجمة potential في مصطلح سطوح تساوي الجهد ، مع العلم بأنها تسمى في سورية بسطوح تساوي الكون ، وهو قد استعمل الكلمة الكون لنفس المصطلح في مكان آخر حيث سمى potential Energy بالطاقة الكامنة .

ومن أمثلة التشويش الذي تقع فيه المصطلحات عندما يعتمد الإنسان

على مجموعة كمجموعة مكتب الترجم ، أنه وضع مقابل كلمة Flux : فيض ، تدفق ، سيل . والمصطلح المتفق عليه في سورية هو التدفق . وكذلك استعماله المصطلحي : القوة المركزية الطاردة والقوة المركزية الجاذبة ل Centripetal force و Centrifugal force ، وهم تسميان عندنا بالقوة النابذة والقوة الجاذبة .

واستعمل التردد بدلاً من التواتر ، والقصور بدلاً من العطالة ، وترجم بصلة بدلاً من التزويف Coupling .

وترجم Interplanetary space بفضاء النجوم و Interstellar space بفضاء الكواكب ، وكان ينبغي أن يقول : الكواكب السيارة ، وإلا فإن الكواكب معناها كمعنى النجوم .

وترجم Normal Line بالخط العمودي ، وتعلمنا الهندسة أن الخط العمودي ليس مطلقاً وإنما هو عمود على خط آخر ، وربما كان يقصد الناظمي .

وترجم Rest Mass بكتلة السكون على وجه الإضافة والأفضل أن يأتي السكون صفة فيقال : الكتلة السكونية لثلا يظن أن للسكون بحد ذاته كتلة .

وترجم Pendulum ببندول ونواس (وهذه أنت ولا ريب من معجم مكتب الترجم) ولدينا في العربية بدلاً من البندول : النواس وارقص والخطار .

وكذلك Vector بتجه وشماع ومتوجه . ولا تعني كثرة المصطلحات المتراوحة غنى وإنما هي تسب الفوضى .

وترجم Fluid بالمائع و Liquid بالسائل ، ثم عاد فترجم Fluid بالسائل في بداية الفصل ١٣ .

هذه ملاحظات خطرت لي من تصفع سريع للكتاب ، وقد زادتني تحمساً للسعى في توحيد المصطلحات ل الخروج من هذا الاضطراب الذي نحن فيه .

وجيه السمان

آراء وأنباء

تصحيح لفظة في «تهدیب اللغة»
(ناتق) لا (فاتق)

الأستاذ محمد بهجة الأثري

قرأت ، في (ص ١٥٧ - ١٦٣) من مجلد التاسع والأربعين من هذه المجلة الخالدة الزهراء ، نقداً ل تحقيق الجزء العاشر من «تاج العروس» الذي تصدره وزارة الإعلام بـ «الكُوَيْت» ، وعلاقتي بما قرأت علاقة قارئ مستفيد ، فحمدت الناقد الفاضل إخلاصه للغة «الفُرْقان» العزيز ، وجدّه في محاولة طلب الصِّحة وارتياد الصواب ؛ واستحسن منهجه «النظري» في دعوة المحقق أن يحقق النّص المغوي بالعودة إلى الأصول ، لأنّها أدعى إلى التوثيق في التّحقيق العلمي» ، وذلك حق لا ريب فيه ولا ينزع فيه اثنان .

وقد أخذ الناقد على تحقيق هذا الجزء من «تاج العروس» خمسة عشر مأخذأً قريراً ، بعضه - فيما أرى - غير وارد ، وبعض آخر منه متوجّلاً فيه ، يتطلب من الناقد فضل أناة وصبراً على تمحيص ما كتب ومراجعته قبل إرساله عفو الحاطر . والحقيقة للشيء قبل الهجوم عليه أدعي إلى السلامة ، وأنّي بصاحبه عن مزالق الزمل .

وأقف من هذا النّقد عند أظهر ما أنكرته منه ، وهو ما لاحظه الناقد في (ص ١٥٩) على نصٍ في «تاج العروس» ، وردت فيه لفظة لغوية خطأها وهي صحيحة سليمة ، فأزال الحقيقة الثابتة لها عن نصابها المستقر» ، وأحلَّ غيرها فيه من غير حق ثابت لها .

والنص هو : « قال ابن الكلبي : كانت « عاد » تسمى المُحرَّمَ مؤترًا ، وصَفِيرَ ناجراً ، ورمضانَ فاتقاً ».

فقال الناقد ، من غير تثبت : « والصواب : ورمضانَ فاتقاً ، بالفاء ».

وشاء أن يقصد تصويبه بـ « نص » من « تهذيب اللغة » ، فأضاف قائلاً :

« ورد في تهذيب اللغة ٢٦٩/١٥ : ابن السكريت ، قال ابن الكلبي » : كانت عاد تسمى المُحرَّمَ مؤترًا .. ورمضانَ فاتقاً ».

وليس هذا سبيل تصحیح هذه الفظة ؛ لأن هذا النص نص عارض بالنسبة إلى « فاتق » ، وليس أصلًا له . هذا إلى أن « فاتقاً » فيه ، مصحف ، ما في ذلك ريب . وقد جاز تصحیحه - مع الأسف - على محقق « التهذيب » ، كما جاز على الناقد فانساق بحسن ظنه فيه إلى ورطته ، فصَفِيرَ به الصواب خطأً واحتداً حواياً !

إنما سبيل تصحیحه أن يرجع إلى مادته ، أي أصله اللغوي » ، وهو ما دعا إليه الناقد نفسه ولكنها لم يعمل به . وأصله هو (ن/ت/ق) ، وليس (أ / م / ر) . فلو رجع إليه لوجد ما خطأه هو الصحيح ، وما توهمه صحيحاً هو الخطأ بعينه .

وفي « تهذيب اللغة » الذي اعتمد عليه الناقد في نقله ذاك ، ٦٣/٩ : « وأنتق : حام فاتقاً ، وهو شهر رمضان ».

ولن يجد أحد في معاجم اللغة « فاتقاً » بالفاء اسمًا قد يألفها رمضان في دهر « عاد » ، ولو نقبت عنه في الدواوين دهرًا سرداً . ولا أثقل هذه الكلمة برواية نصوص المعاجم - وهي عشرات ، وفيها تفصيل أمده مما في « تهذيب اللغة » - فإنشئها من كل يد على طرف الشمام . وتحياتي للسيد الأستاذ برهان صديق ، وتقديرني لحبه وإخلاصه للغة « الفُرقان ».

محمد بهجة الأثري

بغداد

تحقيقـات لـفـوـيـة

السمسرة والسمسار في اللغة والقانون

كان السيد وزير التموين والتجارة الداخلية بعث إلى مجمع اللغة العربية بكتاب مؤرخ في ١٩٧٤/٨/٢٧ يطلب فيه بيان الرأي في عربية الكلمة « سمسرة وسمسار » وما إذا كان هفيداً استبدالها في نصوص قانون التجارة تليية للتمس بعض التجار، أو غير مفيد.

وأحال الكتاب إلى الدكتور عدنان الخطيب قائب رئيس المجمع، فأجاب عليه ببحث أبلغ إلى السيد الوزير. وفيما يلي نص الجواب:

الأستاذ الرئيس

تضمن كتاب وزير التموين والتجارة الداخلية عدداً من المسائل يمكن الإجابة عليها في البنود التالية :

أولاً : مدى صحة استعمال لفظي سمار وسمسرة لفويما

السمار : كلمة معجمية (مؤشراً بهاء ، وتحمّل على سمسرة ، الفعل منها : سسر ، والمصدر : السمسرة ، ويطلق على الحرفة وعلى مقابل الاعتاب فيها) ، وردت في الأمهات ، ولم يغفلها إلا الصغير من المعجمات أو المتردمت منها^(١) ، كما أثبتتها « المعجم الوسيط » معجم مجمع اللغة العربية.

(١) ألغى كل من الجوهرى في صحاحه وابن فارس في مقاييسه كلمة سمار في مادتها ، ولكن الأول ذكرها في مادة سفر .

إن الكلمة في أصلها معربة قدماً عن لفظة « سبب سار » الفارسية ، ويقول علماء في اللغات القديمة إنها موجودة في اللغة الآرامية ، وقد شاعت بين العرب ووردت في الشعر الجاهلي ، قال الأعشى :

فأصبحت لا أستطيع الكلام سوى أن أراجع سمسارها

إن كلمة « سمار » في معاجم اللغة تدل على : « ذلك الذي يتوسط بين البائع والمشتري لإمساء البيع » ويطلق كثير من الناس على السمار اسم « الدلائل » وفي المعجم الوسيط : « سمسر فلان : توسط بين البائع والمشتري يجعله سماراً . والسمار : الوسيط بين البائع والمشتري لتسهيل الصفقة » .

هذا وللphrase « سمار » في المعجمات معانٍ أخرى تدور حول معناها الأصلي نفسه ، وأهم هذه المعاني إحلالها على من يبيع البر للناس ، يحلبه من بلاده ويبيعه لمن يحتاج إليه في الخضر أو البدو ، وجاء في حديث قيس بن أبي عروة : « كنا قوماً نسمى السمسرة بالمدينة في عهد رسول الله ﷺ ، فسمانا التجار » كما جاء عن ابن عباس ، رضي الله عنه ، أنه سُئل عن معنى الحديث : « لا يبع حاضر لباد » فقال : « لا يكون له سماراً » وعلق الفقهاء على هذا : أن المنيبي عنه : أن يأني البدوي البلدة ومعه قوت يغطي التسارع في بيعه ، فيقول له الخضرى : اتركه عندي لأن غالى لك في ثمنه .

ومن معاني كلمة « سمار » معنى مجازي ، أشارت إليه المعجمات العربية ، وهو المعنى نفسه الذي أشار إليه كتاب وزير التموين والتجارة الداخلية وإلى أن التجار إنما ينفرون من كلمتي « سمار وسمسراً » بسببهما ، مما جعلهم على المطالبة بإيجاد كلمتين عربيتين تحلان محلهما على أن يتم ذلك بتعديل النصوص القانونية النافذة .

ثانياً : الكلمات العربية التي تؤدي معنى «المسار»

إن انتشار كلمة سمار وشيوعها في مختلف الأقطار العربية ، دليل على أن العرب أحبوا جرس ما عربوه ففضلوه على الكلمات الأخرى التي تؤدي المعنى نفسه ولو كانت عربتها أصلية ، ولهذا ضعف استعمالها أو غلبت عليها معانٍ أخرى ، ومن هذه الكلمات :

١ - الدلائل . وهي كلمة عربية أصلية أطلقها العرب على من يجمع بين البيعين ، يدل المشتري على السائع ويدل البائع على الأثاث ،

والكلمة منتشرة وشائعة ذكرها عنترة العربي فقال :

حصاني كان دلائل المنايا فخاض غبارها وشرى وباعا
والاسم من المفظة الدلالة بالفتح وتطلق على حرف الدلائل ،
وبالكسر على الجعل المعين له .

وفي العصور الحديثة أي منذ الزمن الذي عرفت فيه البلاد العربية ما يسمى بالقوانين التجارية ، اكتسبت الكلمة « الدلال » معنى مولداً لم يرد في المعجمات القديمة ، ذكره المعجم الوسيط في معاني الكلمة فقال : « الدلائل » : من ينادي على السلعة لتباع بـ الممارسة (مو) » وهو معنى شائع ومعرف في القطر العربي السوري وغيره من الأقطار العربية .

٢ - السفير بالكسر : كلمة معجمية وردت في أهمات المعاجم يعني « الدلائل » قال الأزهري إنها معرية عن الفارسية ، وادعى بعضهم أنها معرية عن كلمة (سب سار) نفسها التي عربت بصيغة « سمار » وقال صاحب الألفاظ الفارسية : « يحتمل أن يكون أصل الكلمة آراميا ، مأخوذاً من فعل له معنى قتل

ودار » أما صاحب الألفاظ السريانية فيقول : إن الكلمة سريانية وهي فيها sapsiro ومعناها سمار وأصلها من فعل يعني ساوم .

إن للكلمة عدة معان على ما ذكر في المعجمات أنها أنها ترافق كلمة « سمار » وبه قسر الأصبعي قول النابغة : وقارفت وهي لم تجرب وباع لها من الفحافض بالنمسي سفير قال : باع لها واسترى لها سفير يعني السمار ، كذا في التبيذ والصحاح ، وعزرا ابن سيده هذا البيت إلى أوس ابن حجر .

٣ - الوسيط : وهي كلمة عامة ففي مادة « وسط » : وسط الشيء وتوسطه صار في وسطه ، ووسط الشيء : ما بين طرفيه ، ويقال : هو وسيط فيهم ، وال وسيط : الأوسط والمتوسط بين أي طرفين متناظرتين أو متلاقيتين ، وبين المتخاصمين : الساعي لصالحتهما ، وبين اليعين : العامل على إمضاء البيع .

ثالثاً : ما تردد في المعجمات الثانية اللغة

إن جميع المعاجم الثانية اللغة ، العربية مع الفرنسية أو الإنكليزية ، تردد في مقابل كلمتي courtage الفرنسية و broking الإنكليزية كلمات : المسمرة والواسطة والدلالة ، وبعضاً يضيف : « العمولة أو عمولة السمار » وكذلك تردد في مقابل كلمتي courtier الفرنسية و broker الإنكليزية كلمات : سمار وسيط ودلال .

رابعاً : شيوع كلمتي سمار ومسمرة في كثير من الأقطار العربية عرفت الأقطار العثمانية كلمتي « سمار ومسمرة » مصطلحين من

مصطلحات القانون التجاري مذ وضع العثمانيون سنة ١٢٦٦ هجرية «قانون التجارة العثماني» مقتبساً من نصوص تجارية أجنبية ، وشاعت اللفظتان في كتب القانون وفي قرارات المحاكم ولا سيما بعد أن صدر في ٢٦ أيلول سنة ١٣٠٤ رومية «نظام الدلائل والمسار» وترجم إلى العربية وأخذت المحاكم الأقطار العربية تطبقه في المنازعات التي تدور حول أحکامه .

خامساً : اختلاف مفهوم كلمتي سمسرة ومسار عن الأعمال الأخرى في النصوص القانونية

لقد تكفلت نصوص القانون التجاري بتنظيم الشؤون القانونية لكل من يتعاطى أعمالاً ملحقة بالأعمال التجارية ، كمن يقوم بأعمال البيع والشراء لحسابه الشخصي ، أو كالموظف الذي يقوم باجتذاب العملاء والتغليس عليهم ، أو كمن يعمل في التوسط بين طرفين حساب أحدهما ، أو كالوكيل بجعل ؛ بما يزيد رأي وزير التموين والتجارة الداخلية بعدم صحة استبدال أي اسم قانوني لأحد هؤلاء العاملين في الحقل التجاري بكلمة سمسار أو دلال .

سادساً : إعلان المسار عن أنفسهم

إن أكثر من يستغل بالسمسرة يعلن عن نفسه بأنه « وسيط تجاري أو عقاري » مبتعداً عن لفظة « سمار » ومثل هذا الإعلان لا يجافي القانون ما دامت نفوس المساررة والتجار تطمئن إليه لأن النصوص القانونية النافذة تقره ؛ فقد نصت المادة الأولى من نظام الدلائل والمسار العثماني على أن كلمة « دلال أو سمار » إنما تطلق على الواسطة فيما يجري بين البائع والمشتري من الأخذ والعطاء ، بينما عرفت المادة ٣٨٦ من قانون التجارة السوري المسار بـ « الذي يكون وسيطاً » كما قضت أحكام المادة ٣٩٠ من هذا القانون بأن « للسمار أن يتوسط في أي بيع أو شراء » ، أما المادة ٣٩١ فقد أشارت إلى : « البيوع التي تم بواسطة السمار » وأخيراً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة

فإن المادة ٣٩٣ من القانون المذكور أطلقت على هذه البيوع اسم : « عمليات التوسط والسمسرة » .

سابعاً : خلاصة البحث

من هذا العرض الموجز لما في المعاجن العربية ، وللأحكام القانونية ، لا أرى مسوغاً لاستبدال أي كلمة بلفظة « سمار » ولو كانت تؤدي المعنى نفسه لأن تعديل النصوص القانونية سوف لا يقضي على شيوخ لفظي « سمار وسمسرة » من جهة ، ولأن مثل هذا التعديل يفرد القطر العربي السوري بصطلاح تجاري يبتعد به عن أسلفاته في الأقطار الأخرى ؟ ولمن يأتف من استعمال كلمة « سمار » أن يستعمل كلمة « وسيط » بتوكيل من القانون على ما أشرت إليه آنفاً .

نائب رئيس مجمع اللغة العربية
الدكتور عدنان الخطيب

ندوة اتحاد المجامع العربية

لتوحيد مصطلحات النفط (البترول)

أقام اتحاد المجامع اللغوية العالمية العربية في مدينة بغداد ثانٍ ندوة له توحيد المصطلحات وذلك خلال المدة الواقعة بين ٣٠ - ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٤م.

واشترك في الندوة ممثلون وخبراء من المجمع العربي الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد ، كما اشترك فيها ممثلون عن شركة نفط العراق وممثل عن جامعة الكويت .

وعقدت الندوة جلساتها في مبنى المجمع العلمي العراقي ، وكانت الجلسات متواصلة أربعين جلسة خلالها دراسة المصطلحات التي كان اتحاد المجامع قد جمعها وعدلت الكثير منها وأقرت ما لم تعدل له ، وسيعتمد اتحاد المجامع إلى طبع المصطلحات التي أقرت في الندوة تمهيداً لتوزيعها على المتمم والختصين بشؤون النفط في مختلف الأقطار العربية .

اتحاد المجامع اللغوية العالمية العربية

عقد مجلس اتحاد المجامع اللغوية العربية بمناسبة ندوة بغداد لتوحيد المصطلحات النفطي (البترول) جلسة في بغداد بتاريخ ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٤ تدارس خلالها شؤون الاتحاد وموضوع الندوة الجديدة التي يزمع عقدها في عام ١٩٧٥ ، وستخصص لبحث شؤون هامة تتصل بالدفاع عن اللغة العربية .

تقرير عن أعمال المجمع

خلال الدورة السابقة

١ - مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع في دورته الماضية ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م خمس عشرة جلسة ، بحث المجمع فيها عدة شؤون مجتمعية في طليعتها النظر في أعمال البجان الفرعية التي ألفت لدراسة معاجم مكتب التعريب الستة (الحيوان والنبات والفيزياء والكيمياء والرياضيات والجيولوجية) إلى جانب ما أرسله مجمع اللغة العربية في القاهرة من مصطلحات النفط (البترول) (جيولوجيا البترول وكيمياء البترول) ، فأقر من ذلك كله ما أقر وعدل ما عدل .

٢ - اللجنة الإدارية :

انضم إلى هذه اللجنة الأستاذ المهندس وجيه السمان بعد أن تم انتخابه في جلسة مجلس المجمع بتاريخ ١٩٧٤/١/١٠ لمدة أربع سنوات .

٣ - لجنة المجلة والمطبوعات :

جدد المجلس انتخاب الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار لعضوية هذه اللجنة لمدة أربع سنوات وذلك في جلسته التي عقدها في ١٩٧٤/١/١٠

٤ - لجنة المخطوطات وإحياء التراث :

تم تأليف هذه اللجنة بقرار من رئيس المجمع بتاريخ ١٩٧٣/٩/١٨ من السادة الأستاذة : الدكتور شكري فیصل (المقرر) والدكتور كامل عياد والأستاذ عبد الهادي هاشم ، وبدأت اجتماعاتها في ١٩٧٤/١/٨ . وعقدت في الدورة الماضية عشرين اجتماعاً تدارست فيها أمر الكتب التالية :

- ١ - نصرة الأغريق في نصرة القرىض للمظفر بن الفضل العلوي الحسيني .
تحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن .
- ٢ - الدرر المنظومات في الأقضية والحكومات ، أو أدب القضاء ، لابن أبي الدم الحموي . تحقيق الدكتور محمد مصطفى الزحيلي .
- ٣ - مخطوطات الفقه الخفي في دار الكتب الظاهرية . وضع السيد مطعيم الحافظ .
- ٤ - تاريخ المنصوري . تحقيق الدكتور أبو العيد دودو .
- ٥ - مشكل إعراب القرآن لكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق الأستاذ ياسين السواس .
- ٦ - تحقيق المراد في أن النبي يقتضي الفساد للحافظ العلائي الشافعي .
تحقيق الدكتور إبراهيم السلقيني .
- ٧ - الملمع للحسين بن علي النمرى . تحقيق السيدة وجية السلطان .
- ٨ - رصف المباني في شرح حروف المعانى للمالقى . تحقيق الأستاذ أحمد محمد خراط .

واللجنة آخذة بتأصيل تقاليمها في العمل ، وقد أقرت من خلال الممارسة والتجربة مبادئ عامة تشرطها في نشر المحقق من تراثنا .

٥ - مطبوعات المجمع :

- أ - المجلة : لقد أنت المجلة بانتهاء عام ١٩٧٤ المجلد التاسع والأربعين ، وهي دائمة على التزام المنهج الذي تسير عليه من حرص على أصالة البحوث وتنوع الموضوعات .
- ب - الكتب التي نشرها المجمع :
- ١ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (اللغة) وضع السيدة أسماء الحصري .

- ٢ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (النحو) وضع السيدة أسماء الحمصي .
- ٣ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التاريخ) الجزء الثاني وضعه الأستاذ خالد الريان .
- ٤ - شرح ديوان ذي الرمة الجزء الثاني تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح
- ٥ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها وعللها الجزء الأول تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان .
- ٦ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها وعللها ، الجزء الثاني . تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان .
- ٧ - المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة . وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .
- ٨ - ديوان عمرو بن معدى كرب الزبيدي . جمع وتحقيق الأستاذ مطاع الطرايishi
- ٩ - الأمثال لأبي عكرمة الضبي . تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب .
- ١٠ - شرح ديوان ذي الرمة الجزء الثالث تحقيق د. عبد القدوس أبو صالح

أما الكتب التي تم طبعها وتوشك على الصدور فهي :

- ١ - الاختيارين للأخفش الأصغر . تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة .
- ٢ - مشكل إعراب القرآن لمسكى بن أبي طالب القيسى الجزء الأول والثاني . تحقيق الأستاذ ياسين السواس .
- ٣ - ديوان الأبيوردي الجزء الأول . تحقيق الدكتور عمر الأسعد .

ومن المتوقع أن ينتهي خلال الأشهر الثلاثة التالية الكتابان التاليان :

- ١ - المحمدون من الشعراء للقطبي . تحقيق الأستاذ رياض مراد .
- ٢ - ديوان طرفة بن العبد تحقيق الأستاذ لطفي الصقال والستة درية الخطيب .

ـ الكتب المتوقعة نشرها في العام المقبل :

ومن بين الكتب التي ينتظر أن تصدر خلال العام المقبل ما أخرجت لجنة التراث النظر فيه بما معنا إليه في الحديث عن عمل اللجنة ومنها ما لم تفرغ اللجنة من النظر فيه . ومن ذلك :

- ١ - الصاھل والشاحج لأبي العلاء المعري . تحقيق الدكتور أمجد الطرا بلسي
- ٢ - شرح أبيات كتاب سيبويه لابن السيرافي ت ٣٨٥ هـ . تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني .
- ٣ - التعازي والمرأى للمبرد . تحقيق الأستاذ محمد الديباجي (أستاذ في كلية الآداب - فاس - المغرب) .
- ٤ - إعراب الحديث لأبي البقاء العكبرى . تحقيق الأستاذ عبد الإله نهان .

ـ العمل الاداري في المجمع :

صدرت خلال الدورة المنصرمة طافقة من المراسيم عن رئاسة الجمهورية وقرارات عن السيد وزير التعليم العالي ورئيس المجمع تتناول بعض الوظائف والموظفين وتستهدف دعم العمل الاداري وسد الحاجة إلى الموظفين .

ـ مشاركات المجمع العلمية داخل القطر :

- ١ - شارك الأستاذ الرئيس الدكتور حني سبع والأستاذ الزميل ميشيل الخوري في اللجنة المؤلفة للاحتفال بالذكرى الأولى لمولد بيروني الذي أقامه المجلس الأعلى للعلوم خلال أسبوع العلم الرابع عشر (تشرين الثاني ١٩٧٤) وقد قدم الدكتور الخوري لهذا الاحتفال ترجمة عن الانكليزية لمقال أ. س. كندي عن « بيروني في قاموس العلماء » ونشر في الكتاب التمهيدي الذي أصدره المجلس عن بيروني .
- (١٤) م

٢ - شارك الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد ممثلاً للمجمع ، في اللجنة التي شكلت في المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، للاحتفال الذي أقيم بمناسبة ذكرى مرور سبعينية عام على ولادة أبي الفداء صاحب حماة . وقد أبدى المجمع استعداده لطبع كل ماترى اللجنة طبعه من آثار أبي الفداء . ويتولى الأستاذ الدكتور كامل عياد الاهتمام بذلك ومتابعته .

٨ - نشاط المجمع خارج القطر :

١ - صدر عن اتحاد المجمع مجموعة من مصطلحات النفط (البرول) تحت عنوان « مصطلحات بترولية - جيولوجيا وكييماء » . وقد بحث ممعنا في هذه المصطلحات التي شكل من أجلها لجنة نظرتا فيها وعرضتا ما أنجزناه على المجلس ، واسترک في ندوة بغداد من أجل مصطلحات النفط رئيس المجمع ونائب الرئيس والأستاذ المهندس وجيه السمان بالإضافة إلى بعض الخبراء في اللجنة المذكورين .

٢ - شارك الأستاذ الرئيس في حفل تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور طه حسين الذي أقامه مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مساء ٢٦/١٢ / ١٩٧٣) وألقى كلمة المجمع التي نشرت في المجلة (ج ١ م ٤٩ ص ١٩٥) .

٣ - شارك الأستاذ الرئيس كذلك في اجتماع لجنة توحيد المصطلحات الطبية بدعوة من أمانة اتحاد الأطباء العرب مرتين الأولى في بغداد خمسة أيام (١٢/٧ / ١٩٧٣) ، والثانية في الكويت بين (٣/٨ - ١٤ / ٣ / ١٩٧٤) وقد أنجزت اللجنة المعجم الطبي الموحد الذي صدر في بغداد .

٤ - شارك الأستاذان الدكتور حسني سبع والدكتور عدنان الخطيب

في المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الأربعين في الأيام بين ٢٥ شباط و ١١ آذار ١٩٧٤ وقد نشر تقريرهما في مجلة المجمع (ح ٤٩ م ٤٤٤ ص ٤٩٣) .

٥ - شارك الزميلان الأستاذ المهندس وجيه السمان والدكتور شكري فيصل في الوفد السوري إلى مؤتمر التعريب في الجزائر في الأيام (١٢ - ١٢ / ١٩٧٣) وهو المؤتمر الذي تم فيه إقرار المعاجم الستة للمصطلحات العلمية في مرحلة التعليم العام في مواد الكيمياء والفيزياء والحيوان والنبات والرياضيات والجيولوجيا .

وقد نشرت المجلة (ح ٤٩ م ٤) أخبار المؤتمر ووثائقه .

٦ - أعضاء المجمع :

١ - انتخاب نائب رئيس المجمع .

انتخب المجمع في جلسته السادسة (٩٧٣ / ١٢ / ٦) الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب نائباً لرئيس المجمع لمدة أربع سنوات . وقد صدر بذلك قرار السيد وزير التعليم العالي ذو الرقم ٧٥٩ تاريخ ١٩٧٣ / ١٢ / ٣٠ .

٢ - الأعضاء العاملون :

انتخب المجمع في جلسته السابعة (١٩٧٤ / ١ / ١٠) الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة ، أستاذ كرسى الفيزياء النووية ورئيس جامعة دمشق ، عضواً عاملاً .

٣ - الأعضاء المراسلون :

تدارس المجمع في جلسات متفرقات اختيار بعض الأعضاء المراسلين من أقطار مختلفة وسيوالى في هذه الدورة دراسة الموضوع .

٤ - الأعضاء الراحلون :

فقدت العربية أبرز كتابها المعاصرين ، عميد الأدب العربي عضو مجمع دمشق ورئيس اتحاد المجمعون اللغوية العلمية العربية ورئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة المرحوم الأستاذ الدكتور طه حسين .

وكذلك فقد الجمع في دمشق من أعضائه المراسلين الأساتذة الطبي الذكر : محمد الطاهر بن عاشرور « تونس » ، وعلال الفاسي « المغرب » وكمال إبراهيم « العراق » .

١٠ - مكتبة المجمع :

يتبع الجمع تغذية مكتبته بالكتب الجديدة شرارة واستهدافاً .

ومضى العمل في مكتبة المجمع في اتجاهين : الكتب والمجلات :

١ - أما عن الكتب ، فقد تم جرد المكتبة ، وإعداد قوائم بنواقتها .
ولا بدّ من تغذية المكتبة بالكتب الجديدة التي هي مظنة حاجة المجمعين ، ولا بد من احرص على الأجزاء التي يتتابع صدورها ،
من كتب كانت طبعت من قبل .

وقد بلغ عدد الكتب التي دخلت في الدورة الماضية مكتبة المجمع / ٧٨٠ كتاباً . وانصرف القائمون على المكتبة بعد الجرد إلى عمل فهرسين اثنين أحدهما باسماء الكتب والآخر باسماء المؤلفين .

وقد تم إعداد فهرس أسماء الكتب على البطاقات . ويبدأ العمل في فهرس أسماء المؤلفين .

٢ - وأما عن المجلات فقد كان قدر طيب من الاهتمام منصبأً على تنظيم هذه الأكdas الكثيرة منها . وقد أنجز بعض التنظيم لها - بقدر ما أثاحت الوسائل وتيسر من الوقت .

١١ - دار الكتب الظاهرية :

١ - دائرة المطبوعات :

عدد مقتنيات دار الكتب الظاهرية من الكتب المطبوعة هذا العام ١٦٣٠ كتاب : العربية منها ١٢٨٧ كتاب ، أكثرها إهداء ، والمشتري منها ٤٤٨ ، والأجنبية ٣٤٣ كتاب .

أما المجلات والدوريات فقد اقتنت الظاهرية منها ٥١٣ عدد منها ٣٣٣ لمجلات العربية و ١٨١ لمجلات الأجنبية .

٢ - دائرة الخطوطات :

تم شراء ٣٣٦ مخطوط قيم و ٧٩ رسالة ، كانت كلها في مكتبة المرحوم الأستاذ الشيخ عبد المحسن الاسطوانى .

ولأنه نزل تابع مع وزارة التعليم العالي تحقيق المشروع الذي يهدف إلى استكمال حاجة الظاهرية من الأجهزة الفنية والمنسخ التدريبية .

٣ - الرواد :

بلغ عدد رواد الظاهرية خلال هذه الفترة ١٨٩١٣

٤ - الدوام :

طبق الدوام الكامل منذ أشهر ، فأصبح دوام الظاهرية يتضمن الثامنة صباحاً والتاسعة مساء ، ويتولى موظفون من الظاهرية والمجمع التعاون على ذلك لقاء تعويضات إضافية .

٥ - البناء في الظاهرية :

في التقرير السابق إشارة إلى المبلغ الذي أضيف إلى الموازنة - وهو ستون ألفاً - لتابعة إصلاح البناء في الظاهرية ، وإلى تحويل هذا المبلغ للبيئة العامة للأبنية المدرسية كي تتولى التنفيذ والإشراف والإتفاق .

وقد أنجزت الهيئة تجديد الجناح الشمالي الغربي من بناء الظاهرية . وفي الجناح الشمالي قاعتان واسعتان : العليا منها أعدت للباحثين وزودت بالمصادر والمراجع الأساسية وأطلق عليها اسم المرحوم الشيخ طاهر الجزائري مؤسس دار الكتب الظاهرية . ويرتادها اليوم عدد من العلامة والباحثين وطلاب الدراسات العليا ، ونرجو أن يوضع نظام خاص لارتيادها وشروط لروادها ، تحقيقاً للغاية الأساسية من إنشائها .

وتتابع أعمال الإصلاح في الظاهرية ، وقد وكل إلى المديرية العامة للآثار والمتاحف ترميم قاعة الملك الظاهر وقبته وإصلاح الساحات الأثرية وإعادة صقلها وتبطيط باحة الدار ومدخلها الرئيسي . وقد بدأ العمل في ذلك في الشهر الثامن من هذا العام ويتوقع أن ينتهي بعضه مع نهاية العام الحالي ، وأن يرجأ بعضه (التبطيط وإصلاح المدخل) إلى العام المقبل . هذا ومن المأمول أن تم تدفئة الظاهرية تدفئة مركزية في السنة المقبلة .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٩٤ = ١٩٧٤ م

الأعضاء العاملون

تاريخ دخول المجمع	تاريخ دخول المجمع
٩ - الدكتور عدنان الخطيب (نائب الرئيس) ١٩٦٠	١ - الدكتور حسني سبع (رئيس المجمع) ١٩٤٦
١٠ - أبجد طرابلسي ١٩٦١	٢ - أسعد الحكيم ١٩٢٣
١١ - شكري فيصل (أمين المجمع) ١٩٦١	٣ - الأستاذ محمد بهجة البيطار ١٩٢٣
١٢ - الأستاذ محمد المبارك ١٩٦١	٤ - الأستاذ عارف النكدي ١٩٢٣
١٣ - الأستاذ وجيه السمان ١٩٦٨	٥ - الأستاذ شفيق جبرى ١٩٢٦
١٤ - الأستاذ عبد الهادي هاشم ١٩٦٨	٦ - الدكتور جميل صليبا ١٩٤٢
١٥ - الدكتور ميشيل خوري ١٩٧١	٧ - حكمة هاشم ١٩٥٢
١٦ - شاكر الفحام ١٩٧١	٨ - محمد كامل عياد ١٩٥٨

الأعضاء المراسلون في الأقطار العربية (١)

المملكة العربية السعودية :	المملكة الأردنية الهاشمية
الأستاذ خير الدين الزركلي ١٩٣٠	الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩
الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١	جمهورية تونس :
الجمهورية العربية السورية :	الأستاذ عثمان الكعاك ١٩٦٧
الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) ١٩٤٥	الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
= عمر أبو ريشة ١٩٤٨	الأستاذ محمد العيد محمد علي خليفة ١٩٧٢
الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤	الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢

(١) ذكرت الأقطار حسب الترتيب المجاني ، والأسماء حسب الترتيب الزمني .

١٩٤٨	الدكتور عمر فروخ	الجمهورية العراقية :
١٩٦٦	الأستاذ محمد جميل بيه	الشيخ محمد بهجة الأثري
١٩٦٦	ـ أمين نخلة	الأستاذ أحمد حامد الصراف
١٩٧٢	الدكتور فريد الحداد	ـ كوركيس عواد
	الجمهورية العربية الليبية :	البطريـك أغناطيوس يعقوب الثالث
١٩٥٧	الأستاذ علي الفقيه حسن	الأستاذ ناجي معروف
	جمهورية مصر العربية :	ـ محمود شيت خطاب
١٩٤٨	الدكتور أحمد زكي	الدكتور فيصل بدوب
١٩٧٢	الأستاذ حسن كامل الصيرفي	فلسطين :
١٩٧٢	ـ محمد عبد الغني حسن	الدكتور إحسان عباس
	المملكة المغربية :	الجمهورية اللبنانية :
١٩٥٦	الأستاذ عبد الله سكنون	الأستاذ أنيس المقدسي
		الدكتور صبحي الحمصاني

الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

١٩٥٥	الأستاذ يوسف البنوري	إسبانيا :
١٩٦٦	ـ محمد صغير حسن معصومي	الأستاذ غومز (أميليو غارسيا)
	البرازيل :	إيران :
١٩٥٧	الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القرمي)	الدكتور علي أصغر حكمة
	الدانمرك :	إيطالية :
١٩٢١	الأستاذ بدرسن (جون)	الأستاذ جبريلي (فرانشيسكو)
	السويد :	باكستان :
١٩٥٦	الأستاذ ديدرنغ (س)	الأستاذ عبدالعزيز الميمني الراجلكوني ١٩٢٨

آراء وأنباء

٢١٧

النمسة : ١٩٢٨ الدكتور موجيك (هانز) ١٩٥٤ الدكتور اشتواوز (كارل)	فرنسا : ١٩٣١ الأستاذ كولان (جورج) ١٩٤٢ الأستاذ لاوست (هنري)
الهند : ١٩٥٦ الأستاذ آصف علي أصغر فيضي ١٩٥٧ - أبو الحسن علي الحسني الندوبي	فنلندا : ١٩٢٣ الأستاذ كرسيكرو (يوحنا اهتنن)
الولايات المتحدة الأمريكية : ١٩٢٣ الدكتور فيليب حتى	المحرو : ١٩٦٦ الدكتور عبد الكريم جرمانوس

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الأحلون

١ - الأعضاء العاملون

(تاريخ الوفاة)	تاريخ الوفاة
١٩٥٣	١ - الشیخ طاہر السمعونی الجزايري ١٩٢٠
١٩٥٥	٢ - الأستاذ إلیاس قدسی ١٩٢٦
١٩٥٥	٣ - الشیخ سلیم البخاری ١٩٢٨
١٩٥٦	٤ - الشیخ مسعود الكواکبی ١٩٢٩
١٩٥٩	٥ - الأستاذ أنس سلوم ١٩٣١
١٩٦١	٦ - سلیم عنحوري ١٩٣٣
١٩٦٢	٧ - متّی قندلفت ١٩٣٤
١٩٦٦	٨ - الشیخ سعید الكرمي ١٩٣٥
١٩٦٨	٩ - الشیخ أمین سوید ١٩٣٦
١٩٧٠	١٠ - الأستاذ عبد الله رعد ١٩٣٦
١٩٧١	١١ - الشیخ عبد الرحمن سلام ١٩٤١
١٩٧٢	١٢ - الأستاذ رشید بقدونس ١٩٤٣
١٩٧٤	١٣ - الشیخ عبد القادر المبارك ١٩٤٥
١٩٧٥	١٤ - الأستاذ أدیب التّقی ١٩٤٥
١٩٧٦	١٥ - سمعان الأرثوذک ١٩٤٨
١٩٧٧	١٦ - الدكتور جميل الخاني ١٩٥١
١٩٧٨	١٧ - السيد حسن الأمین ١٩٥٢

* * *

- ٢١٨ -

ب - الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية

الشيخ سليمان الأحمد	المملكة الأردنية الهاشمية :
الأستاذ ادوار مرقص	الأستاذ محمد الشرقي
الشيخ سعيد العرفي	الجمهورية التونسية :
البطريك ماراغناطيوس أفرام	الأستاذ حسن حني عبد الوهاب
الأستاذ نظير زيتون	- محمد الفاضل بن عاشر
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	- محمد الطاهر بن عاشر
الجمهورية العراقية :	الجمهورية الجزائرية :
الأستاذ محمود شكري الألوسي	الشيخ محمد بن أبي شنب
- جميل صدقى الزهاوى	الأستاذ محمد البشير الإبراهimi
- معروف الرصافى	جمهورية السودان :
- طه الرواوى	الشيخ محمد نور الحسن
الأب أنططاس ماري الكرملي	الجمهورية العربية السورية :
الدكتور داود الجلى	الأستاذ جميل العظم
الأستاذ طه الهاشمى	الأب جرجس شلحت
- محمد رضا الشيبى	الأب جرجس منش
- ساطع الحصري	الأستاذ قسطاكى الحصى
- منير القاضى	الشيخ كامل الغزى
الدكتور مصطفى جواد	الأستاذ ميخائيل الصقال
الأستاذ عباس العزاوى	الشيخ بدر الدين النعاني
الشيخ كاظم الدجىلى	- راغب الطبان
فلسطين :	- عبد الحميد الجابرى
الاستاذ نخلة زريق	- عبد الحميد الكيالي
الشيخ خليل الحالى	- محمد زين العابدين

الدكتور صالح قنبار

جمهورية مصر العربية :
 الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطى
 - رفيق العظم
 - أحمد كمال
 - أحمد تيمور
 - أحمد زكي باشا
 الدكتور يعقوب صروف
 السيد محمد رشيد رضا
 الأستاذ حافظ إبراهيم
 الأستاذ أحمد شوقي
 الشيخ أحمد الإسكندرى
 الأستاذ أسعد خليل داغر
 - داود بركات
 الدكتور أمين المعلوف
 الأستاذ مصطفى صادق الرافاعي
 الشيخ عبد العزيز البشري
 الدكتور أحمد عيسى
 الأمير عمر طوسون
 الشيخ مصطفى عبد الرازق
 الأستاذ أنطون الجميل
 - خليل مطران
 - إبراهيم عبد القادر المازني
 - محمد لطفي جمعة
 الدكتور أحمد أمين
 الأستاذ عبد الحميد العبادي

الأستاذ عبد الله محلص
 - محمد إسحاق النشاشيبي
 - عادل زعير
 الأب أ. س . مرمرجي الدومنiki
 الأستاذ قدرى حافظ طوقان
 لبنان :
 الأستاذ حسن بيهم
 الأب لويس شيخو
 الشيخ عبد الله البستاني
 الأستاذ جبر ضومط
 - عبد الباسط فتح الله
 الشيخ مصطفى الغلايني
 الأستاذ عمر الفاخوري
 - يواص الخولي
 - أمين الريحاني
 الأمير شبيب أرسلان
 الشيخ إبراهيم المنذر
 الأستاذ جرجي يني
 الشيخ أحمد رضا
 الأستاذ فيليب طرازي
 الشيخ فؤاد الخطيب
 الدكتور نقولا فياض
 الشيخ سليمان ظاهر
 الأستاذ مارون عبود
 - بشارة الخوري (الأخطل الصغير)

الأمير يوسف كمال
الأستاذ أحمد حسن الزيات
الدكتور طه حسين
المملكة المغربية :
الأستاذ محمد الحجري
الأستاذ عبد الحي الكتاني
الأستاذ علال الفاسي

الشيخ محمد الخضر حسين
الدكتور عبد الوهاب عزام
ـ منصور فهمي
الأستاذ أحمد لطفي السيد
ـ عباس محمود العقاد
ـ خليل ثابت

ج - الاعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الاخرى

الأستاذ عباس إقبال
ـ ايطالية :
الأستاذ جويندي (اغنazio)
ـ نالينو (كارلو)
ـ غربيني (أوجينيو)
ـ البرازيل :
الأستاذ سعيد أبو جمرة
ـ البرتغال :
الأستاذ لويس (دافيد)
ـ بريطانية :
الأستاذ مرجلیوث (د. س.)
ـ بفن
ـ براون (ادوارد)
ـ كرینکو (فريتز)
ـ غليوم (الفريد)
ـ أربري (أ. ج.)

الاتحاد السوفييتي :
الأستاذ كراتشكونفسكي (أ)
ـ برلن (إيفيكتين)
ـ اسبانية :
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)
ـ ألمانية :
الأستاذ هومل
ـ ساخاو (ادوارد)
ـ هوروفيتز (يوسف)
ـ هارمان (مارتين)
ـ ميتفوخ (أوجين)
ـ بروكلمن (كارل)
ـ هارمان (ريشارد)
ـ الدكتور ريتز (هلموت)
ـ إيران :
ـ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني

الأستاذ جيب (هامتون ا. ر.)	الأستاذ جيب (هامتون ا. ر.)
- ميشو (بلير)	بولونية :
- مارسيه (وليم)	الأستاد كوفالسكي (ت.)
- دوسو (رينه)	تركية :
- ماسينيون (لويس)	الأستاذ زكي مغامز
- ماسيه (هنري)	- أحمد أتش
الدكتور بلاشير (ريجيس)	تشيكوسلوفاكية :
المحرو : الأستاذ غولد صيهر (اغناطيوس)	الأستاذ موزل (ألا)
- ماهلر (ادوارد)	الدنمارك :
الهند : الحكيم محمد أجمل خان	الاستاذ بورهل (ف. م. ب.)
هولندة : الأستاذ هورغرين (سنوك)	- استروب (ج.)
- اوراندوك (ك.)	السويد :
- هوتسها (م. ت.)	الأستاذ سترستين (ك. ف.)
الدكتور شخت (يوسف)	سويسرا :
الولايات المتحدة الأميركية :	الأستاذ فران (جبرائيل)
الأستاذ ماكمدونالد (د. ب.)	- هوار (كلستان)
- هرزفلد (ارنست)	- بوفا (لوسيان)
= سارطون (جورج)	- مالنجو
الدكتور بيارد (ضودج)	- كي (ارتور)

الكتب المحدّة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
ابن درستويه	عبد الله الجبوري	١٩٧٤ بغداد
أرجوزة السيد خليل البصير	سعيد الديوه جي	١٩٦٥
أشعار الترقيس عند العرب	» »	١٩٧٠
البرهان الكافش عن إعجاز القرآن	عبد الواحد الزملکاني . تحقيق د. خديجة الحديبي و د. أحمد مطلاوب	١٩٧٤
جاجامش في العالم السفلي	يوسف أمين قصیر	١٩٧٣
جوامع الموصل في مختلف العصور	سعید الديوه جي	١٩٦٣
الحكاية والإنسان	يوسف أمين قصیر	١٩٧٠
حنين بن إسحاق العبادي	سعید الديوه جي	١٩٧٤
فقه الملوك وفتاح الرقاج المرصد على خزانة كتاب الخراج (الجزء الأول)	عبد العزيز الرحبي . تحقيق د. أحمد عبيد الكبيسي	١٩٧٤
رقصات الخريف	يوسف أمين قصیر	١٩٧٤
السري الرفاء	» »	١٩٥٦

اسم الكتاب	المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الشروط الصغير (١ - ٢)	أبو جعفر أحمد الطحاوي. تحقيق روحاني أوزجان	بغداد ١٩٧٤
على هامش كتاب العروة الوثقى فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد (١ - ٤)	محمد حسن آل ياسين	١٩٧٤
مخطوطات المكتبة المركزية في الموصل مدارس الموصل في المعهد العثماني	عبد الله الجبوري	١٩٧٤ - ١٩٧٣
ملحمة الموصل	سعيد الديوه جي	١٩٦٧
الموصل أم الربيعين نحو الفعل	« «	١٩٦٤
نحو القرآن	فتح الله القادري الموصلي. تحقيق سعيد الديوه جي	١٩٦٥
الحجاج بن يوسف (حياته وآراؤه السياسية)	سعيد الديوه جي	١٩٦٥
الشخصية الصهيونية في الرواية الأنكليزية	أحمد عبد الستار الجواري	١٩٧٤
الصلح سيد الأحكام	إحسان صدقى العمد	١٩٧٣ بيروت
مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية	هانى الراهب	١٩٧٤
معجم الأخطاء الشائعة	حسن حمام	١٩٧١
نصوص الردة في تاريخ الطبرى (نقد وتحليل)	سعدى أبو جيب	١٩٧٢
نحو القرآن	محمد العدنانى	١٩٧٣
نحو الردة في تاريخ الطبرى (نقد وتحليل)	محمد حسن آل ياسين	١٩٧٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
بلغ الأمل في فن الرجل	ابن حجة الحموي. تحقيق رضا محسن القرشي	دمشق ١٩٧٤
تاريخ الأدب العربي (الجزء الثالث)	ر. بلاشير ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني	١٩٧٤
تقدير عن حالة الأمن العام	قيادة قوى الأمن الداخلي	١٩٧٢
الجامعة البيضاء	دلال حاتم	١٩٧٣
فلسفة نيتše	او يعن فنك ترجمة إلياس بدبوسي	١٩٧٤
القبة من شفة السيف	خالد محبي الدين البرادعي	١٩٧٤
القطار	صلاح حافظ	١٩٧٤
الكليات (الجزء الأول)	أبو البقاء الكفوي . تحقيق الدكتور عدنان درويش و محمد المصري	١٩٧٤
لويس دوبروبل والميكانيك التموجي	ماري انطوانيت تونيلا ترجمة محمد وائل الأفاسي	١٩٧٤
معارك تشرين	المؤسسة السياسية	١٩٧٤
معجم العلوم الطبية (الجزء الأول)	لدكتور مرشد خاجه الدكتور أحمد حمدي أحياط نفعه وآله الدكتور محمد هيثم أحياط	١٩٧٤

مکان الطبع وتاریخه	اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب
دمشق ١٩٧٤	مارکس انجلز ترجمة صلاح مزهر	نقد بر فاجي غوطة وايرفورت
١٩٧٤	محسن يوسف	وجوه آخر الليل
طهران ١٣٩٢	الإمام الرضا . تحقيق عبد العزيز العطاردي الحبوشاني	مسند الإمام الرضا (٢-١)
١٩٦٤ فيينا	انطون شاللور ، عصام حسن فلا	القاموس التشرحي لاتيني (ألماني) - عربي
١٩٦٣ القاهرة	سعيد الديوه جي	الزخارف الرخامية في الموصل
١٩٦٣	» «	مخطوطات خزانة سعيد الديوه جي
١٩٧٤	أين فؤاد السيد	مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي
١٩٧٣	أبوحنيفه الديبوري	النباتات (القسم الثاني)
الموصل ١٩٧٤	سعيد الديوه جي	تجارة الموصل في اختلاف العصور
١٩٦٦	أحمد بن الخطاط . تحقيق سعيد الديوه جي	ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء
١٩٥٥	سعيد الديوه جي	الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام
١٩٦٦	سعيد الديوه جي	دور العلاج والرعاية في الإسلام
١٩٥٨	يوسف أمين القصیر	صدی الأعاصير

آراء وأسماء

٤٢٧

مکان الطبع وتاریخه	اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب
الموصل ١٩٥٤	يوسف أمين القصیر	عامر وأسماء
١٩٥٥ د	سعيد الدبيه جي	عقائل قريش
١٩٤٠ د	» » »	الفتوة في الإسلام
النجف ١٩٦٤	سلمان هادي الطعمة	تراث كربلاء



فهرس الجزء الأول من المجلد الخامس

الصفحة

صفحة خالدة	٣
نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات	٧
بين ابن سينا وابن رشد	٢٣
أبو الفداء إملوك العلامة	٤٦
كتاب الدلائل في خريب الحديث	٧٥
مشرع الشمس « قصيدة »	١١١
مع ابن الأزرق في مخطوطته يداعع السلوك في طبائع المؤلف : الدكتور عبد الهادي النازري التغييرات التاريخية والتركيبة للأصوات اللغوية . . .	١٤٣

التعريف والتقدير

مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية	١٧٣
شمام الخريف « ديوان للشاعر رياض معلوف »	١٧٥
المعجم الفلسفى	١٧٧
الشاب الخريف	١٨٤
كتب الرياضيات لطلاب كلية العلوم الاقتصادية في حلب : الأستاذ وجيه السمان	١٨٧
القياسات الكهربائية وأجهزتها	١٨٩
الميكانيك الفيزيائي	١٩٣

آراء وأباء

تصحيح لغظة في تهذيب اللغة (ناق) (لا) (فاتق)	١٩٧
تحقيقات لغوية : السمسرة والسمسار في اللغة والقانون	١٩٩
ندوة اتحاد المجمع العربي	٢٠٥
اتحاد المجامع العلمية العربية	٢٠٥
تقرير عن أعمال المجمع خلال الدورة السابقة	٢٠٦
أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ٩٤ - ٧٤ م	٢١٥
« « « « الراحلون	٢١٨
الكتب المدعاة لمكتبة مجمع اللغة العربية خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٤	٢٢٣